



التصوف والسلوك

المعارف والنكات

دروس التصوف

انشاء الزوايا

ضرورة الشيخ

تحقيق لفظة الصوفي

البيات علم التصوف

الاخلاق الحميدة

الاعمال اليومية

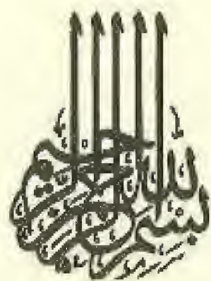
المعتقدات

آداب المرشد

البيات بيعة الطريقة

التصوف ما هو

شيخ المشايخ مولانا ذوالفقار احمد النقشبندی متعالیه بطول حياته



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين

الباب الأول

علم التصوف

نذكر ثلاثة أدلة لثبوت علم التصوف شرعاً،

الدليل الأول:

قال - جيل شأنه - : ﴿ وَدَرُّوْا ظَهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [الانعام: ١٢٠] قال
العلامة علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالحازن رحمه الله
تحت هذه الآية: « المراد بظاهر الإثم أفعال الجوارح وباطن أفعال
القلوب ».

[لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٢ ص ١٢٢]

فأعمال الإنسان على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان فقط، وبعض الآيات تذكر أحكام
هذه الأعمال مثل: ﴿ وَكُنُوزًا وَتَشْرِيقًا ﴾ [الاعراف: ٣١] و: ﴿ قُلْ
إِلَهُمَّ إِنِّي أَنَا عَبْدٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

القِسْمُ الثَّانِي:

الأعمال المتعلقة بباطن الإنسان وكثير من الآيات تذكر أحكام هذه الأعمال مثل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ٨١) و: ﴿وَأَقْرَضْ أَمْرًا إِلَى اللَّهِ﴾ (غافر: ١٢٢) و: ﴿فَلَا تَحْشَرُوهُمْ وَآخِشُونِي﴾ (البقرة: ١٨٥).

القِسْمُ الثَّالِثُ:

الأعمال المتعلقة بظاهر الإنسان وباطنه معاً مثلاً قول الله تعالى في ظاهِر الصلاة: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَتَالٍ﴾ (النساء: ١١٢) وقوله في باطن الصلاة: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ (النساء: ١١٢).

واعلم أن الأعمال الظاهرة لها علاقة بعلم القلب (الفقه) والأعمال الباطنة لها علاقة بعلم الخال (التصوف) وهذان العلمان تعلمهما الصلابة رضوان الله عليهم أجمعين ويدل على ما قلناه الأحاديث الآتية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (حفظت من رسول الله ﷺ وغادين: فأما أحدهما: فيشته، وأما الآخر: فلو بثته قطع هذا البلعوم).

[مشكلة كتاب العلم ص ٣٧]

قال المحدث الشهير، والفقيه السليل علي بن سلطان محمد القاري رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: (فأما أحدهما) وهو علم الظاهر من الأحكام والأخلاق، (فيشته) أي أظهرته بالثقل فيكم، (وأما الآخر) وهو علم الباطن (فلو بثته) أي نشرته وذكرته لكم بالتفصيل (قطع هذا البلعوم) يضمن الباء أي الخلقوم، لأن أسرار حقيقة التوحيد مما يغسر التعبير عنه على وجه المراد.

[مرقاة المفاتيح ج ١ ص ١١٣]

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعدما دفن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: توفي اليوم تسعة أعشار العلم، فأنكر بعض

الصُّحَابَةِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ
عِلْمُ الْخَيْضِ وَالْتِفَاسِ، بَلِ الْمُرَادُ الْعِلْمُ بِاللَّهِ فَاقْتَنَعُوا أَجْمَعِينَ بِهَذَا
الْجَوَابِ فَتَحَقَّقَ الْإِجْمَاعُ السَّكُونِي لِلصُّحَابَةِ عَلَيْهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الصُّحَابَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ مَا كَانُوا يَسْكُونُونَ عَلَى أَمْرِ يَخَالِفُ الشَّرْعَ، بَلِ
كَانُوا سِوْفًا مَسْلُوكَةً ضِدَّ الْبَاطِلِ.

لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ
مَخْصُوصًا بِعِلْمِ أَسْمَاءِ الْمُتَافِقِينَ كَانَ قَدْ أَسْرَهُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى
كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَسْأَلُهُ عَنْ نَفْسِهِ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ
مِنْهُمْ. فَيَقُولُ: هَلْ أَنَا مِنْهُمْ؟

[اللمع ص ١٩ وانظر أسد الغابة ج ١ ص ٣٩١]

فَإِنْ كَانَ لِبَعْضِ الثَّابِعِينَ فَضْلٌ عَلَى بَعْضِ الصُّحَابَةِ فِي عِلْمِ الْقَالِ
(كَالْفِقْهِ) فَرُبَّمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُ عَنْ أَمْرِ
فَيَقُولُ: سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَلْيَعْمَلْ أَهْلُ بَصْرَى عَلَى فِتْوَاهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يَقُولُ: سَلُوا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَيَقُولُ
أَنْسُ: سَلُوا الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ إِنَّهُ خَفِيزٌ وَنَحْنُ نُسَيِّنَا وَلَا شَكَّ أَنَّ فَضْلَ
الصُّحَابَةِ فِي الْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ (عِلْمِ الْحَالِ) عَلَى التَّابِعِينَ كَفَضْلِ الشَّمْسِ
عَلَى مِصْبَاحِ اللَّيْلِ وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ يَقِينِ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ رَوَايَةِ
حِكَايَا الْإِمَامِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنُفِ، وَالْحَكِيمِ الثَّرَمَذِيِّ فِي فَضْلِ
الصَّلَاةِ، وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي أُسُودِ الْغَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ
أَصْحَابِهِ (وَهُوَ خَارِثَةُ بْنُ سَرَّاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ الشَّهِيدِ بِبَدْرٍ) كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا
خَارِثُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا. قَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا خَارِثُ إِنْ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ إِيْمَانِكَ؟

فَقَالَ: عَزَلْتُ نَفْسِي وَصَرَفْتُهَا عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَى عِنْدِي حَاجِرُهَا
وَذَهَبُهَا وَفَضَّتْهَا وَمَدَرُهَا فَاسْمَهْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي حَتَّى صِرْتُ كَأَنِّي

أَنْظَرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ. وَفِي رَوَايَةٍ: يَتَعَاوَرُونَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى هَذَا عَرَفْتُ فَالزَّمْ». وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ لَهُ: «عَبْدُ نُورِ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِنْ عَرَفْتُ فَالزَّمْ».

أولها أسد الغابة ج ١ ص ٣٥٥ والمصنف ج ١١ ص ٤٣ مختصراً

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ عَوْفَ ابْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقّاً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً فَمَا حَقِيقَةُ ذَلِكَ؟» قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ أَطْلُقْ فِي قَلْبِي عَنْ الْإِيمَانِ تَزَاوَرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأُظْلِمَاتُ هَوَاجِرِي وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَصَارِعُونَ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَرَفْتُ».

المصنف لابن أبي شَيْبَةَ ج ١١ ص ٤٤٢

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ بَدَتْ لِي الْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمَا أَزْدَدْتُ يَقِيناً. وَرَوَى فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ زَوْجَتِهِ قَالَتْ: مَا كَانَ فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ، بَلْ بِسَبَبِ يَقِينِ الْقَلْبِ (المعرفة). وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَمِيعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَثْرَةِ الصُّومِ وَالصَّلَاةِ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ وَالتَّصَبُّعُ لَهُ.

اللمع ص ١٦٢

هَذَا الْعِلْمُ، هُوَ عِلْمُ الْحَالِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالتَّصَوُّفِ، وَهَذَا الْعِلْمُ لَا يَتَأْتِي بِدِرَاسَةِ الْكُتُبِ، بَلْ لَا يَذْ لِحَصِيلِهِ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا. كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: مَا أَذْرَكُنَا عِلْمَ التَّصَوُّفِ مِنْ طَرِيقٍ قَبِيلٍ وَقَالَ،

بَلْ أَذْرِكُنَّاهُ بِتَرْكِ الدُّنْيَا وَلِذَانِهَا، فَتَحَقَّقْ أَنَّ أَتَهَارَ عِلْمُ الْقَالِ وَعِلْمُ الْحَالِ
كُلُّهَا خَرَجَتْ مِنْ مَنَبْعِ النُّبُوَّةِ.

الدليل الثاني:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ:
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُونِي». فَهَاتُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ
عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْإِسْلَامُ؟... مَا الْإِيمَانُ؟... مَا
الْإِحْسَانُ؟ (الحديث).

[مسلم ج ١ ص ٢٩]

هذه الأسئلة والأجوبة معروفةٌ بحديث جبريل عليه السلام،
فالمُصْحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِغَلِيظِ جَلَالِ النُّبُوَّةِ
إِلَّا قَلِيلاً، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ لِنَعْلِيمِ
الْحَفَائِقِ الدِّيْنِيَّةِ لِيَسْأَلَ هُوَ وَيَجِيبَ مَعْلَمُ الْكَوْنِ حَتَّى تَمَلَأَ أَذْيَالُ الْمُصْحَابَةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْعَلَمِيَّةِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ دُفْعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ وَيُنْكُمُكُمْ»، فَأَخْبِرَ
بِقَوْلِهِ: «أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ وَيُنْكُمُكُمْ» أَنَّ خُلَاصَةَ الْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ مُوجُودَةٌ فِي هَذِهِ
الْأَجْوِبَةِ فَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ:

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَهْكَازَهُ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ.

✽ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعاً فَمَوْضُوعُ
إِصْلَاحِ الْعَقَائِدِ جَاءَ فِي: (مَا الْإِيمَانُ)؟

وَمَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَرَدَ فِي: (مَا الْإِسْلَامُ)؟.

وَأَمَّا مَوْضُوعُ إِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَيَتَضَمَّنُهُ: (مَا الْإِحْسَانُ)؟.

واعلموا أن بيان خلاصة الدين كله في عدة جُمَلٍ إعجازٍ نبوي،
فهذا الحديث من جوامع التكليم.

كانت في ذات رسول الله ﷺ جامعةً كاملةً لجميع هذه الموضوعات
إلى الغاية. فسر هذه الشعب الثلاث حق التفسير ونسرها وكان في الصحابة
جامعة إلى حد ما، لكن وقع النقص فيها شيئاً فشيئاً بمرور الزمن إلى أن
دَوَّن علماء الأمة هذه الشعب في علوم ثلاثة مستقلة.

فدَوَّنوا عِلْمَ الكلام لحفظ وشرح التوجيهات التي وُردت في
الكتاب والسنة لتصحيح العقائد.

ودَوَّنوا عِلْمَ الفقه لشرح عدي الكتاب والسنة للأعمال الظاهرة.

والأمور التي أُرشد إليها الكتاب والسنة لإصلاح الباطن دَوَّنوا
لتفصيلاتها علم الإحسان وعِلْمَ الأخلاق وعِلْمَ التصوف، فالبارغ في هذه
العلوم الثلاثة هو الجدير بأن يُسمى محققاً وعالماً كاملاً، فتبين من هذا
التفصيل أن هذه العلوم الثلاثة دَوَّنت تيسيراً على الأمة، وليست هي
وغيرها.

قال الشيخ زروق في كتابه إيقاظ الهمم: (نسبة التصوف من الذين
نسبة الروح إلى الجسد).

وقال الشيخ معجّد الألف الثاني في مکتوب له إلى الملا حاجي
محمد اللاموري: (شعب الشرع ثلاث: علم وعمل وإخلاص، فما لم
تتحقق هذه الشعب الثلاث لم تتحقق الشريعة، ولما تحققت الشريعة
تحصل مرضاة الله التي هي فوق جميع سعادات الدنيا والآخرة.

الطريقة والحقيقة اللتان يمتاز بهما الصوفية تخدمان الشريعة،
لتكميل الإحسان فلا غرض من تحصيلهما إلا تكميل الشريعة فقط، أما

الأحوال والمواجيد والعُلُوم والمعارف التي نحصلُ أثناء الطريق، فليست من المقاصد فيجب الوصول بعد مجاوزة جميع هذه إلى مقام الرضا التي هي آخر منازل السلوك، فلا غاية لعبور منازل الطريق والحقيقة سوى تحصيل الإحسان).

[المكتوبات ج ١ مکتوب ٣ و ٦]

قال الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله: (ومقصود الطائفة العالية الصوفية حصول مشاهدة الحق كأنك تراه وذلك الحضور يسمونه مشاهدة بالقلب).

[الانبيا في سلاسل أولياء الله ص ٢٩]

الدليل الثالث :

قال علماء الأصول في تعريف التواتر الذي يكون قطعي الثبوت: (الخبر المتواتر ما يكون له طرق بلا عدد معين تكون العادة قد آحالت تواطؤهم على الكذب (نخبة الفكر)، فالخبر المتواتر ما يرويه هذا القدر من عدد الناس في كل زمان لا يسلم العقل السليم والطبع الإنساني توافقه على الكذب والاختراع، أو أن هذه ثمرة مكيدة، إذا ثبت هذا نقول: إن علم التصوف ثابت بالتواتر والتواتر، فمن القرن الثاني إلى الآن قد تعلم التصوف عدد كثير من المخلصين في كل قرن استفادوا بأنفسهم وأفادوا آخرين، وهذا الدليل يكفي لإيضاح حقيقة وإثبات شرعية علم التصوف. قال مفتخره الهندي الشيخ الشافعي رحمه الله المحدث الدهلوي: (صحبتنا وتعلمنا آداب الطريقة والسلوك متصلة إلى رسول الله ﷺ بالسند الصحيح المبتغي المتصل).

قصارى القول :

أخذ الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ علم القالب وعلم

الحالي، واستمر من ذلك الوقت إشاعة هذه العلوم وتزويجها، وفي الغرض الخاص بوسم علم الفال بالفقه أو الشريعة، وعلم الحال بعلم التصوف والطريقة، ولا بُد من هذين العلمين لتكميل إيمان الإنسان، فكما وجبت على الطالب دراسة كثر الدقائق والهدايات، وجب عليه أن يذرم كتاب اللمع (لأبي نصر السراج) وفوت القلوب (لأبي طالب المكي)، والأربعين (للإمام الغزالي)، وعوارف المعارف (للمشايخ السهروردي)، والمكتوبات (للمشيخ مجتهد الألف الثاني). وإن وجبت الاستفادة من العسقلاني والقسطلاني للكمال في الرواية، فلا غرر من الانتفاع بجنيد وبازيد، لتحصيل الكمال في الدراية.

مكانة التصوف عند أخيار الأمة:

قال الشيخ أبو طالب المكي في فوت القلوب: (هنا علمان أصليان لا يستغني أحدهما عن الآخر، بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما من صاحبه). يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله: (الشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة، وهما متلازمان لا ينم أحدهما إلا بالآخر).

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (من تفقه ولم يتصوف فقد تنسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق).

قال الشيخ العلامة محمد أمين الشامي رحمه الله: (الطريقة والشريعة متلازمان).

أنشد الشاعر أثير إله آبادي رحمه الله في بيان الشريعة والطريقة عدة أبيات جميلة بلغة أزدو ومعناها:

اسمعوا مني هذا السر في كلمتين
 الشريعة في نادي المصطفى
 الشرع وضوء والطريقة صلاة
 الطريقة رقى قلب المصطفى
 في الطريقة معنى شق الصدر
 في الطريقة روعة جمال الحبيب
 فعبث الحزب بين الصوفي والعالم
 يوجد في النبوة هذان اللونان
 فثبت أن علم التصوف ليس بشيء اخترعه العجم بل هو مكتبي
 ومدني خالص، نعم أقوال الصوفية الجهال التي تخالف الكتاب والسنة
 مردودة دائماً.

قال الشيخ الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله: (كل شريعة غير
 مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير
 مضمول).

قال الشيخ الإمام الرباني مجدد الألف الثاني رحمه الله: (كل
 طريقة رذنة الشريعة فهو رذلة وإلحاد).

وقال أيضاً في مكنوباته: (مسايقنا لا تدفعون جواهر الشريعة
 النفيسة كالأطفال مقابل جور ورسب الحال، ولا يميلون من النص إلى
 الفص، لا يفتنون من الفتوحات المدنية إلى الفتوحات المكية عملهم
 رفيع).

وقال في مقام آخر: (لا غير بالرياضات والمجاهدات التي تلتزم
 بغير اتباع السنة لأن الكهنة وبراهم الهند وفلاسيقة اليونان يلتزمونها أيضاً
 ولكنها لا تريد لهم إلا ضللاً).

(المجلد الأول المکتوب رقم مائتين وواحد وعشرين)

قال الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي رحمه الله: (ما يقول
 بعض الجهلاء من أن الشريعة شيء والطريقة شيء آخر، فذلك بسبب قلة

فَهَبِهِمْ فَقَطْ . الطَّرِيقَةُ بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ مَرْدُودَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، أَمَّا صِفَاءُ الْقَلْبِ فَتَحْصُلُ لِلْكَفَّارِ أَيْضاً شَأْنُ الْقَلْبِ مِثْلُ الْمَرْأَةِ إِنْ كَانَتْ حَصِيدَةً يُمْكِنُ تَنْظِيفُهَا بِالْبَوْلِ ، وَيُمْكِنُ بِمَاءِ الْوَرْدِ ، لَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيَّنَّ النَّجَاسَةُ وَالطَّهَارَةُ ، اتِّبَاعُ السُّنَّةِ مَقْيَاسٌ لِمَعْرِفَةِ الْوَلِيِّ ، مَنِ اتَّبَعَ السُّنَّةَ فَهُوَ وَلِيُّيٌّ ، وَمَنِ ابْتَدَعَ فَهُوَ سَخِيفٌ ، وَأَمَّا الْعَجَائِبُ فَسَوْفَ نَعْبُدُّ عَنْ الدَّجَالِ أَيْضاً .

[رجوم المذنبين ص ١٢٩]

فَلَا يَدْ لِّلْسَالِكِ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّصَوُّفَ مِنَ الْمُشَايِخِ الَّذِينَ يَطَائِقُ عِلْمُهُمْ وَعَمَلُهُمْ وَحَالُهُمْ وَقَالُهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَطَابَقَةً تَامَةً ، وَلَا يَنْبَغِي الْمِيلُ أَبَدًا إِلَى هَفَوَاتِ الْمُتَصَوِّفِينَ الْجَاهِلِينَ . تَقُولُ الْعَرَبُ : (خُذْ مَا صِفَا وَدَعْ مَا كَذَرَ) .

البَابُ الثَّانِي

التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟

قَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا الْمَسْأَلَةِ : (التَّصَوُّفُ مَا هُوَ ؟) جَمَاعَةٌ بِأَجْوِبَةٍ مُخْتَلِفَةٍ : مِنْهُمْ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَوْلَدِ رَفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ جَوَابٍ فِي كِتَابِهِ نَقَلُ بَعْضًا مِنْهَا اخْتِصَارًا .

١ - سَأَلَ الشَّيْخَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَصَّابَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ مِنْ أَسَانِفَةِ الشَّيْخِ جُنَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ التَّصَوُّفِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ :

(أَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ظَهَرَتْ فِي زَمَانٍ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ مَعَ قَوْمٍ كِرَامٍ) .

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْجُنَيْدُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُغَرِّضَ عَيْنَ الْخَلْقِ وَتَصِلَ بِاللَّهِ) .

٣ - قَالَ الشَّيْخُ زُوَيْمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ امْتِرْسَالُ النَّفْسِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يُرِيدُهُ) .

٤ - قَالَ الشَّيْخُ سَمْنُونُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ أَنْ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُكَ شَيْءٌ) .

٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

(التَّصَوُّفُ عَنِ الدَّخُولِ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ وَالْخُرُوجِ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ

دَنِيٍّ) .

٦ - قَالَ الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ الْمَكِّيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى فِي الْوَقْتِ).

[اللمع ص ٢٥]

٧ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ مُرَادِفٌ لِمُكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَنْ كَانَ أَحْسَنَ مِنْكَ خُلُقًا كَانَ أَحْسَنَ تَصَوُّفًا).

٨ - قَالَ الشَّيْخُ الْمُرْتَعَشُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ مَجْمُوعُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ).

٩ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الْقَزْوِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ يُفْلَقُ عَلَى اخْلَاقٍ يَرْضَى بِهَا الرَّبُّ سُبْحَانَهُ).

١٠ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثُّورِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ لَيْسَ بِعِبَارَةٍ عَنْ عِلْمٍ أَوْ فَنٍّ بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ).

١١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ خَضْرَوِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّزَكِّيَةِ مِنْ خَيْبِ الْبَاطِنِ وَقَدَرِهِ).

١٢ - قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَكْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِإِفَادَةِ أَحْوَالِ النَّفْسِ عَلَى الصَّادِقِ).

١٣ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ النِّسَابُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ كَلَامٌ آدَابِيٌّ، آدَبٌ كُلُّ وَقْتٍ، آدَبٌ كُلُّ حَالَةٍ، آدَبٌ كُلُّ مَقَامٍ).

١٤ - قَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التَّصَوُّفُ الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ).

١٥ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ شُبُجَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ فِي زَمَنِ كَانَتْ حَقِيقَةً بِلَا اسْمٍ، وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ اسْمًا بِلَا حَقِيقَةٍ) .

١٦ - قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَمْزَةَ الْبَغْدَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَخْذُ الْعَفْوِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

١٧ - قَالَ الشَّيْخُ بهاء الدِّين نَقِشْبَنْد الْبُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الْإِجْمَالِي تَفْصِيلِيًّا وَالْأَمْرُ الْاسْتِدْلَالِي كَشْفِيًّا) .

١٨ - قَالَ الْإِمَامُ الرِّبَانِي مَجْدُدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ) .

١٩ - قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ أَشْرَفُ عَلِي التَّهَانَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ اسْمٌ لِمَحْوِ النَّفْسِ) .

٢٠ - قَالَ شَيْخُ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدُ زَكَرِيَّا رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ مَا بَدَأَتْهُ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَنَهَايَتُهُ : «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ») .

٢١ - قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَلِي اللَّاهُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

(التَّصَوُّفُ أَنْ تُزَوِّدُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَرَسُولَهُ بِالطَّاعَةِ وَخَلْقَهُ بِالْخِدْمَةِ) .

ما حصل من هذا الكلام :

الحياة جوهرٌ ثمينٌ مفوضٌ بريحه إلى الإنسان . يخاطبُ ربُّ العالمين الإنسانَ في مقامٍ بقوله : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ، وفي مقامٍ توجّهه بقوله : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: ٧٠] وفي مقامٍ أعزّه بتعليقٍ قِلادةٍ قوله : ﴿فَهَلْئَلَا﴾ في عنقه ، فينبغي للإنسان أن يسلكَ على سبيل : ﴿وَبَشِّرِ

إِلَى تَبْيِيلًا ﴿المزمل: ١٨﴾ واضعاً أمامه ميثاق: ﴿أَلَمْ تَرَ يَرْيَكُمُ﴾ [الأعراف: ١٧٢]
 ولا يستريح إلا بعد أن يبلغ إلى منزل: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُتَبِّهًا﴾ [الأنعام: ٤٤].
 ثم اعلم أنه لا بد للوصول كل سبابة إلى المنزل من أمرين:
 أحدهما: أن يكون الشارع سالماً. وثانيهما: أن يكون البنزين موجوداً
 في السيارة، فإن لم يكن الشارع سالماً لا تجري عليه السيارة، وإن لم
 يوجد في السيارة بنزين لا تجري السيارة أيضاً، فهما متلازمان. فالإنسان
 كالسيارة والشرعة كالشارع والطريقة كالبنزين، فإن كان الإنسان يريد
 الوصول إلى الله تعالى، فهو محتاج إلى شارع الشرعة وبنزين الطريقة،
 فالذين يُرَفِّضُونَ شيئاً من الشرعة أو الطريقة يجدون سياراتهم واقفة في
 الطريق. الحياة الناجحة أن يعيش الإنسان مليئاً على: ﴿فَقَرِّأْ إِلَى اللَّهِ﴾
 متخلفاً به: «اتخلّقوا بأخلاق الله» متحلياً بالأوصاف المحمدية لبصّل إلى
 يشارية: ﴿لَهُمُ الشَّرَفُ﴾ [يونس: ٦٤] ومنزل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾
 [التوبة: ٧٢] بعد أن دخل في حزب: ﴿وَلَا تَبْزُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ١٧] فهذا هو
 التصوف.

البَابُ الثَّالِثُ

تَحْقِيقُ كَلِمَةِ «الصُّوفِي»

اسْتَعْمِلَ الْمُحَرِّمِينَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ :
الذَّاكِرِينَ ، وَالصَّابِرِينَ ، وَالْحَاشِعِينَ ، وَالصَّادِقِينَ ، وَالْقَانِتِينَ ، وَالْمُوقِنِينَ ،
وَالْمُخْلِصِينَ ، وَالْمُخْسِنِينَ ، وَالْحَانِفِينَ ، وَالْوَجِلِينَ ، وَالْعَابِدِينَ ،
وَالْمُتَوَكِّلِينَ ، وَالْمُعْتَرِبِينَ ، وَالْأَبْرَارَ ، وَالْفُقَرَاءَ ، وَالْعَبَادَ ، وَالْأَوْلِيَاءَ ؛ وَكَانَ
السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَخْتَارُونَ مِنْهَا بَعْضَ الْكَلِمَاتِ جِهَةً فُحِينًا عِنْدَ التَّحَادِثِ
فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنْ أَصَابَتْ شُهْرَةً وَاسِعَةً كَلِمَتَانِ : الْفُقَرَاءُ وَالْعَبَادُ . مِثَالُ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا يَلِي :

١ - قَالَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَرَّةً :

(يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ بِاللَّهِ وَتُكْرِمُونَ لَهُ ، فَاذْكُرُوا كَيْفَ
تَكُونُونَ مَعَ اللَّهِ إِذَا خَلُوتُمْ بِهِ) .

٢ - قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص ٢١٦) :

(قَالَتِ الشَّفَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ : رَأَيْتُ فَتِيَانًا يُفْصِدُونَ فِي الْمَشْيِ
وَيَتَكَلَّمُونَ زُويْدًا ، قَالَتْ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالُوا : نَسَاكَ (يَعْنِي عِبَادًا) .

أَمَّا كَلِمَةُ : (الْفُقَرَاءُ) فَتَطْلُقُ عَلَى مَنْ يَتَصَوَّنُ بِالْفَقْرِ ، وَأَمَّا الْعِبَادُ
فَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ بِالْعِبَادَةِ ، فَكَانَتِ الْكَلِمَتَانِ تُشِيرَانِ إِلَى صِفَاتِ
مَوْصُوفِيهِمَا ، وَلِذَا كَانِ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ يَجْتَنِبُونَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى

صِفَاتِهِمُ الْبَاطِنَةُ وَمَقَامَاتِهِمْ خَشْيَةُ الرَّيَاءِ مُقْتَضَى الْأَدَبِ أَنْ يُنَادَى الْإِنْسَانُ
حَسَبَ هَيْئَتِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالْقَدْرُ الْمَشْتَرِكُ الظَّاهِرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِبَاسُ الصُّوفِ،
كَأَنَّهُمْ يَلْبَسُونَهُ عَلَى طَرِيقِ السُّنَّةِ، فَقَدْ نُقِلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْهَجْرِيُّ رَحِمَهُ
اللَّهُ فِي كَشْفِ الْمَحْجُوبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اعْلَيْكُمْ بِلَبْسِ الصُّوفِ
تَجِدُونَ خِلَاوَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ».

[كشف المحجوب مترجم ص ٧٣]

فَقُطِرَ لِأَنَّ الصُّوفَ كَانَ مِنْ عَادَاتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَشِعَاراً
لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَصْفِيَاءِ، تُسَبَّحُ إِلَى لِبَاسِهِمُ الظَّاهِرِ، فَصَارَ الصُّوفِيُّ اسماً عاماً
وَمُجْمَلاً يُنْبِئُ عَنْ جَمِيعِ عُلُومِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَجَمِيعِ أَخْوَالِهِمْ
الْمَحْمُودَةِ.

قال الشيخ أبو نصر السراج الطوسي رحمه الله: ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام، فنسبهم إلى ظاهري النسبة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ قَالِ الْأَحْزَابِ﴾ الآية السادسة: ١١٤. وكانوا قوماً يلبسون البياض، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسمين، فكذلك الصوفية عندي.

[اللمع ص ٢١]

فَقَبِلْتُ مِنَ الْأَدَلَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصُّوفِ، هَذَا
هُوَ أَكْثَرُ الْأَقْوَالِ وَأَثْبَتُهُ لُغَةُ الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ إِبْرَاهِيمُ الْبَخَارِيُّ الْغَلَايَازِيُّ فِي
كِتَابِهِ: (التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ الصُّوفِ) وَمُلَخَّصُهُ مَا يَأْتِي:

١ - قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفَاءِ وَعَلَّلُوا أَنَّ
مَقْصُودَهُ تَرْكِيبُ الْبَاطِنِ، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنِ اللَّفْظُ «صَفَاوياً».

٢ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصُّوفِيِّ مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفِّ وَعَلَّلُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ

في الصوف الأُولَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى)، وَلَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللَّفْظُ «صَفِيًّا».

٣ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ لَفْظَ الصَّوْفِي مُسْتَقٌّ مِنَ الصِّفَةِ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ تَذَكَّرُوا أَصْحَابَ الصِّفَةِ وَأَوْ كَانَ كَذَا فَلْيَكُنْ هَذَا اللَّفْظُ «صَفِيًّا».

٤ - قَالَ الْبَعْضُ: إِنَّ هَذَا اللَّفْظَ مُسْتَقٌّ مِنَ الصَّوْفِ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ الصَّوْفَ، وَالْمُنْسَوْبُ إِلَى الصَّوْفِ «صَوْفِي» فَعَلِمُوا أَنَّ لَفْظَ «الصَّوْفِي» مُسْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الصَّوْفِ، وَغَرَضُهُ الصِّفَاءُ، وَلَهُ نِسْبَةٌ إِلَى أَصْحَابِ الصِّفَةِ وَمَنْزِلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصِّفَتِ الْأَوَّلُ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

وَفِي نِسْبَةِ لَفْظِ «الصَّوْفِي» إِلَى الصَّوْفِ حِكْمٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا:

١ - الصَّوْفُ يَكُونُ لَبِنًا وَالصَّوْفِي هُوَ الَّذِي يَجْتَهِدُ تَلْبِينَ الْقَلْبِ.

٢ - الصَّوْفُ يَكُونُ أَبْيَضَ وَالصَّوْفِي مَنْ يَجْتَهِدُ لِنَبِيضِ الْقَلْبِ كِبْيَاضِ الصَّوْفِ.

٣ - الصَّوْفُ لَا يَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ اللَّوْنِ بِسَهُولَةٍ وَالصَّوْفِي هُوَ الَّذِي صُبِغَ بِصِبْغَةِ اللَّهِ حَتَّى بَحِثَ لَا يَسْكُنُ أَنْ يَوْتَرَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

ذَكَرَ أَسْئَلَةٌ مَشْهُورَةٌ حَوْلَ لَفْظِ «الصَّوْفِي» مَعَ أَجَوِبَتِهَا:

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: هَلْ لِمَا خُذَ لَفْظُ الصَّوْفِي ذَكَرُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ. الْأَلْفَاظُ الَّتِي اسْتُخْتُتْ مِنْهَا كَلِمَةُ الصَّوْفِي مَذْكُورَةٌ فِي

الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، وَالتَّفْصِيلُ مَا يَأْتِي:

١ - قَبْلَ: إِنَّ الصَّوْفِيَّ مَأْخُودٌ مِنَ الصِّفِّ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَفْقَحْتَ

٢ - وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي لَفْظُ الصَّوْفِي مَأْخُودٌ مِنَ الصِّفَاءِ، فَفِي الْحَدِيثِ

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَغَيَّرَ

اللون فقال: «ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَبَقِيَ كَدْرُهَا فَالْمَوْتُ الْيَوْمَ تَحْقِيقٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

[الرسالة القشيرية]

٣ - وبوفِّي القول الثالث لفظ الصوفي مأخوذاً من الصفة. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: وَقَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِ الصَّفَةِ فَرَأَى فَقَرَّهُمْ وَجَهَدَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصَّفَةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّعَةِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِمَا فِيهِ فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المحجوب]

٤ - وبوفِّي القول الرابع لفظ الصوفي مأخوذاً من الصوف. وفي الحديث: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ الصُّوفَ وَيُرَكِّبُ الْجِمَارَ).

السؤال الثاني: لَوْ كَانَتْ لِلْفُظِّ الصُّوفِي أَهْمِيَّةٌ لَوَجَدَ بَعِينُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ؟

الجواب: عَدَمُ وجودِ لُفْظِ بَعِينُو فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ أَهْمِيَّتِهِ وَعَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ، فَمَثَلًا لَفْظُ: «الْمُتَكَلِّمِينَ» بَعِينُهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَهَلْ صَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرَ إِسْلَامِيٍّ؟ وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إثْبَاتُ الْعُقَائِدِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدُونِهِ، وَهَكَذَا لَفْظُ: «النُّخُورُ» لَيْسَ بِمَوْجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، فَهَلْ أَصْبَحَ عِلْمُ الشُّخْرِ عَبَثًا غَيْرَ مُفِيدٍ مَعَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ بِدُونِهِ.

السؤال الثالث: لَمْ يَكُنْ يُطْلَقُ «الصُّوفِي» فِي قُرْنِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَحَدٍ؟

الجواب: كَانَ لِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَرِئَةٌ خَاصَّةٌ، فإِذَا لَاقُوا غَيْرَ لَفْظِ الصَّحَابِيِّ عَلَى مَنْ تَشَرَّفَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ يَعْتَبِرُ سَوْءَ الْأَدَبِ فِي حَقِّهِ، كَانَ

الصحابية رضي الله عنهم أجمعين ببركة هذه النسبة والصحية رؤساء وقواد الزهاد والعابدين والمؤتكلين والصابرين والمطيعين والفقراء، حالهم أفضل وأعلى من أحوال الجميع، فغير مناسب تفضيلهم بشيء غير هذه الفضيلة. قال النبي ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» متفق عليه.

[مشكاة المصابيح ج ٢ ص ١٩٩٥ طبع بيروت]

فجميع سعادات الدنيا وخيراتها لا يمكن أن تُضَيَّحَ بدلاً صالحاً من صحبة رسول الله ﷺ. سُئِلَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: (مَنْ الْأَفْضَلُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَوْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ)؟ فَأَجَابَ: إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْجِهَادِ فَمَا أَصَابَ مِنَ الثَّرَابِ فِي أَثْفِيهِ، ذَلِكَ الثَّرَابُ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ. وَلِذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْأَتْقِيَاءَ وَالْأَصْفِيَاءَ وَالْأَوَّلِيَاءَ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغُوا رَتَبَةَ أَهْلِ صَحَابِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَالَّذِينَ تَشْرَفُوا بِصُحْبَةِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ سُمُّوا الثَّابِعِينَ، وَالَّذِينَ تَشْرَفُوا بِصُحْبَةِ الثَّابِعِينَ سُمُّوا تَبِعِ الثَّابِعِينَ، فَهَذِهِ النِّسْبَةُ الثَّلَاثُ نَبِيٌّ عَنْ الْخَيْرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورِ أَغْلَاهُ. وَلِذَا كَانَ كُلُّ شَخْصٍ سَعِيداً لِنَفْسِهِ بِإِتِّدَاعِ هَذِهِ النِّسْبَةِ، وَاشْتَهَرَ مَشَايِخُ الْأَعْيَادِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالثَّابِعِينَ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ، وَذَلِكَ الْأَكْسَنَةُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَبْلَ الْقُرُونِ الثَّانِي وَالْهَجْرِيِّ وَفَقاً لِتَحْقِيقِ الْإِمَامِ الْقُسَيْرِيِّ.

السؤال الرابع: متى استعمل لفظ الصوفي لأول مرة؟ قيل: إنه اختراع أهل بغداد؟

الجواب: ذكر الشيخ أبو النضر السراج الطوسي رحمه الله ناقلاً

عن أخبار مكة برواية محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله وأتاس آخرين: إن مكة قد خلت قبل الإسلام في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، كأن يجيء من بلد بعيد رجل صوفي يطوف بالبيت وينصرف، فإن صح هذا فهو يدل على أن هذا الاسم كان يُعرف قبل الإسلام، وكان يُنسب إليه أهل القُصَلِ والصَّلاح، والله أعلم.

[اللمع ص ٢٢]

وأما في زمن الشيخ الحسَن البصري رحمه الله الذي تشرف بصحبة ثمانية عشر صحابياً بدرياً، واستفاض من علي كرم الله وجهه فيضاً باطنياً، فاستبشَّمال لفظ الصوفي أمر متيقن. قال الشيخ أبو النصر السراج الطوسي رحمه الله:

(وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال لأن في وقت الحسَن البصري رحمه الله تعالى كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم، وقد روى عنهم أنه قال: رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق فيكفيني ما فُجِي).

[اللمع ص ٢٢]

فعلِم أن لفظ الصوفي كان يستعمل أحياناً في زمن التابعين، وكثر استعماله في زمن تبع التابعين، ثم اشتهر بعده قبل القرن الثاني من الهجرة. كان الإمام سُفْيَان الثوري رحمه الله يقول لشيخ في وقته: «أبو هاشم الصوفي»، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان يقول لشيخ في وقته: «أبو حمزة البغدادِي الصوفي رحمه الله».

الصوفي من هو؟

سُئِلَ تلميذُ الشيخ الحسَن البصري عبد الواحد بن زيد رحمه الله

تعالى: الصوفية من هم؟ فقال: هم الذين يقومون بعثولهم على عزائمهم ويستقيمون بقلوبهم عليها، ويتمسكون بمولاهم اتقاء من شروء أنفسهم.

سئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى؟ فقال: الصوفي الذي لا يتعبه الطلب ولا يخزن بسبب الحرمان.

سئل أبو محمد رُويم؟ فقال: الذي يوافق عمله قوله.

واجاب عارفه عن هذا السؤال: إن الصوفي الذي يصفو في الكدر، ويملا بالفكر، لحصول قرب الله تعالى منقطع من البشر، التراب والذهب سواء في النظر.

قال الشيخ زينلي رحمه الله: الصوفي الذي ينقطع عن الخلق ويتصل بالحق.

خلاصة الكلام:

الصوفي الذي يذكره صوته الحيوانات، وكل طير ومزمار، وتغريد العصفير وعرف الأزهار وتمايل الخضراء ولمعان الجواهر ونور الشمس والسماء والسمك، ولون الأشجار والزجاج والحجر، وشدة الحجر، والسعادة والشقاوة وعمومة الأرض وحرارة النار، وجريان البحر، والكواكب السماوية، وعلو الجبال والصحاري والحدائق والحريف والربيع، وبالجملة كل شيء يذكره ذاتاً غير مدركة بالابصار.

الله الله الله.

الباب الرابع

إثبات بيعة الطريقة شرعاً

وَصَلَ تَخْلُفَ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ إِلَى حَدِّ أَنْ الصَّدَقَ يَخْتَلِطُ بِالْكَذِبِ،
وَالْحَبِيدُ يَشْجُدُ مَعَ الرَّدِيِّ، فَكَمَا دَخَلَ عُلَمَاءُ السُّوءِ فِي صُفُوفِ عُلَمَاءِ
الْحَقِّ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ، كَذَلِكَ دَخَلَ فِي زِيٍّ مَشَابِعِ أَهْلِ
الْحَقِّ حَامِلُو الْعِلْمِ الْبَاطِنِ مُتَّبِعُو النَّفْسِ.

وَصَلَ التَّنَزُّلُ الرُّوحَانِي وَالْبَاطِنِي فِي عَامَّةِ النَّاسِ إِلَى حَدِّ أَنْ جَعَلُوا
بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ فَرِيضَةً، وَوَضَعُوا بِهَا إِلَى تَرْكِ الْقَرَائِصِ وَإِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ
الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى رَعَمُوا بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ بِدَعَا
وَضَلَالَةٍ وَقَامُوا بِمُخَالَفَتِهَا وَوَقَفُوا ضِدَّهَا، فَيَا أَسْفَى، فَلَا بُدَّ لِأَهْلِ الْحَقِّ
مِنْ مُخَارَبَةِ طَائِفَتَيْنِ: أَهْلِ الْإِفْرَاطِ وَأَهْلِ التَّفْرِيطِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، حَتَّى
يَعْرُضَ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ مَنْقَعَةً، وَيُوضَحَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.
وَفِيمَا يَلِي ذَكَرُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِبَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ.

تعريفُ البَيْعَةِ: البَيْعَةُ اخْتِذُ الْعَهْدِ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ شَرْعِيٍّ لِيَلْتَزِمُوا
بِهِ سَوَاءً أَكَانَ الْعَهْدُ لَاتِزَامِ الشَّرِيعَةِ كَامِلَةً أَمْ لِأَمْرِ خَاصٍّ مِنْهَا. يَتَّبِعُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّحَابَةَ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ وَالتَّفْصِيلُ فِيمَا يَلِي:

١ - بَيْعَةُ الْإِسْلَامِ: عِندَمَا كَانَ شَخْصٌ يَرِيدُ الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ
وَإِظْهَارَ الْبِرَاءَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِبَايَعِهِ.
خَفَضَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي مُؤَمِّمِ الْحَجِّ وَبَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ. ذَكَرُ بَيْعَةِ

العقبة الأولى والثانية. موجود في كُتُب الخُلَيفِ والسيرة المعتمدة.

٢ - بَيْعَةُ الْجِهَادِ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْخُدُيَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَهْدًا أَلَّا يَقْرَؤُوا
إِنْ وَقَعَتِ الْحَرْبُ، بَلْ يُحَارِبُوا الْعَدُوَّ مَا يَقْوَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ عَمَّا أَتَى﴾ [الفتح: ١٨].

إِنْ سَلَّمَ بَنَ الْأَنْكُرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ سُبُلَ
مَرَّةٍ، عَلَى أَيْ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ الْخُدُيَّةِ؟ قَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى
النَّوْبِ.

(مسند أحمد ج ٤ ص ٥١)

وَاللَّهُ تَعَالَى رَضِيَ بِهَذَا الْعَمَلِ حَتَّى قَالَ: ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ يُبَايِعُوكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُوكَ اللَّهُ بِدَلَالَةِ قَوْلِ أَبِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يُخْفَرُونَ
الْخُدْقَ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ وَهُمْ يَقُولُونَ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيَْنَا أَبَدًا
[متفق عليه]

٣ - بَيْعَةُ الْهَجْرَةِ: قَالَ الْحَارِثُ بْنُ زِيَادٍ السَّاعِدِيُّ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَوْمَ الْخُدْقِ وَهُوَ يَبَايِعُ النَّاسَ عَلَى الْهَجْرَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!
بَايِعْ هَذَا عَلَى الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: «وَمَنْ هَذَا؟» قُلْتُ: حَوْطُ بْنُ يَزِيدَ وَهُوَ
ابْنُ عَمِّي، فَقَالَ: «لَكُمْ مَغْشَرُ الْأَنْصَارِ لَا تُهَاجِرُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَكِنْ
النَّاسُ يَهَاجِرُونَ إِلَيْكُمْ»، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَتَدَّ وَأَبُو نَعِيمٍ.

[أسد الغاية ج ٢ ص ٦٥]

٤ - بَيْعَةُ الثَّوْبَةِ (بَيْعَةُ الطَّرِيقَةِ): أَحْيَانًا بَايَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ عَلَى تَرْكِ
بَعْضِ الْمَعَاصِي. وَذَلِكَ لِتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا نَأْتُوا بِبُهْتَانٍ نَفْسُ رُوحِهِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَغْضَبُوا فِي مَعْرُوفٍ. فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَبَّحَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَمَّا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقِبَهُ». فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ. مَبْفُوقٌ عَلَيْهِ.

[شرح السنة ج ١ ص ٦٠]

كَلِمَةُ [أَصْحَابِهِ] فِي قَوْلِهِ: «وَحَوْلَهُ عَصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ» تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبَايَعِينَ كَانُوا تَشَرُّقُوا بِبَيْعَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِهِمْ. بَلَّغَهُمْ نَظَرُهُ رَحِمَةً مِمَّنْ بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ إِلَى ارْتِفَاعَاتِ رُوحَانِيَّةٍ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا أَوْلِيَاءُ الْأُمَّةِ، بَايَعُوا بِبَيْعَةِ هَذِهِ؟ بُويعَ هَؤُلَاءِ الصُّحَابَةُ بِبَيْعَةِ الثَّوْبَةِ. يَلْتَمِسُ فِي بَعْضِ الْأَذْهَانِ اسْتِثْنَاءَ نَذْرُهَا وَنَذْرُ أَجْوِبَتِهَا.

س ١: لِمَاذَا احْتِجَّ الصُّحَابَةُ إِلَى هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَقَدْ وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْمَعَالِي؟
ج: لِتَعْلِيمِ الْأُمَّةِ واجْتِنَابِ الْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ».

س ٢: مَا فَايِدَةُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ لِلصُّحَابَةِ؟

ج: رَجَاءُ نَيْلِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ».

س ٣: تَرَكَّ الْكِبَائِرَ لِأَزِمَ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ بِنَفْسٍ نَطَقَ كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، فَالْعَهْدُ عَلَى تَرَكِّ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَبِالْبَيْعَةِ وَعَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدُوْ لِفِعْوَا؟

١ - أَمِيرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْذِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ مِنْ

الْمُتَحَابِّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ. فِي سُورَةِ الْمُتَفِجِنَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ بِيَاةٍ إِلَيْكَ وَلَهُنَّ مَالٌ وَبَنُونَ وَلَا يَرْغِبْنَ فِي مَالِكَ
كَذَلِكَ أَوَّلُ كِبَرُهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمَهْرٍ فَإِنَّهُنَّ فِي أَيْدِيكَ وَأَنْتُمْ بِعَيْنَيْكَ وَلَا تَعْصِمُكَ فِي مَعْرُوفٍ
فِي بَيْعَتِهِنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢). وَكَانَ يُمْكِنُ
لَهُمُ التَّوْبَةُ مِنَ الْمَعَاصِي فِي الْيُبُوتِ وَلَكِنْ فِي الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَائِدَةٌ
لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ بِلِسَانِهِ الْمُبَارَكِ عِنْدَ
الْبَيْعَةِ، فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. قَالَ
تَعَالَى فِي هَذَا الشَّأْنِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤)، ذُكِرَ فِي
هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ﴾، وَقَالَ فِي الْآخِرِ: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. فَعَلِمَ أَنَّ
فَائِدَةَ الْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ فَيَغْفِرُ
لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ بِسَبَبِهِ، وَهَذِهِ الْبَيْعَةُ تُسَمَّى الْيَوْمَ بَيْعَةَ الطَّرِيقَةِ.

س ٤: هَلْ هُنَاكَ رَوَايَاتُ أُخْرَى فِي بَيْعَةِ التَّوْبَةِ؟

ج: نَعَمْ، هُنَاكَ رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ. رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهٍ أَنَّ
النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ طَائِفَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَلَّا يَسْأَلُوا أَحَدًا. وَثُمَّ
الْحَدِيثُ: أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا
عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً فَقَالَ: أَلَا تَبَايَعُونَ
رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَتَلَامُ ثُبَايْعُكَ؟
قَالَ: «عَلَى أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالصَّلَاةَ
الْخَمْسَ وَتُطِيعُوا» (وَأَسْرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً). «وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ
شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلَئِكَ الثَّقَرِ يَسْغَطُ مَنَوطَ أَحَدِهِمْ، فَمَّا
يَسْأَلُ أَحَدًا بِنَاوِلِهِ إِثْمًا.

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى التَّضَحِّي لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

[مسلم ج ١ ص ٧٥]

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ الْأَنْتَرَجَ).

[بخاري ج ١ ص ٢٠٣ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَبَايِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّنْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ كُنَّا: «فَيْمًا اسْتَطَعْتُمْ».

[مسلم ج ٣ ص ١٤٩٠ بخاري ج ٤ ص ٢٤٥ مع حاشية السندي]

س ٥: ثَبُتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي زَمَنِ الصَّلْحَابَةِ سِوَى بَيْعَةِ الْخِلَافَةِ وَبَيْعَةِ الْجِهَادِ.

ج: يُكْفَى فِي الْجَوَابِ لِاسْتِكَاثِ الْخُصْمِ أَنَّهُ إِذَا ثَبُتَ عَمَلٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى ثُبُوتِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْجَوَابُ الْحَقِيقِيُّ: أَنَّهُ ثَبُتَ عَنْ سَيِّدِنَا الصَّدِّيقِ وَسَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلِذَلِكَ يُوجَدُ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ شَجَرَاتُ سَلَامِهِمْ.

كَانَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ يَبَايِعُونَ لِلْخِلَافَةِ فَكَانَتْ بَيْعَةُ الثُّبُوءِ دَاخِلَةً فِيهَا، وَلَمْ يَبَايِعْ غَيْرُهُمْ حَتَّى لَا يَسْتَنْبِطَ بَيْعَةُ الْخِلَافَةِ، وَلَا تَقَعُ فِتْنَةٌ بَلْ كَانَ يُكْفَى بِالصَّحْبَةِ. وَلَمَّا انْتَهَى عَصْرُ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَاقْتَصَرَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ بِتَنْظِيمِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ، أَخْبَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ سُنَّةَ بَيْعَةِ الثُّبُوءِ (بَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا رَأَيْتُ هَذِهِ السُّنَّةَ جَارِيَةً سَارِيَةً فِي الْأَيَّامِ حَتَّى الْيَوْمِ.

س ٦: مَا حُكْمُ بَيْعَةِ الثُّبُوءِ، هَلْ هِيَ فَرَضٌ أَوْ وَاجِبٌ؟

ج: لَيْسَتْ بِفَرَضٍ وَلَا وَاجِبٍ، بَلْ هِيَ سُنَّةٌ، نَعْمَ تَعْنِي الْفَرَائِضَ بِهَذِهِ السُّنَّةِ.

س ٧ : إِنْ لَمْ يُبَايَعْ أَحَدٌ فَمَاذَا يَكُونُ؟

ج : يُحَرِّمُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ السَّنَةِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «مَنْ تَمَسَّكَ بِسُتَيْي عِنْدَ قَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ» .

[مشكاة المصابيح ص ٣٠ الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٠]

س ٨ : هَلْ يُبَايَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةُ كُلِّ عَالِمٍ أَوْ صُوفِيٍّ؟

ج : كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَوَّضَ سَيِّدَنَا الصُّدِّيقَ الْخَلَّافَةَ وَالنُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ ، كَذَلِكَ جَرَتْ هَذِهِ السَّلْسِلَةُ مِنَ الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَا زَالَتْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ النُّعْمَةُ إِلَى الْيَوْمِ إِلَى أَوْلِيَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حُضُرًا قَصْدَرًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبَايَعَ إِلَّا مَنْ صَحِبَ وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَوَجَدَ النُّعْمَةَ الْبَاطِنَةَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ هَذِهِ الْعَهْدَةَ . وَمِثَالُ مَنْ بَدَأَ الْبَيْعَةَ بِنَفْسِهِ كَالْأَنْبِيعِ الَّذِي تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ لَا يَذْرِي شَجَرَهُ ، فَلَا يَجُوزُ التَّوْبَةُ بِالْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ مِثَالِ هَذَا .

س ٩ : هَلْ يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُبَايَعَ النَّاسُ؟

ج : لَا شَكَّ أَنَّهُ يُمْكِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَبْلُغَ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ ، وَلَكِنْ الشَّرِيعَةُ لَمْ تَحْمِلْ مَسْئُولِيَّاتِ مَنْتَصِبِ الرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ عَلَى كَوَاهِلِهَا الضَّعِيفَةِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَجْعَلْ أَيَّ امْرَأَةٍ نَبِيَّةً ، فَهِيَ وَإِنْ تَشَرَّفَتْ بِكَوْنِهَا وَالِدَةً النَّبِيِّينَ ، بَلْ وَضَعَ اللَّهُ بِفُلِّ النَّبُوَّةِ عَلَى كَوَاهِلِ الرِّجَالِ ، فَفَوَّضَتْ وَرَاثَةُ الْأَنْبِيَاءِ أَيْضاً إِلَى الرِّجَالِ فَقَطْ ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُبَايَعَ النَّاسُ .

س ١٠ : هَلْ يَجِبُ فِي الْبَيْعَةِ التَّنَطُّقُ بِالْكَلِمَاتِ بَعْدَ وَضْعِ الْيَدِ فِي الْيَدِ؟

ج : التَّنَطُّقُ بَعْدَ وَضْعِ الْيَدِ بِالْيَدِ فَلْيَعْمَلْ بِهَا وَإِنْ كَانَ عَدَدُ النَّاسِ كَثِيراً ، فَلْيَبْسُطُوا رِءَاءً وَلْيَتَمَسَّكُوا بِهِ جَمِيعاً وَهُوَ أَيْضاً عَمَلٌ نَبَوِيٌّ . كَانَ الْحَاجِرُ عِنْدَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ صَغِيراً ، وَكَانَ الْحَامِلُونَ كَثُراً فَوَضَعَهُ

النبي ﷺ في رذائِهِ فَأَخَذَ الْجَمِيعُ الرِّدَاءَ وَحَمَلُوا الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ.

[سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٩]

وَأَنَّ كَانَ النَّاسُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ تَجَوَّزَ النَّبِيعَةُ يَنْطِقُ الْكَلِمَاتِ بَعْدَ النَّبِيِّ، فَكَذًا بَاتَعَ الصُّحَابَةُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْجِهَادِ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: قَالَ عِكْرَمَةُ ابْنُ أَبِي جَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُوْعَثِلِدْ - يَعْنِي يَوْمَ الْيَرْمُوكِ -: قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَفْرُ مِنْكُمْ الْيَوْمَ؟ ثُمَّ نَادَى: مَنْ يَبَايِعُنِي عَلَى الْمَوْتِ؟ فَبَايَعَهُ عَمَّهَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَجِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْمُسْلِمِينَ.

[أسد الغابة ج ٤ ص ٦]

س ١١: هل تَبَايَعُ النِّسَاءُ بَوْضِعِ الْأَيْدِي فِي الْأَيْدِي؟

ج: كَلَا: كَانَ مِنْ عَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَبَايِعُ النِّسَاءَ مِنْ وَزَاءِ حِجَابٍ بِغَيْرِ لُحْصٍ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا مَسَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ امْرَأَةً قَطُّ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهَا فَيُؤَاخِذُهَا عَلَيْهَا وَأَعْطَتْهُ قَالَتْ: «أَذْهَبِي فَقَدْ بَايَعْتِكِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ.

[جامع الأصول ج ١ ص ٢٥٨]

س ١٢: هل يَجُوزُ بَيْعَةُ الْأَطْفَالِ؟

ج: نَعَمْ، يَجُوزُ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْضَرَهُ أَبُوهُ الزُّبَيْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُبَايِعَهُ وَعُغْمَرَهُ سَنِينَ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَقْبَلًا تَهْتِمُ ثُمَّ بَايَعَهُ.

[أسد الغابة ج ٣ ص ١٦٢، وانظر حياة الصحابة ج ١ ص ٢٥٠]

س ١٣: هل يَجُوزُ بَيْعَةُ غَائِبٍ؟

ج: نَعَمْ، بَاتَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصُّحَابَةَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَأَدْخَلَ

النبي ﷺ سيدنا عثمان رضي الله عنه في البيعة وكان حينئذ بمكة المكرمة.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧، سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٥]

س ١٤ : هل يجوز البيعة بواسطة الرسالة أو الهاتف؟

ج : نعم، لما ثبت جواز بيعه الغائب دخلت فيه البيعة بواسطة الرسالة ويجوز البيعة بواسطة الهاتف بدرجته الأولى.

س ١٥ : هل يجوز في وقت واحد مبايعة مشايخ عدة؟

ج : لا، لا يجوز أن يبايع في وقت واحد إلا شيخاً واحداً. مثال: من يبايع كل واحد كالمعلقة يكون غرقاً في كل نوع من الأطعمة، ولكنه يبقى مخروماً من التدقيق.
ع : خذ واحداً خذ مخلصاً.

س ١٦ : هل يجب تغذ وفاة الشيخ ببيعة شيخ ثان؟

ج : نعم، إن لم يحصل تركية النفس وتصفية القلب يجب تجديد البيعة، كطالبي يدرس القرآن الكريم عند أستاذ، فإن توفي الأستاذ لا ينتهي الطالب من الدراسة، بل يرى تكميل الدراسة لازماً. نعم، الذين وجدوا بشاره حصول النسبة لا يجب عليهم تجديد البيعة.

س ١٧ : الذين يخالفون البيعة ألم يدرسوا هذه الأحاديث؟

ج : درسوا. ولكن لم يدرکوا معانيها، وإلا لم يشككوا على عمل واضحه سنیه. ويمكن تبیین حال من يخالفون بیعة الطريقة في كلمات يسيرة هكذا: (وكدبوا بنا لم يحيطوا بملیه).

س ١٨ : ما هو الغرض من بيعة الطريقة؟

ج : تذكر قيمًا يلي أغراض وأهداف البيعة.

١ - لا يُلْزَمُهَا حُصُولُ الْكُشْفِ وَالْكَرَامَاتِ.

٢ - لَيْسَ فِيهَا ذِمَّةُ الْمَغْفِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٣ - لا يُلْزَمُهَا التَّجَاحُّ فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ كَالْعُلْبَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَالْقَوْرِ فِي الْمَحَاكِمِ.

٤ - لا يُلْزَمُهَا التَّصَرُّفَاتُ كَأَنْ لَا تَأْتِيَ وَسُوءُ ذَنْبٍ.

٥ - لا يُلْزَمُهَا التَّسْكُرُ بِحَيْثُ لَا يُعْرِفُ غَيْرُهُ.

٦ - لا يُلْزَمُهَا رُؤْيَا أَنْوَارٍ أَوْ أَلْوَانٍ.

٧ - لا يُلْزَمُهَا الرُّؤْيَا الطَّيِّبَةُ فِي الْمَنَامِ.

بَيِّنِ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ الْعَمَلُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِإِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

س ١٩ : اذْكُرُوا أَدْلَةَ عَقْلِيَّةً عَلَى إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ.

ج : تَوْضِيحُ إِفَادَةِ الْبَيْعَةِ بِثَلَاثَةِ دَلَائِلَ :

« كَمَا أَنَّ شَابًا يَتَّخِذُ وَظِيفَةً فِي الْعَسْكَرِ وَيَلْبَسُ حُلَّتَهُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ فِي مَكَانٍ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَحْتَرِمُهُ وَيُعِيبُهُ يَرَى إِكْرَامَهُ إِكْرَامَ الْعَسْكَرِ. وَإِهَانَتُهُ إِهَانَةُ الْعَسْكَرِ، لَا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ أَنْتَ أَوْ مِنْ أَيِّ أَسْرَةٍ؟ بَنِيْدَ اعْتِرَازِ نِسْبَةِ الْعَسْكَرِ وَحُلَّتِهِ، كَذَلِكَ كُلُّ مَنْ يَبَايِعُ مُشَايِخَ الطَّرِيقَةِ يَجِدُ عِلَاقَةً زَوْجَانِيَّةً مِنْ مُشَايِخِ الطَّرِيقَةِ فَتَرْدَادُ عِزَّتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ وَالْعِلَاقَةِ.

« طُوبَانٍ جَهْزًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَضِعَتْ وَاحِدَةٌ فِي بِلَاطِ الْمَسْجِدِ وَالثَّانِيَةُ فِي الْكَتِيفِ، فَارْتَفَعَتْ رَتْبُهُ وَاحِدَةٌ حَتَّى يَضَعُوا عَلَيَّهَا النِّجْبَةَ وَسَقَطَتْ رَتْبُهُ الْأُخْرَى حَتَّى لَا يَرَى أَحَدٌ دُخُولَ الْكَتِيفِ خَافِيًا، هَذِهِ هِيَ النِّسْبَةُ. النِّسْبَةُ الطَّيِّبَةُ مُنَحَتْ عِزَّةً وَشَرَفًا، وَالنِّسْبَةُ الْخَبِيثَةُ سَبَّيْتُ ذِلَّةً وَإِهَانَةً. هَكَذَا يَجِدُ نِسْبَةَ طَيِّبَةٍ مِنْ يَبَايِعِ مُشَايِخِ الطَّرِيقَةِ، فَيَكُونُ مَكْرَمًا مُحْتَرَمًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿ رُكِبَ عَلَى الْمُضْحَضِ دَفْعٌ سَادِجَةٌ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهَا كَلِمَةٌ ، أَوْ آيَةٌ . قَالَ الْفَقِهَاءُ : كَمَا لَا يَجُوزُ مَسُّ أَوْرَاقٍ كُتِبَتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ بِدُونِ الْوُضُوءِ ، كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ مَسُّ هَذِهِ الدَّفْعِ السَادِجَةِ . يُقَالُ لَهَا دَفْعٌ ، وَلَكِنْ ازْتَفَعَتْ رِثِيَّتَهُ بِتَرْكِيهِ بِالْمُضْحَضِ . مَبِحَانُ اللَّهِ ! فَمَنْ يَتَصَلَّ بِالْمَشَائِخِ بِوَاسِطَةِ الْبَيْعَةِ يَنَالُ عِزَّةً بِالْعِلَاقَةِ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَتَعَامَلُ بِهِ مُعَامَلَةَ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . مَا أَنَا أَغْمَأْتِنَا ؟ مَا عِنْدَنَا سِوَى الثَّدَامَةِ .

أَبْقَى اللَّهُ يَسْتَبْكُكُمْ . مَا رَجَانِي إِلَّا هَذِهِ .

س : ٢ : رَجُلٌ يَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ وَلَمْ يُصْلِحْ حَيَاتَهُ هَلْ لَهُ فَائِدَةٌ ؟

ج : هَذَا الرَّجُلُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَفِذْ بِالتَّيْبَةِ فَائِدَةً كَامِلَةً ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِلَا فَائِدَةٍ تَمَامًا . حُصِّلَ لَهُ فَائِدَتَانِ لَا مَحَالَةَ :

الأولى : أَنَّهُ نَظَرُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ عِنْدَ التَّيْبَةِ وَبِهَرَكَتِهَا يُغْفَرُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَتِ الْمَشَائِخُ فِي ضَوْءِ الْأَحَادِيثِ : إِنْ مَسَّ يَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ التَّوْبَةِ يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُشْرِكًا مِائَةَ سَنَةٍ وَلَيْسَ هَذَا بِسِيرٍ .

الفائدة الثانية : إِنْ هَذِهِ النِّسْبَةُ تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ الْمَوْتِ عِنْدَمَا يَضَعُ الْإِرْتِبَاطَ بِالْذُّنُوبِ ، وَتَتَكَشَّفُ لَهُ أَحْوَالُ الْآخِرَةِ . يَمُوتُ عَلَى الْإِيمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ مُذْنِبًا . قَالَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه فَضْلُ الْعَلِيِّ الْقُرَيْشِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : كُلُّ قَلْبٍ وَهِيَئَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَصْبَغُ (وَعَازٍ بِنِسْبَةِ اللَّهِ ، اللَّهُ) لَا يَمُوتُ إِلَّا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى (إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) .

مُلَخَّصُ الْكَلَامِ :

يَحْضِلُ لِلْإِنْسَانِ بِوَاسِطَةِ سِلْسِلَةِ مَشَائِخِهِ عِلَاقَةٌ رُوحَانِيَّةٌ بِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ . يَعْضُضُ لِلْإِيضَاحِ مَثَالَانِ :

١ - رَجُلٌ يَبْنِي بَيْتًا جَدِيدًا وَيَجْمَعُ لَهُ تَجْمِيلًا فَاحِرًا وَيَسْلُكُهُ وَيَرْكَبُ فِيهِ

المُصْبِح، وَلَكِنْ لَا يُضِيءُ مُصْبِحُهُ مَا لَمْ يَتَّصِلْ زَيْطُهُ بِمَحْطَةِ
الْكَهْرِبَاءِ، كَذَلِكَ السَّالِكُ عِنْدَمَا يَرْتَبِعُ غَلَاظَةَ مُصْبِحِ قَلْبِهِ بِوَاسِطَةِ
تَسْلِيكِ مَشَايِخِ السَّلْسِلَةِ بِقَلْبِ النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ الَّذِي هُوَ كَنْزُ
الرَّحِمَاتِ يَنْوِّرُ قَلْبَ السَّالِكِ وَتَصِلُ إِلَيْهِ الْأَنْوَارُ وَالْبَرَكَاتُ مِنْ قَلْبِ
النَّبِيِّ الْمُبَارَكِ ﷺ بِوَاسِطَةِ مَشَايِخِهِ.

٢ - الْقِطَارُ يَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةِ عَرَبَاتٍ، فَإِنْ زَيْطُ بَعْضِ عَرَبَةٍ أُخْرَى، فَمَهْمَا
وَضَلَّ الْقِطَارُ وَضَلَّتِ الْعَرَبَةُ، فَتَدْبِرُوا. إِنَّ الْمَشَايِخَ كَالْقِطَارِ،
وَالنَّبِيَّ ﷺ كَمَحْرَكِهِ، وَالسَّالِكُ كَالْعَرَبَةِ الْمُرْتَبِطَةِ، وَهَذَا الْقِطَارُ جَارٍ
إِلَى مَحْطَةِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ مُرْتَبِطَةٌ، فَلَمَّا وَضَلَّتِ
الْقَاطِرَةَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَضَلَّتْ هَذِهِ الْعَرَبَةُ عَرَبَةَ الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.

ع: كَانَتِ الْحِكَايَةُ مَمْتَعَةً جَنَّتْ بِهَا طَوِيلَةٌ.

وَضَلَّتْ إِلَى الْمَقْصِدِ. الَّذِينَ مَا رَأَوْا إِلَى الْآنَ فِي شُبُهَاتٍ عَنِ
الْبَيِّنَةِ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يُبْعِلُوا فِي تَخْصِيلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْعُظْمَى، بَلْ لِيَرْتَبُوا
عَاقِلَتَهُمُ الْبَاطِنَةَ بِشَيْخٍ جَامِعٍ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ، فَإِنْ مَنْ يَدْخُلُ فِي
السَّلْسِلَةِ بِوَاسِطَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمَلِيٍّ بِالْفِتَنِ يَصْدُقُ عَلَيْهِ
مِثَالُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَ كَانَ كَاوِنًا﴾ [آل عمران: ١٩٧].

عَسَى أَنْ يَفْتَحَ كَلَامِي قَلْبَكَ.

الباب الخامس

ضرورة المرشيد

جَعَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ كِتَابَ اللَّهِ وَرِجَالَ اللَّهِ سَبَبًا لِهَدَايَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، كَمَا مَرَّةً بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا وَلَمْ يُرْسِلْ كِتَابًا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ قَطْعًا أَنَّهُ أَرْسَلَ كِتَابًا وَلَمْ يَبْعَثْ لَهُ نَبِيًّا. بِهَذَا تَتَجَلَّى أَهَمِّيَّةُ رِجَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَيْضًا لَمْ يَنْزِلِ الْعَذَابُ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُبْعَثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ إِيْتِمَامًا لِلْحَقِيقَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥] لِتَرْبِيَّتِهِ مِنْ مَرْبٍّ وَلِتُرْكِيبَتِهِ مِنْ مُرَكَّبٍ، وَفِيمَا يَلِي ذِكْرُ بَعْضِ الدَّلَائِلِ.

أدلة من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] قَالَ جَلَّالُ الَّذِينَ الْمُحَلِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رَجَعَ ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة.

[تفسير الجلالين ص ٥٤١]

وَقَالَ الشَّيْخُ الْإِسْلَامُ، مَوْلَانَا شَيْخُرْ أَحْمَدُ الْعُثْمَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ أَتَّبِعْ طَرِيقَ الْأَنْبِيَاءِ وَعِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ.

[تفسير عثمانى ص ٥٤٨]

وَقَالَ الشَّيْخُ أَمِيرُ عَلِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: أَيْ أَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ عَالَ إِلَيَّ تَمَامًا وَهُمْ أَوَّلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَثَانِيًا صَالِحُو أُمَّتِهِ.

[مواهب الرحمن ج ص ٨٣]

الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٢٥]. قال الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله في التفسير تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٨٤]

وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تحت قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقرّبكم إليه من طاعته.

[تفسير الجلالين ص ١٣٤]

فلهذا يقول مُحَقِّقُو التفسير: إن المراد بالوسيلة المُرشِد الذي يَضِيح سبباً لِلتَّوْبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمُسَبِّباً لِإِصْلَاحِ الْإِنْسَانِ، وقد أُشِيرَ إِلَى الْمُجَاهِدَةِ ضِدَّ النَّفْسِ (الأشغال الصوفية) فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيف. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ». رواه البيهقي فِي شعب الإيمان.

[مشكاة المصابيح ص ١٥ واللفظ له: والجامع الصغير ج ٢ ص ٦٦٤]

قَالَ السَّخَاوِيُّ عَنْ أَحْمَدَ: (الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ).

[المقاصد الحسنة ص ٥٩٤]

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ الشَّيْخُ الْخَوَاجِهْ غُلَامٌ حَبِيبٌ يَقُولُ فِي مُحَاضَرَاتِهِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: مَنْ يَتَزَلُّ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ؟ اللَّهُ يَنْزِلُ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَلَكِنْ يَضِيحُ السَّحَابُ وَسِيلَةً. مَنْ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ؟ اللَّهُ يَرْزُقُ الْأَوْلَادَ، وَلَكِنْ يَصِيرُ الْوَالِدَانِ وَسِيلَةً. مَنْ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ؟ اللَّهُ يُلْقِي الْأَنْوَارَ فِي الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يَضِيحُ الشَّيْخُ وَسِيلَةً. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

الدليل الثالث: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّادِقِينَ ﴿ [النوبة: ١١٩] قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ
الصَّادِقِينَ: قَالَ الضَّحَّاكُ: هُمُ أَبُو بَكْرٍ وَغُمَرُ وَأَصْحَابُهُمَا.

[تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٢٠]

لِيُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ طَرِيقَةٍ مِنَ السَّلَاسِلِ الْأَرْبَعِ تَتَّصِلُ بِوَاسِطَةِ قَوَامِصَةٍ إِلَى
مَبْدَأِهَا عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ، وَسَيُذَوِّنَا أَبِي بَكْرٍ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ
الْشَّيْخُ الْمِفْطِي مُحَمَّدٌ شَفِيعَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اخْتَارَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
كَلِمَةَ الصَّادِقِينَ دُونَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ، فَبَيَّنَ لَنَا عَلَامَةَ الْعَالِمِ وَالصَّالِحِ
أَنَّهُ مَنْ يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ وَيَكُونُ صَادِقًا فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَصَادِقًا فِي
قَوْلِهِ وَصَادِقًا فِي عَمَلِهِ.

[معارف القرآن ج ٤ ص ٤٨٥]

وَلَا يُخْفَى أَنَّ مَصْدَاقَ الصَّادِقِينَ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ هُمُ الْمَشَايِخُ
الْعِظَامُ فَقَطْ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿ **أَنْعَسَتْ**
عَلَيْهِمْ ﴾ [الناتحة: ٧] لَمْ يَكْتَفِ عَلَى: ﴿ **أَهْدَانَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة:
١٦] بَلْ قَالَ: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ [الناتحة: ٧] وَهَذَا بَدَلٌ عَلَى
أَنَّ الْمُرِيدَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْمَوْصُولِ إِلَى مَقَامَاتِ الْهِدَايَةِ الْمُكَاشَفَةِ (إِلَّا إِذَا
اِقْتَدَى بِشَيْخٍ يَهْدِيهِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَيَجْتَنِبُهُ عَنْ مَوَاقِعِ الْأَغَالِيطِ
وَالْأَضَالِيلِ).

وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّنْقِصَ غَالِبَ عَلَى الْخُلُقِ، وَعُقُولُهُمْ غَيْرُ وَاقِعَةٍ بِإِدْرَاكِ
الْحَقِّ وَتَمْيِيزِ الصُّوَابِ عَنِ الْمَلُوطِ، فَلَا بَدَّ مِنْ كَامِلٍ يَقْتَدِي بِهِ النَّاقِصُ حَتَّى
يَنْفَوْى عَقْلُ ذَلِكَ النَّاقِصِ بِنُورِ عَقْلِ إِلَى مَذَارِجِ السَّعَادَاتِ وَمَعَارِجِ
الْكَمَالَاتِ.

[التفسير الكبير ج ٥ ص ١٠٠]

فهذا النص حجة تامة لضرورة المرشد والمرئي .

الدليل الخامس : قال الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِسْرَارًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ الزَّمُونَ يَوْجَدُوا إِلَهُهُ تَوَابًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٥] قال السيد أمير علي المليح آبادي تحت هذه الآية : في هذه الآية دلالة على أَنَّ العبد المذنب لو استدعى عبداً صالحاً متقياً تُقبل توبته ، والذين يتوبون على أيدي مشايخهم توبتهم مِنْ هَذَا النوع .

[تفسير مواهب الرحمن ج ص ١٠٩]

عَلِمَ مِنَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ كُلَّ مَذْنِبٍ يَطْلُبُ شَيْخاً كاملاً متبع الشريعة والثقة فهو عامل على : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] . وإن بايع على يده بيعة توبة فهو عامل على : ﴿ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ إِسْرَارًا ﴾ [سورة النساء : ٦٥] . وإن جلس في صُحبة شيخ كامل ينال ثواب : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] . وإن اتبع نصائحه فهو من العاملين بقوله : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقاد : ١٥] . هذا الطريق بصدق عليه : ﴿ حَسْرَةُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] الذي يدعو للاهتمام له كل صغير وكبير . نعم إن المشايخ المتبعي الشريعة في هذا الزمن قليل ، ولكن لا يعني هذا أَنَّ الإنسان يهمل طلبه أو ينكر ضرورته .

قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : اسْلُكُوا سَبِيلَ الْحَقِّ وَلَا تَسْتَوْجِسُوا مِنْ قُلَّةِ أَهْلِهِ .

وفيه يقول الإمام الشافعي رحمه الله : اتبع طُرُقَ الْهُدَى وَلَا يَضُرْك قُلَّةُ السَّالِكِينَ ، وإياك وطُرُقُ الضَّلَالَةِ وَلَا تَغْتَرَّ بِكثرة السَّالِكِينَ .

قال الشُّنَيْخُ عَبْدُ اللَّهِ خَفِيفَ رحمه الله : افْتَدُوا نَجْمَةً مِنْ شُيُوخِنَا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَقَائِقِ .

أدلة من أحاديث النبي ﷺ:

مِنْ الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنَّهَا لَا تَتَأَثَّرُ مِنَ التَّقْوُسِ مِثْلَ مَا تَتَأَثَّرُ مِنَ التَّقْوُسِ، فَالصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ الَّذِينَ تَنْزِلُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ الْخُشْيَةِ وَالِاسْتَبْخَارِ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي غَيْبِهِ ﷺ وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ:

الدليل الأول: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَقَضْنَا أَيْدِينَا عَنْ التُّرَابِ، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

[الشمائل للترمذي ص ٢٨، مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٨١ طبع بيروت، ابن ماجه ج ١ ص ٥٢٢، شرح السنة ج ١٤ ص ٥٠، جامع الأصول ج ٨ ص ٥٤٦، الترمذي ج ٥ ص ٥٨٩]

فَاعْتَرَفَ الرِّجَالُ الْغُدِسِيُّونَ أَمَّاالِ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ فِي صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَوْجَدْ بِغَيْرِ صُحْبَتِهِ، كَمَا أَنَّ الصُّحَابَةَ كَانُوا يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ مِنْ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ اذْمُخْلِصُونَ يَكْتَسِبُونَ الْفَيْضَ فِي صُحْبَةِ مُشَايخِهِمْ.

الدليل الثاني: عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ الرِّبِيعِ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّازِ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ فَصَاحَتُكَ الصُّبِيَّانَ وَلَا عَيْتَ الْمَرْأَةِ فَخَرَجْتُ، فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذَكَّرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَأْفُقُ حَنْظَلَةَ، فَقَالَ: «هه؟» فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، لَوْ كَانَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحْتَكُمْ

الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَسْلَمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ نَحْوَهُ.

[جامع الأصول ج ٩ ص ٥١٦]

(بَعْنِي قَدْ تَكُونُ كَيْفِيَّةُ الْحُضُورِ فِي الْعُرُوجِ، وَقَدْ يَعْضُضُ فِيهِ نَقْصٌ حَتَّى يَسْتَقِيمَ نِظَامُ الْمَعَاشِ وَالْمَعَاشِرَةِ). وَأَيُّ مِثَالٍ أَوْضَحَ دَلَالَةَ مِنْ هَذَا عَلَى قَبْضَانِ الصَّحْبِ وَتَأْثِيرِهَا.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ: ذَكَرَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ قِصَّةً أَنَّ صَخَابِيًّا اسْمُهُ سَهْلٌ بْنُ حَنِيفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَابَهُ الْعَيْنُ فَوَعِكَ مَكَانَهُ وَاشْتَدَّ وَعْكَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي نَظَرَ إِلَى سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِعْلَامَ يَثْتَلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إِلَّا بِرُكَّتٍ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ» الْحَدِيثُ.

[الموطأ للإمام مالك مع شرح الزرقاني ج ٤ ص ١٢٢٠]

فَمَا رَأَيْتُكُمْ إِنْ نَظَرْتُ فِيهَا عِدَاوَةً وَحَسَدًا وَبُغْضًا وَحَقْدًا يَظْهَرُ أَثَرُهَا، فَتَظْهَرُ فِيهَا حُبٌّ وَشَفَقَةٌ وَرَحْمَةٌ وَإِحْلَاصٌ كَيْفَ لَا يَرَى أَثَرُهَا، وَهَذِهِ نَظَرَةُ أَهْلِ اللَّهِ تَوْجَدُ فِي إِنْسَانٍ مَتَلَوِّثٍ بِالذَّنُوبِ، وَإِحْسَاسُ الثَّدَامَةِ بِقِيَمِهِ سَائِلًا أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى.

رَأَيْنَا فِي نَظَرَةِ الْوَلِيِّ أَثَرًا عَظِيمًا وَجَدْنَا أَوْضَاعَ الْاَلُوفِ اعْتَدَلَتْ

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: اتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطَ - وَكَانَ حَبِشَنِيًّا كَافِرًا - هَادِيًا وَدَلِيلًا فِي السَّفَرِ إِلَى الْمَدِينَةِ عِنْدَ الْهَجْرَةِ.

[فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٣٣ و ٢٣٨]

فَلَوْ اتَّخَذَ سَائِلُكَ مَوْمِنًا كَامِلًا فِي الْعَصْرِ الْخَاضِرِ دَلِيلًا لِلْوُضُوءِ إِلَى اللَّهِ يَتَّالِ ثَوَابٌ سُدِّيٌّ اتَّخَذَ الدَّلِيلَ فِي السَّفَرِ. قَالَ السَّمَوِيُّ الرُّومِيُّ: يَا قَلْبُ إِنْ تَرَدَّدَ هَذَا السَّفَرُ فَاعْتَصِمْ بِذِي الدَّلِيلِ وَاتَّبِعْهُ فَكُلُّ

مَنْ مَشَى عَلَى طَرِيقِ الْعِشْقِ بِغَيْرِ هَادٍ أَضَاعَ عُمْرَهُ كُلَّهُ، وَلَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَةَ الْعِشْقِ .

الدلائل العقلية :

الشيطان للإنسان عدوٌ مبينٌ وكذلك نفسه . يَغْرِضَانِ لِلْإِنْسَانِ أَعْمَالَهُ مَزِينَةً مَرْغُوفَةً ، فَيَكُونُ عَلَى الضَّلَالَةِ ، وَبِحَسْبِهِ عَلَى الْهُدَى . قَالَ نَعَالِي : ﴿ **لَا تُهْمُ أَخَذُوا الشَّيْطَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يُغْتَابُونَ عَنْكُمْ مُفْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف : ٣٠] ، وَكَمَا لَا يَجِدُ الشَّجَرُ قِمَارَهُ ثَقِيلَةً كَذَلِكَ لَا يَرَى الْإِنْسَانُ عَيْبَهِ ذَمِيمَةً ، فَيَحْتَاجُ لِلِإِضْلَاحِ وَالتَّوْبِيَةِ إِلَى مُرَبِّ . وَفِيمَا يَلِي بَعْضُ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ :

الدليل رقم ١ : طَالِبٌ يُجِيبُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ فِي غُرْفَةِ الْامْتِحَانِ ، فَكُلُّ جَوَابٍ يَكْتَتِبُهُ يَظُنُّهُ صَحِيحاً (وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يُخْطِئُ فِي جَوَابٍ كَذَا لَا يَكْتَتِبُهُ) تَأْتِي الْوَرَقَةَ إِلَى الْأُسْتَاذِ فَيَصْحَحُ بَعْضُ الْأَجُوبَةِ ، وَيَخْطِئُ بَعْضَهَا فَحِينَئِذٍ يَغْتَرِفُ الطَّالِبُ أَنَّهُ ضَدَرَ بِهِمِ الْخَطَأَ ، فَكَذَا السَّالِكُ يَذْكُرُ شَيْئاً وَيَزَعُمُ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ يَغْتَرِفُ الشَّيْخُ أَنَّهُ بِسَبَبِ الْعَجِيبِ . السَّالِكُ يَضُرِفُ الْمَالَ وَيَزَاهُ سَخَاءً وَيُرْشِدُهُ الشَّيْخُ أَنَّهُ إِسْرَافٌ . بَدَوِي الْمُرْشِدُ يَخَافُ السَّقُوطَ فِي خُفْرَةِ ضَلَالَةٍ ، فَيَجِبُ أَنْ تُقْضَى الْحَيَاةُ تَحْتَ ظِلِّ مُرْشِدٍ .

الدليل رقم ٢ : يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى التَّعْلَمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً حَتَّى لَا يُمْكِنَ مَعْرِفَةُ طَرِيقَةِ تَرْكِيبِ الزَّرِّ بِالْقَمِيصِ بَدُونِ التَّعْلَمِ . أَفَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ الَّذِينَ إِلَى التَّعْلَمِ . قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا** » .

عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدِّينَ أَصْحَابَهُ حَتَّى قَالُوا: (تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ).

[ابن ماجه ج ١ ص ٢٢، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات - مصباح الزجاجة ج ١ ص ٥١]

فَكَيْفَ يَحْصُلُ الَّذِينَ يَدُونُ تَعَلَّمَ فِي عَطَرِ الظُّلْمَةِ وَالضَّلَالَةِ، فَبَيَّنَّ أَنَّ تَعَلَّمَ الَّذِينَ مِنَ الْمُرْشِدِ لَازِمٌ وَاجِبٌ.

الدليل رقم ٣: لا يدعي أحد أنه يتعلم الطب بنفسه أو يحصل على فن الهندسة بنفسه، كذلك لا يمكن للإنسان أن يتعلم الدين بنفسه. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ».

[البخاري ج ١ ص ٤١ بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

الدليل رقم ٤: إذا تَرَعَّرَ شَجَرٌ عَلَى يَدِ بَسْتَانِيٍّ يَكُونُ مُسْتَقِيمًا وَرَائِعًا وَجَمِيلًا، بَيْنَمَا الْفُطْرِي يَكُونُ مَعْوَجًا وَتَكُونُ فُرُوعُهُ الْفَارِغَةُ مَمْتَشِرَةً وَمَعْلَقَةً بِدُونِ نِظَامٍ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَرَبَّى عِنْدَ شَيْخٍ كَامِلٍ يَنْجَمِلُ لِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَلِلتَّرْبِيَةِ فِي الشَّرِيعَةِ أَهْمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى أَبَاحَتْ صَيْدَ كَلْبٍ مَعْلَمٍ بَعْدَ تَحَقُّقِ شُرُوطِهِ. فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الدِّينَ تَحْتَ تَرْبِيَةِ شَيْخٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا فُيِّلَتْ ذَاتُ الْمُرْشِدِ وَجَدْتَ السُّلَّةَ وَرَسُولَهُ

إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَ هَذِهِ النَّفْسَ الْعَاصِيَّةَ سِوَى الْمُرْشِدِ، فَتَمَسَّكْ بِذَيْلِ الْمُرْشِدِ.

الدليل رقم ٥: يخفي بعض المشايخ أن نملة كانت تريد زيارة بيت الله تعالى، ولكن كانت البخاز والجبال والصخاري تصدها، رأَتْ يَوْمًا حَمَامَةً مِنْ سَوَاقِينِ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى فَاعْتَصَمَتْ بِقُدُمِهَا، طَارَتْ الْحَمَامَةُ وَوَصَلَتْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَرَارَتْ النَّمْلَةُ بِبَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى.

بيتاً :

نَفَلَهُ بِسَكِينَةٍ تَمَّتِ الْوُصُولُ إِلَى الْكُفَيْتَةِ
أَخَذْتُ قَدَمَ خَمَامَةٍ وَوَصَلْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ
الدليل رقم ٦ : ضَحِيبُ كُلِّبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَعِدَّ بِالْجَنَّةِ .

[تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير البيهقي ج ٤ ص ٢٠٥]

حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٢١٢

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَحَدَّثَنِي أَبِي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ فِي جَامِعِ بَاصِرٍ يَقُولُ
عَلَى مِثَرٍ وَغَيْلِهِ سَنَةٌ تَنُوعٌ وَبِشِينٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ : إِنَّ مِنْ أَحَبِّ أَهْلِ الْخَيْرِ نَالَ
مِنْ بَرَكَتِهِمْ . كُلِّبِ أَحَبُّ أَهْلِ فَضْلِ وَضَحِيَّتِهِمْ ، فَذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ
تَنْزِيلِهِ . قُلْتُ : إِذَا كَانَ يَغْضُرُ الْكِتَابُ قَدْ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا ، فَمَا
ظَنُّكَ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَالِطِينَ الْمُحِبِّينَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٠ ص ٣٧١ - ٣٧٢]

قَالَ الشَّاعِرُ الْفَارِسِيُّ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

كُلِّبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَيَّاماً عَدِيدَةً اتَّبَعَ الصَّالِحِينَ صَارَ رَجُلًا

الدليل رقم ٧ : شَخْصٌ يُرِيدُ السَّفَرَ الْجَوِّيَّ يَشْتَرِي تَذَكُّرَةً شَرِكَةً
جَيِّدَةً وَيَرْكَبُ الطَّائِرَةَ مُغْتَنِباً عَلَى قَائِدِهَا ، فَالْقَائِدُ يُوصِلُهُ إِلَى الْمَنْزِلِ ،
هَكَذَا السَّائِلُ يَكْبُلُ نَفْسَهُ إِلَى الشَّيْخِ لِلْسَّفَرِ الْبَاطِنِيِّ ، فَالشَّيْخُ يَذْهَبُ بِهِ
عَلَى طَرِيقِ السُّلُوكِ وَيُوصِلُهُ بِاللَّهِ تَعَالَى .

أدلة من أحوال الصالحين :

الدليل الأول : وَجَدَ سَيِّدُنَا الْوَحْشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصُحْبَةِ
النَّبِيِّ ﷺ ذُقَائِقَ مَثْوَلَةٍ ، لَوْ مُلِئَتْ الدُّنْيَا بِأَمْثَالِ أَوْسِ الْقُرْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى لَمْ يَتَلَكَّأُوا غُبَارَ طَرِيقِهِ . قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : نَقَلَ

القاضي عياض أن رجلاً قال للمعافي بن عمران: أين عمر بن عبد العزيز من معاوية، فعصّب غصباً شديداً وقال: لا يُقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد.

معاوية صاحبه وصيهره وكنايته وأمينه على وحي الله ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وإمانته وتقدمه سئل: يا أبا عبد الرحمن أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن العُبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «سمِعَ الله لمن حمده»، فقال معاوية رضي الله عنه: ربنا لك الحمد فما يَخْدُ هذا الشرف الأعظم؟

[تطهير الجنان واللسان لابن حجر المكي ص ١٠، ١١]

فتبين أنه لا بديل عن الضحية. قال عارِفٌ:

ضحية الضالحين زماناً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ خَالِصَةٍ مِائَةَ سَنَةٍ

الدليل الثاني: أخذ الحسن البصري العلم الظاهري عن ثمانية عشر صحابياً مع ذلك أخذ العلم الباطني عن سيدنا علي رضي الله عنه واكتسب أنوار الولاية.

الدليل الثالث: كان سُفيان الثوري يقول: لو أني أبو هاشم الصوفي ما عرفتُ ذنوبي الزياء.

[اللمع ص ٢٢]

الدليل الرابع: استفاد الإمام الأعظم أبو حنيفة والإمام مالك رحمهما الله تعالى من الشيخ جعفر الصادق وجمه الله تعالى، فقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله بعد رابطة سنتين: (لولا السنتان لَهْلَكَ النعمان).

الدليل الخامس: ذهب إبراهيم الأدهم يوماً للفناء الإمام الأعظم،

فقال الإمام: جاء سيدنا إبراهيم، فسأل الطلاب وكيف ذلك؟ فقال: نحن مُشْتَغِلُونَ في خدمة الأبدان وهو مُشْتَغِلٌ في خدمة رب الأبدان، ويُشَالُ ليمثل هذا الرجل: رباني.

الدليل السادس: أوصى الإمام الأعظم رحمه الله تعالى الإمام أبا يوسف رحمه الله تعالى أن أكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا منك ذلك.

الدليل السابع: استفاض الإمام الشافعي من الإمام محمد بن حسن الشيباني وقال قولاً مشهوراً:

صَحِبْتُ الصَّوْفِيَّةَ فَمَا انْتَفَعْتُ مِنْهُمْ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ، سَوَّغَتْهُم يَقُولُونَ: الْوَقْتُ سَيِّئٌ فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعْتُكَ، وَتُسَكُّ إِنْ لَمْ تُشْغَلْهَا بِالْحَقِّ، وَإِلَّا شَغَلْتُكَ بِالْبَاطِلِ. يقول الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى بعد ذكر هذا القول: قُلْتُ: يَا لِهَمَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مَا أَنْفَعَهُمَا وَأَجْمَعُهُمَا، وَأَدْلَاهُمَا عَلَى عُلُومٍ قَائِلَهُمَا وَيُقَظَّتُهُ. ويكفي في هذا ثناء الشافعي رحمه الله تعالى على طائفة هذا قدر كلمتهم.

[مدارج السالكين ج ٣ ص ١٢٩]

الدليل الثامن: كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يذهب إلى شيخ في وقتهِ (بشر الحافي) فسأله الطلاب يوماً: أنت من كبار العلماء لماذا تذهب إلى من هو ليس بعالم؟ فأجاب الإمام أحمد جواباً مذكوراً في التاريخ وقال: أنا عالم بكتاب الله، وبشر عالم بالله سبحانه وتعالى، وللعالم بالله فضل على العالم بكتاب الله تعالى. الله أكبر كبيراً.

الدليل التاسع: سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل ما الإخلاص؟ فقال: الإخلاص هو العَلاَصُ مِنْ أَفْهَاتِ الْأَعْمَالِ، فسُئِلَ ما التوكل؟ فأجاب: التَّكَلُّفُ بِاللَّهِ، فسُئِلَ ما الرضا؟ فقال: تَسْلِيمُ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ،

فَسُئِلَ مَا الْمَحَبَّةُ؟ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سَلُّوا عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِشْرًا الْحَافِي لَا اسْتَطِيعَ أَنْ أُجِيبَ عَنْ هَذَا مَا دَامَ حَيًّا.

الدَّلِيلُ الْعَاشِرُ: كَانَ مَرْبِي الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ فِي الْعُلُومِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ الْخَوَاجَه أَبُو عَلِيٍّ الْقَارَمَدِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ شَيْخٌ عَظِيمٌ مِنْ مَشَايِخ السَّلْسِلَةِ النُّقْشَبَنْدِيَّةِ، يَقُولُ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَإِنِّي أَخَذْتُ الطَّرِيقَةَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ قَارَمَدِي وَانْتَصَلْتُ مَا كَانَ يَسِيرُ إِلَيْهِ مِنْ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ وَاسْتَدَامَةِ الذِّكْرِ إِلَى أَنْ جَزَتْ الْعُقُبَاتِ وَتَكَلَّفَ تِلْكَ الْمَشَاقَّ وَحَصَّلْتُ مَا كُنْتُ أَطْلُبُهُ).

[مكاشفة القلوب ص ٣٥]

الدَّلِيلُ الْحَادِي عَشَرَ: كَانَ الْإِمَامُ فُخْرُ الدِّينِ الرَّازِي قَدْ بَايَعَ الشَّيْخَ تَجَمُّ الدِّينِ كُبْرَى.

الدَّلِيلُ الثَّانِي عَشَرَ: كَانَ الْغَارِفُ الْكَامِلُ الْمَوْلَى الرَّومِي رَحِمَهُ اللَّهُ مُبَايَعًا عَلَى يَدِ الشَّيْخِ شَمْسِ تَبْرِيزٍ، وَفِيهِ يَقُولُ الْمَوْلَوِي: لَنْ يُقَالَ لَهُ مَوْلَى أَهْلِ الرَّومِ مَا لَمْ يَكُنْ تَابِعًا لَشَمْسِ تَبْرِيزٍ.

الدَّلِيلُ الثَّلَاثُ عَشَرَ: كَانَتْ بَيْعَةُ بَيْتِ مَوْلَانَا الْحَافِي الْمَشْهُورِ فِي الْأَفَاقِ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الْخَوَاجَه عُبَيْدِ اللَّهِ أَحْمَرَارِ السَّمَرْقَنْدِيِّ مِنْ مَشَايِخ السَّلْسِلَةِ الْعَالِيَةِ النُّقْشَبَنْدِيَّةِ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ عَشَرَ: كَانَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ شَرِيفُ الْجَرَجَانِي مُبَايَعًا عَلَى يَدِ الْخَوَاجَه عَلَاءِ الدِّينِ الْعَطَّارِ، يَقُولُ الْجَرَجَانِي فِي كِتَابِهِ لَهُ: وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا لَمْ أَصِلْ فِي خِدْمَةِ الْعَطَّارِ.

أَلَفَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللَّهِ كِتَابًا فِي ذِكْرِ حَيَاتِهِ اسْمُهُ: الْجُزْءُ اللَّطِيفُ فِي تَرْجُمَةِ الْعَبِيدِ الضَّعِيفِ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ: بَايَعْتُ وَالِدِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَاسْتَعْلَقْتُ فِي الْأَوْرَادِ الصُّوفِيَّةِ، وَخَاصَّةً أَوْرَادِ الْمَشَايِخِ

النقشبندية وانتفعت بتلقيهم وتوجههم حتى أخذت آداب الطريقة والجرعة الصوفية وأصلحت سلسلتي الروحية .

[من ديباجة حجة الله البالغة أردو ص ١٠]

الدليل الخامس عشر : كاثت علاقة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الباطنية بالخواجه الباقي بالله رحمه الله من مشايخ السلسلة النقشبندية .

الدليل السادس عشر : يقول الشاه ولي الله المحدث الدهلوي :
 لعلهازة الأرض النجسة طريقتان : **الأول :** أن ينزل عليها من المطر ما يسيل بالنجاسة ، **والثاني :** أن نلتمع عليها الشمس حتى تحرق النجاسة ، كذلك لأرض القلب مظهران : ذكر الله تعالى وهو كالمطر ، والشيخ الكامل وهو كالشمس بتظهر القلب بالذكر ، ويتوجهات الشيخ الكامل أيضاً .

الدليل السابع عشر : كان المحدث الشهير ، والمفسر الكبير القاضي ثناء الله الفاني فتى ذائعاً في السلسلة النقشبندية على يد الشيخ الميرزا مظهر جان جانان رحمه الله ، ولذلك سمي كتابه في التفسير : بالتفسير المظهري .

الدليل الثامن عشر : كان مولانا محمد قاسم التانوتوي ومولانا رشيد أحمد الجنجوهي رحمهما الله تعالى من شيوخ وأقمار العلماء ، ومع ذلك كان لهما علاقة البيعة بالشيخ الحاجي أمداد الله المهاجر المكي رحمه الله تعالى ، وقد درس الشيخ رحمه الله تعالى إلى الكافية أي إلى الدرجة الثانوية العامة فقط .

الدليل التاسع عشر : استفاد بعض العلماء من عدة مشايخ . ففاز الخواجه أبو سعيد بمقام الرجاء من الشيخ الرازي ، ومقام النبوة من

الشَّاه شَجَاع الْكَرْمَانِي، وَمَقَامِ الشُّفَقَةِ مِنْ أَبِي حَضَمِ الْحَدَادِ.

الدَّلِيلُ الْعَشْرُونَ: يَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوبَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَسْتَاذِي فِي التَّصَوُّفِ الشَّيْخُ جُنَيْدُ الْبَغْدَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي عِلْمِ الْفِقْهِ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ شُرَيْحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي النَّحْوِ ثَعْلَبُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي الْخَلْقِ الشَّرِيفِ إِبْرَاهِيمُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَفَى بِهِذِهِ الْعُلُومُ لِإِصْلَاحِ النَّفْسِ. فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَشَاهِيرِ الْأُمَّةِ وَجَدَ مَنَازِلَ عَالِيَةً بِالتَّرَبُّيِ تَحْتَ ظِلِّ شَيْخٍ كَامِلٍ، وَإِنْ أَرَادَ الْيَوْمَ سَائِلُكَ أَنْ يَبْلُغَ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَكَ هَذِهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي وَجَدَ بِهَا السَّلَفُ الصَّالِحُونَ نِعْمَةً الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

عَلَامَاتُ الشَّيْخِ الْكَامِلِ:

لَا بُدَّ لِلْعَالِمِينَ عَلَى مَسْنَدِ الْإِرْشَادِ مِنْ وَجُودِ صِفَاتٍ حَسَنَةٍ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

فِي إِخْدَى الْيَدَيْنِ كَأْسُ الشَّرْبَةِ وَفِي الْأُخْرَى قِلَّةُ حُبِّ اللَّهِ
كُلُّ مَتَّبِعِ أَهْوَاءِ النَّفْسِ لَا يَعْرِفُ اسْتِغْدَامَ أَحَدٍ هَذِينَ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (لَا بُدَّ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ مِنْ وَجُودِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْآتِيَةِ كَامِلَةً: الشَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُوبِ، وَالْإِنْبَاءُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالِاسْتِغْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ)، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّيْثَةِ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِيَكُونَ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ، قَالَ شَاعِرٌ:

سَلَّمْنَا أَنْكَ أَسْتَاذَ الْغَضَرِ وَشَيْخَ الْهُدَى
وَلَكِنْ أَخْبَرْنِي هَلْ أَنْتَ رُسُلِي

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِلشَّيْخِ الْكَامِلِ عَلَامَاتٍ هِيَ:

١ - أن يكون صاحب نسبة. (مجازاً من شيخ من المشايخ عموماً بنشر السلسلة).

٢ - أن يكون صاحب علم. (الجاهل كالأعمى ومن يتخذ الأعمى دليلاً يهوي في الحفرة).

٣ - أن يكون صاحب تصرف (أي بضدق عليه) ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢].

٤ - أن يكون صاحب إرشاد (وهذه الصفة ليست لازمة بل هي أولى).
ومن لم يتصف بهذه الصفات الأربع فليس بشيخ أبداً. قال شاعر:
ههنا ألف نكبات أدق من الشعر
وليس كل من يخلق رأسه يعرف الإصلاح
ذكر الشيخ ابن عربي للشيخ الكامل ثلاث صفات: ١ - له دين
كدين الأنبياء. ٢ - له تدبير كتدبير الأطباء. ٣ - له سياسة كسياسة
الملوك. قال شاعر:

هذا هو إمام زمانك حقيقة الذي
يسيرك عن كل خاضر وفؤجود
يريك في مرآة الموت وجه الحبيب
يجعل حياتك أشد ضغوبة
يشعرك إحساس الفقدان ويحرك ذمك
يحدك بالفقر ويجعلك شيقاً

الشيخ الكامل في تادي الرأي كعامة الناس، ولكن يختلف عنهم كثيراً في الباطن، كالماء المر، والماو العلوي، الصورة واحدة والسيرة مختلفة. أكل الفاسق والصالح خبزاً واحداً ينشأ في أحدهما الشهوة، وفي الثاني العشق الإلهي. أثبت الأرض

قَصَبَيْنِ: أَخَذَهُمَا صَارَ قَصَبَ الْقَلَمِ، وَالثَّانِي قَصَبَ الشَّكْرِ، أَكَلَ
الطَّبِيحَانِ عُشْبًا وَاحِدًا خَذَتْ فِي الْوَاحِدِ الْبُعْرَاتِ، وَفِي الثَّانِي
الْيَسْتَكُ. مَضَتْ الذَّبَابُ وَالشَّحْلُ مِنْ وَزْدٍ وَاحِدٍ صَارَ فِي الْوَاحِدِ
الْمَسْمُ، وَفِي الثَّانِي الْعَسَلُ، الشَّيْخُ الْكَامِلُ فِي الظَّاهِرِ كَعَامَّةِ النَّاسِ
وَفِي الْخَفِيَّةِ يَخْتَلِفُ عَنْهُمْ. قَالَ شَاعِرٌ:

لَا تُرَقِّقْ فِي الْأَفَاظِ وَالْمَعَانِي وَلَكِنْ
أَذَانُ الْمَطْوَعِ شَيْءٌ وَأَذَانُ الْمُجَاهِدِ شَيْءٌ آخَرُ
بِطَيْرَانٍ فِي فِضَاءٍ وَاحِدٍ وَلَكِنْ
لِلشَّيْءِ عَالَمٌ وَلِلْمُشَاهِدِينَ عَالَمٌ آخَرُ

فَإِنْ تَبَيَّنَ لِسَالِكٍ شَيْعُ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِذَلِكَ وَأَنْ
يَرْى صُحْبَتَهُ كَالْكَيْمِيَاءِ الْأَحْمَرِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ تَبَيَّنَ لِأَحَدٍ شُعَيْبٌ فَالْمَسَافَةُ
بَيْنَ الرُّغْيِ وَالْكَلِيمَةِ قَدْ مَاتَ

الباب السادس

في آداب الشيخ

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا فِي يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
 (الحجرات: ١) وقال في مقام آخر: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾
 (الحجرات: ٢). المقصود من الآيات البيّنات توجيه المؤمنين إلى الآداب
 قال عليه الصلاة والسلام: «أُذِنِي رَبِّي فَأُحْسِنُ تَأْدِيبِي».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

فَعَلِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُسَالِكِ مِنْ رِعَايَةِ الْآدَابِ. قَالَ

قَائِلٌ:

غرض اسے دل بھری محفل میں طاعت نہیں اچھا

اب بکلا قرین ہے محبت کے قرینوں سے

تَرْجَمَتُهُ: اهدأ يا قلبُ فإنَّ الجَهْرَ لا يحسنُ في المَجْلِسِ المَحَافِلِ (إِ
 الأدبِ أولُ درجةٍ من درجاتِ المحبَّةِ).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو حَفْصٍ رَجَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ أَدَبٌ).

وَقَالَ شَاعِرٌ:

أَذْبُوا النَّفْسَ أَيُّهَا الْأَصْحَابُ طَرِيقُ الْعِشْقِ كُلُّهَا آدَابُ

نَذَكَّرُ فِيمَا يَلِي عِدَّةَ آدَابٍ، لَا بُدَّ لِلْمُسَالِكِ مِنَ الْمُحَافَظَةِ
 عَلَيْهَا، وَأَيُّ مَنَالِكٍ يَتَأَدَّبُ بِهَا سَوَّفَ يَرْتَقِي بِسُرْعَةٍ، وَإِنْ تَغَفَّلَ بَعْدَ
 مَعْرِفَةِ الْآدَابِ حَرَمَ مِنَ النِّعَمِ المَاطِنَةِ. رُوِيَ هَذِهِ الْآدَابُ عَنِ
 الشَّيْخِ عَبْدِ المَالِكِ الصَّدِيقِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَأُخِذَتْ كَمَا هِيَ مِنْ

الشجرة الطيبة، ثم أضيفت إليها أشياء لا يضطرار الحاجة إليها بعنوان الفائدة لشرحها لتيسير تفهيمها على السالكين كما أنما رُفعت السجادة بالطلس.

الأدب الأول: لا ينظر السالك إلى ظاهر حال المرشد وأُسرته ووجاهته ومهنته ولا يحتقره، بل ينظر إلى تلك النعمة والفيضان اللذين وهبهما الله تعالى للشيخ وسائر لعمري لمعرفة الله تعالى، وبستيد من صُحبته بكمالي الصديق واليقين.

قائدة: مريض يأخذ العلاج من الطبيب لمهارته في الطب لا ينظر إلى ظاهر حال الطبيب، ولا إلى وجاهته. هكذا ينبغي للسالك أن ينظر إلى نعمة الشيخ الباطنية لا إلى شيء آخر منه. عن سهل بن سعد الساعدي رحمه الله أنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجل من أشرف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع. فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا».

[بخاري مع حاشية السندي ج 3 ص 121 باب فضل الفقر من كتاب الدعوات، وقال النووي: متفق عليه - انظر رياض الصالحين مع شرح نزعة المستفين ج 1 ص 265]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صُوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

[اسلم ج 3 ص 1987 بتحقيق فؤاد عبد الباقي]

كان غمُر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيدنا، وأغثنق سيدنا،
يعني بلالاً.

[صحيح البخاري مع حاشية السندي ج ٢ ص ٣٠٦]

وكان يقوم عندما يرى بلالاً في زمن خلافته ويقول: جاء سيدنا
بلال رضي الله عنه، فعلم أن الظاهر من البهاء والعظمة والكرامة ليس
بشيء عند الله تعالى، فعلم السالك أن لا ينظر إلى ظاهري أحوال الشيخ،
بل ينظر إلى بطنه الباطني والحق أن عرض العطشان الماء البارد، فلا
يياي أن الماء في كأس التراب أو إناء لامع من الفضة. وأما القومية فقال
تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ شُعوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

حكى أن الشيخ ماهر علي شاه ياتع على يد الشيخ شمس الدين
السيالوي رحمه الله، فقال رجل: كيف ياتع علي يد بدوي وأنت
شريف؟ فأجاب الشاه: رأيت أرض الزارع خضراء فباتعته.

الأدب الثاني: ليعتقيد السالك أن عرشه أنفع الناس له، وأن أمر
إصلاح الباطن وخضوع المعرفة يتيسر من هذا المرتبة ولا يكن آقافاً،
وإن التفت إلى جهة أخرى يخرم من القبوض والهزكات.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿وَقَوْفٌ كُنُوزٌ عَلَى عِلْمٍ﴾ [يوسف: ١٧٦].

فتقول: إن الشيخ قد لا يكون أعلم لكنه في حق السالك أنفع البتة
فما يتيسر للم طفل من الحب والشغفة من أمه لا يتيسر من امرأة أخرى،
مع أن النساء الآخر يمكن أن يكن أفضل من أمه عقلاً وأحسن خلقاً
وأطيب في صفات أخر.

وما أحسن ما قيل:

إن حب الأم جبل هملأ لم يستطع أحد أن يبلغ شامخاتها.

إِنْ حُبَّ الْأُمُّ هُوَ بَخْرٌ عَمِيقٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ أَحَدٌ إِلَى عُمُقِهَا.
 حَتَّىٰ الْأُمُّ زَهْرٌ دَائِمٌ الْيَهْجَةُ لَا يَوْتِرُ عَلَيْهِ الْخَرِيفُ وَالرَّيْبُ.
 هَكَذَا السَّالِكُ مَا يَجِدُ مِنَ النُّفْعِ عِنْدَ الْمُرْشِدِ لَا يَجِدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ.

السَّالِكُ يَفْتَحُ لَهُ بَابُ الْإِفَاضَةِ قَدْرَ حُسْنِ ظَنِّهِ فِي مُرْشِدِهِ. كَانَ
 مُرْشِدُ مَجْدِدِ الْأَلْفِ الثَّانِي الشَّيْخُ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَادِئًا قَلِيلَ الْمَقَالِ
 جَدًّا. مَرَّةً قَالَ لَهُ شَخْصٌ: عِظْ لَنَا يَا سِنْدِي حَتَّى يَسْتَفِيدَ السَّالِكُونَ،
 فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئًا مِنْ سُكُونِنَا لَنْ يَنْفَعِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِنَا.

قَالَ خَفْصَرَةُ مَجْدِدِ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (كُنْتُ أَنَا
 وَسَالِكَانِ ثَلَاثَةً أَخُوهُ فِي الطَّرِيقَةِ وَظَنُّونَا فِي حَقِّ الْمُرْشِدِ مُخْتَلِفَةً. كَانَ
 أَحَدُنَا يَظُنُّ أَنَّ الشَّيْخَ كَامِلٌ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ مُكَمَّلٍ لِلآخَرِينَ، وَكَانَ يَظُنُّ
 الثَّانِي أَنَّ الْمُرْشِدَ كَامِلٌ وَلَكِنْ لَيْسَ بِضَاحِبِ إِرْشَادٍ، وَكَانَ ظَنِّي أَنَّهُ إِنْ
 تَبَسَّرَ لِأَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمَةِ شَيْخٌ كَامِلٌ فَهُوَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ تَبَسَّرَ لَهُ
 النَّبِيُّ ﷺ، أَوْ تَبَسَّرَ لِي بَعْدَهُ شَيْخٌ كَامِلٌ، فَمِنْ حُسْنِ ظَنِّي هَذَا اجْتَبَانِي
 اللَّهُ تَعَالَى لِتَجْدِيدِ هَذَا الدِّينِ فَصَارَ مَجْدِدًا لِلأَلْفِ الثَّانِي، فَعَلَى
 السَّالِكِ أَنْ لَا يَكُونَ أَفْقَا وَلَا يَلْتَمِثَ إِلَى غَيْرِ مُرْشِدِهِ لِكَسْبِ الْفَيْضِ،
 وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَشْفِهَ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَرَفْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضَ مِنْ
 قَبْلِ﴾ [الفصل: ١١٢].

الأدب الثالث: وَلْيُمْكِنُ كَامِلُ الْإِطَاعَةِ لِمُرْشِدِهِ لِأَنَّ بَابَ الْفَيْضِ لَا
 يَفْتَحُ بِغَيْرِ حُبٍّ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ وَمُقْتَضَى الْحُبِّ الطَّاعَةُ وَالْخِدْمَةُ.

فائدة: سَقَرُ الْهَيْجَرَةِ لِسَيِّدِنَا الصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثَالُ نَادِرٍ
 عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ لِطَاعَةِ الْمُرْشِدِ وَخِدْمَتِهِ وَحُبِّهِ وَحُسْنِ اعْتِقَادِهِ. جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ
 لَيْلَةَ الْهَيْجَرَةِ إِلَى بَيْتِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أُذِنَ لِي فِي
 الْخُرُوجِ وَالْهَيْجَرَةِ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: «الضَّحْبَةُ». قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما شَعَرْتُ قط قُبُلَ اليوم أن أحدا يَبْكِي مِنَ الفَرَحِ حَتَّى رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! إِنَّ هَاتَيْنِ رَاجِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَغْدِدُهُمَا لِهَذَا، وَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْمَعَ لَهُمَا مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا نَهَارَهُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْحَبَرِ، وَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ قُهَيْبَةَ تَوَلَّاهُ أَنْ يُرَاقِبَ عَنَمَةَ نَهَارَهُ ثُمَّ يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا (يَأْتِيهِمَا) إِذَا أَمْسَى فِي الْغَارِ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِيهِمَا مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَمْسَتْ بِمَا يُضِلُّهُمَا. وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْغَارِ لَيْلًا فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُبُلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَسَ الْغَارَ لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبْعٌ أَوْ خَمْسَةٌ؟

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ اخْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ، خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، فَأَتَقَلَّقَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَّالَةَ، وَهَدَى دَهَبَ بَصْرَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ قَدْ لُجِعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوفَةٍ فِي الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ مَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ ضَمَّ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ، قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِذَا كَانَ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ، وَلَا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَسْكَنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ.

أَصِيبُ الشَّيْخِ دُوسْتُ مُحَمَّدِ الْقُنْدَهَارِيِّ رَجَمَهُ اللَّهُ مَرَّةً بِمَرَضٍ فَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُثْمَانُ الدَّمَانِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَخْرُجُ مِنْ قَرْيَةِ مَوْسَى زَيْدِي الشَّرِيفَةِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ إِلَى بَلَدَةِ دَرَابِنَ وَبَيْنَهُمَا قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا فَيَأْخُذُ الدَّوَاءَ وَيَرْجِعُ، ثُمَّ يَسْتَقِفُّ فِي تَمْرِضِهِ طَوِيلَ اللَّيْلِ. فَعَلَّ ذَلِكَ أَبَا مَأْمُودٍ الْمُتَوَاصِلَةَ. اسْتَقِفَّ الشَّيْخُ عَبْدُ الْمَالِكِ مِنْ سُكَّانِ شَوْكٍ قَرِيبِي

فِي رُحْمِي غَنِمَ الشَّيْخُ فَضَّلَ عَلِيَّ الْقَرِيشِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيباً مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً حَتَّى صَارَ مَعْرُوفاً بِاسْمِ (بَكْرٍ وَالِ) وَمَعْنَاهُ (رَاعِي الْغَنَمِ). أَخْبَرَ مُرْشِدُ
الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْمَالِكِ الصَّدِيقِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اشْتَرَى
مَرَّةً شَنْقَلَةً ثَمِينَةً جَدًّا وَقَالَ بَعْدَ مَا سَنَلُ: مَا ضَعُ فِيهَا أَخْبَاراً لِمُسْتَنْجَاهِ
مُرْشَدِي. تَقُولُ الْعَرَبُ: إِنَّ الْمَحَبَّ لِمَنْ يَحِبُّ مَطْبُوعٌ، وَهَذَا الْحُبُّ
وَالْخِدْمَةُ أَسْبَابُ جَلْبِ الْفَيْضَانِ.

الأدب الرابع: لِيَتَّخِذَ الشَّيْخُ مَا اسْتَطَاعَ خِدْمَةً مَالِيَةً وَخِدْمَةً بَدَنِيَّةً
وَلَا يَمْنُ عَلَيْهِ، بَلْ يَحْتَرِفْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الشَّيْخِ أَنَّهُ تَفَضَّلَ بِقَبُولِ الْخِدْمَةِ وَلَا
يَطْلُبُ مُقَابِلَتَهُ شَيْئاً وَلَا يَطْمَعُ، وَلِيَتَّخِذَهُ مَا اسْتَطَاعَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى
يَفُوزَ بِكَمَالِ الْإِيمَانِ.

فائدة: قَالَ السَّيُوطِي: أَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ فِي السُّنَنِ، وَالتَّبَعِيُّ فِي
تَفْسِيرِهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ
النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَعَلَيْهِ عِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ
بِخِلَالٍ، فَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا لِي أَرَى أَبَا
بَكْرٍ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ قَدْ خَلَّلَهَا فِي صَدْرِهِ بِخِلَالٍ؟ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ أَتَفْقَهُ مَا لَهُ
عَلَيَّ قَبْلَ الْفَتْحِ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ: قُلْ لَهُ:
أَرْضِ أَنتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا أَمْ مَسَاحِطٌ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اسْعِطْ عَلَيَّ
رَبِّي؟ أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٩]

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْقِصِي فِي مَالِ أَبِي
بَكْرٍ كَمَا يَفْقِصِي فِي مَالِهِ نَفْسَهُ.

[تاريخ الخلفاء ص ٣٨]

سَبَّحَانَ اللَّهِ، يَا حَبِذَا سَائِلِكَ يَتَّخِذُ الشَّيْخَ وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِإِحْسَانٍ.

كما قال قائل:

مفت منه كخدمه سلطان چه گي منه از و شاس كه بخدمت گذاشت

ترجمته:

لا تَمُتَنَّ عَلَى السُّلْطَانِ إِنَّكَ تَعْبُدُهُ
اعْتَرِفْ مِنْهُ بِإِحْسَانٍ إِنَّهُ فِيمَا لَكَ لِعِبَادَتِهِ

الأدب الخامس: يُسْرَعُ فِي اتِّبَاعِ أَمْرِ الْمُرْشِدِ، وَلَكِنْ لَا يَتَّقِدْ بِفِعْلِهِ بَعِيرٍ إِذْنِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَفْعَلُ حَسَبَ حَالِهِ وَمُرْتَبَتِهِ، وَفِيهِ ضَرَرٌ لِلْمُتَالِكِ لَارْتَعَاةٍ مِنْ مُسْتَوَاهِ، وَلَكِنْ يَتَّقِدِي بِقَوْلِهِ لِيَنْشَأَ الْمَحَبَّةُ وَالْمُنَاسَبَةُ بِالشَّيْخِ.

قائده: هذا الأدب مأخوذ من الحديث الشريف، رَوَى أَنَسُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَأَبُو سَعِيدٍ، وَعَائِشَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوِصَالِ، وَفِي رِوَايَةٍ: شَفَقَةُ لَهُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تَوَاصَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَيُّكُمْ عِثْلِي؟ إِنْ أَيْتَ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِيَنِي»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فَاكْمُلُوا مِنَ الْعِثْلِ مَا تُطِيقُونَ».

[البخاري رقم ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ ج ١ ص ٣٨، ٣٩ بتحقيق فؤاد

عبد الباقي]

يَتَّبِعِي لِلْمُتَالِكِ أَنْ يُسْرَعَ فِي امْتِتَالِ أَمْرِ الْمُرْشِدِ وَإِنْ رَأَى يَسْتَفِيزُ فِي عَمَلٍ حَاصٍ يَسْتَأْذِنُهُ وَيَتَخَذُهُ بَعْدَ إِذْنِهِ، إِنْ لَمْ يُوْذَنْ لَهُ يَطْلُنْ نَفْسَهُ ضَعِيفاً نَائِضَ الْهَمَّةِ وَيَعْتَرِفُ بِإِسْرَافِهِ أَنَّ عَمَلَ الْمُرْشِدِ أَقْوَى لِيَنْشَأَ الْحُبُّ وَالْمُنَاسَبَةُ بِالْمُرْشِدِ.

الأدب السادس: وَفِي مَجَالِسِ الْمُرْشِدِ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ بِحَذَاهِيرِهِ، فَلَا يَفْرَأُ وَزْدَأُ وَلَا يُصَلِّي نَائِلَةً بَعِيرٍ إِذْنِهِ إِلَّا الْقَرَأَتَيْنِ وَالسُّنَنَ، بَلْ يَتَّقِيْمُ صُحْبَتَهُ الْمُؤَثَّرَةَ أَثَرُ كِيَمِيَاءِ لِبَحْدٍ مِنْهُ نَظَرَةُ الشُّفْعَةِ وَلِيَأْخُذَ نَصِيحَتَهُ مِنْ نِيْغَمَتِهِ الْبَاطِلَةِ. قَالَ مَشَايِخُ الْعَرَبِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِنْ

رَبَطَ الْقَلْبَ بِقَلْبِ الشَّيْخِ حَتَّى خَضِرَهِ أَنْفَعُ مِنَ الْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ .

فائدة: الْحِكْمَةُ عَنِ الشَّيْخِ عَنِ الثَّقَلَيْنِ وَالْوَزْنِ بَيْنَ بَدْيِ الشَّيْخِ أَنْ
لِلسَّالِكِ أَنْ يَعْمَلَ هَذَا فِي غَيْبِهِ أَيْضاً ، فَلْيَسْتَفِذْ مِنْ صُحْبَةِ الشَّيْخِ الْفَائِدَةِ
الْبَاطِنِيَّةِ ، وَلْيَلْتَفِتْ إِلَيْهِ الْتَفَاتاً تَامّاً سَمْعاً وَفِكْراً .

یک چشم زدن غافل از اس شادمانه باشی شاید کردا ہے کدآ کا دہاشی

ترجمتہ :

لَا تَغْفُلْ عَنِ ذَلِكَ السَّالِكِ طَرَفَةً عَيْنٍ
عَسَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ

إِنَابَةُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ يُقَالُ لَهَا: الْوُقُوفُ الْقَلْبِيُّ ، وَأَمَّا الرِّابِطَةُ الْقَلْبِيَّةُ
فَهِيَ أَنْ يَظُنَّ السَّالِكُ نَفْسَهُ خَالِئاً وَيَرْبِطُ قَلْبَهُ بِقَلْبِ الشَّيْخِ وَبِحَسَبِ أَنَّهُ
يَأْتِيهِ الْفَيْضُ فِي قَلْبِهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ ، يَرْتَقِي السَّالِكُ بِالذِّكْرِ أَيْضاً
وَبِعَنَایَاتِ الْمُرْشِدِ أَيْضاً ، وَالسَّبِيلُ الَّذِي يَعْبُرُ بِدُونِ مُرْشِدٍ فِي سَنَوَاتٍ
يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ بِعَنَایَاتِ الْمُرْشِدِ فِي سَاعَاتٍ .

ولذا قيل :

یک زمانہ صحیحہ بالاولیاء بہتر از صد سالہ طاعت سہرہ یا

ترجمتہ : مُجَالَسَةُ الْأَوْلِيَاءِ جَيِّدًا مَا خَيْرُ مِنْ عِبَادَةِ هَائِلَةِ سَنَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ
الرَّيَاءِ .

قال الشيخ محمد معصوم رحمه الله :

سایہ بہتر بہتر از صد سالہ طاعت

ترجمتہ : ظَلَّ الشَّيْخُ أَنْفَعُ لِلسَّالِكِ مِنْ ذِكْرِ الْحَقِّ .

قَالَ غَارِفٌ : إِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَأَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُمْ ، وَإِذَا
جَلَسْتُمْ فِي مَجَالِسِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَأَمْسِكُوا قُلُوبَكُمْ ، وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَحَافِلِ

الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ فَأَتَمَّسِكُوا أَبْصَارَكُمْ، وَجَدَّ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةَ سَاعَاتٍ مَا لَمْ يَجِدْ غَيْرَهُمْ مِنْ مُجَاهِدَاتِ الْقَلْبِ سَنَةً. وَمِنْ آيِنَ إِلَى آيِنَ أَيْلَغَتْ حَبَازًا نَظْرَةً وَاحِدَةً مِنَ الشَّيْخِ الْبَاقِي بِاللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الأدب السابع: لِيَجْلِسَ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ مُتَأَدِّبًا مُتَوَاضِعًا مُتَاكِئًا وَلِيَسْتَمِعَ كَلَامَهُ الطَّيِّبَ بَغَايَةَ فِكْرٍ، وَلَا يَنْتَظِرَ بَمِينًا وَشِمَالًا، وَلَا يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَلِيَسْكُتْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ بِكَلَامٍ مُوجِزٍ، وَلِيَسْتَنْظِرَ جَوَابَهُ بَغَايَةَ التَّوَجُّهِ، وَلِيَتَكَلَّمَ بِهَدْوٍ وَرَفَقٍ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ عَلَى صَوْتِ الْمُزِيدِ، وَلَا يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ تَكُونُ سَبَبَ ضَيْقٍ أَوْ خِفَّةٍ لِلْمُرِيدِ.

فائدة: عِنْدَمَا يَسْتَمِعُ السَّالِكُ إِلَى مُوَعِّظَةِ الشَّيْخِ بِقَلْبٍ صَادِقٍ يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِقِيَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٧].

وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِلْهَاءِ عَنِ التَّكَلُّمِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ مُتَفَكِّرًا يَتَفَكَّرُ فِي نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ يُلْقِي نَوَاجِذَهُ الْبَاطِنِيَّةَ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْإِلْهَامَ أَوْ يَكُونُ مُتَفَكِّرًا فِي أَمْرِ هَامٍ، فَالْكَلَامُ بِدُونِ الْإِذْنِ حَيْثُ يُوَدِّي إِلَى انْقِبَاضِ الطَّبَعِ.

وَأَيْضًا لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ أَثْنَاءَ الْكَلَامِ عَلَى صَوْتِ الْمُرْشِدِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَاسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِنْصَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى مُحْكَمِ الْإِنْصَابِ لِلْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ. لِيَسْتَمِعَ إِلَى كَلَامِ الْمُرْشِدِ بَغَايَةَ فِكْرٍ، وَقَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ: لِيَكُنِ الْمُرْشِدُ لِسَانًا وَالسَّالِكُ أُذُنًا.

الأدب الثامن: لا يميز نفسه بحضرة الشيخ، بل يظهر نفسه خفيرة محتاجة ممتلئة بالطلب والشوق.

فائدة: لا يتكلم بين يدي المرشد بكلام يظهر به التفوق العلمي على الحاضرين، ولا يظهر جلالة أو هيبة النبوية، ولا يظهر بعمله أنه مستشار الشيخ أو صاحب سره، ولا أن المرشد عطف عليه، فجميع هذه الأمور تسمن النفس وتدل على الأتانية، فليلتزم الطاعة والتواضع ما استطاع.

زمی کی طرح جس نے عاجزی و انکساری کی خدا کی رحمتوں نے اس کو ملایا آسمان ہو کر

ترجمہ :

مَنْ تَوَاضَعَ مِثْلَ الْأَرْضِ وَتَدَلَّلَ

تَصْبَحُ لَهُ رَحْمَاتُ رَبِّهِ سَخَاءً وَتَغْنَمُهُ

الأدب التاسع: لا يقعد مقعد المرشد، ولا يضع قدمه على سجادة.

فائدة: أصله عمل سيدنا الصديق رضي الله عنه. روي أن النبي ﷺ كان يخطب على الدرجة الثالثة أي العالية من المنبر، وكان الصديق رضي الله عنه زمن خلافته يخطب على الدرجة الثانية، وهذا من الأدب. وإنما ينهى عن الصلاة على سجادة المرشد لأن فيه ادعاء المساواة ظاهراً.

الأدب العاشر: لا يأكل ولا يشرب ولا يتوضأ بين يديه بغير إذنه، ولا يستعمل إناءه، ولا يتطهر ولا يتوضأ مقام طهارته ووضوئه، ويحترمه في عيته كما يحترمه بحضرته حتى يفور بالإخلاص.

فائدة: لا يستعمل بين يدي المرشد في الأكل والشرب بغير الإذن حتى يأذن له الجلوس فيجلس على المائدة، وإن لم يأذن تأخر بطيب

الْقَلْب. تَنْظُرُ عَيْنُ الْمُرْشِدِ مَا لَا تَنْظُرُهُ عَيْنُ السَّالِكِ. دُسْتُورُ مَشَايِخِ السَّلْسَلَةِ الْمُنَادِلَةِ الْعَالِيَةِ أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ الْفُيُوضَاتِ وَالتَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَاكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَيُطْعِمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ، وَبَعْضُ الْمَشَايِخِ مِنْهُمْ يَأْخُذُونَ بِالْمِيشَاقِ مِنَ الْخُلَفَاءِ عِنْدَ التَّخْلِيفِ أَنْكُمْ سَوْفَ تُلْقَوْنَ التَّوَجُّهَاتِ فِي الْمَاكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَتُقَدِّمُونَهَا لِلْسَّالِكِينَ.

رُويَ فِي كُتُبِ التَّصَوُّفِ الْمَعْتَبَرَةِ أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ أَطْعَمَ السَّالِكَ شَيْئاً عِنْدَ التَّخْلِيفِ. كَانَ الشَّيْخُ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَتَابِعُ جَمِيعَ السَّالِكِينَ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى الْمَائِدَةِ مُتَابِعَةً دَقِيقَةً، وَكَانَ يَرْبِّي زُجْرًا وَتَوْبِيخًا وَكَانَ يَقُولُ: رَأَيْتُ شَيْخَ الْحَدِيثِ مَوْلَانَا مُحَمَّدَ زَكَرِيَا رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ قَوِيَّ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَائِدَةِ حَتَّى مَنْ خَضِرَ مَائِدَتَهُ عِدَّةً مُرَاتٍ اغْتَدَلَتْ عِدَّةُ تَعَوُّجَاتِهِ.

وَلَا يَبْدَأُ بِالْأَكْلِ قَبْلَ الشَّيْخِ، فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الصُّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا لَا يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ فِي الطَّعَامِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْدَأُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٢ ص ٣٢١ حديث رقم ٢١١٨]

حِكَايَةُ: وَصِفَتْ لِلشَّيْخِ الْحَاجِّ أَمْدَادُ اللَّهِ الْمُهَاجِرِ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَائِدَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى أَطْعَمَةٍ لَذِيذَةٍ، وَكَانَ مَوْلَانَا رَشِيدُ أَحْمَدِ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَاضِرًا فِي خِدْمَتِهِ، فَوَضَعَ الشَّيْخُ الْحَاجُّ خَبِزًا وَغَدَسًا قَلِيلًا فِي الطَّبَقِ وَوَضَعَهُمَا فِي يَدِ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَالَ: اجْلِسْ بِحِجَبِ الْمَائِدَةِ وَكُلْ هَذَا الطَّعَامَ فَتَجْعَلَ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَأْكُلُ بِكُلِّ رَغْبَةٍ وَسُرُورٍ. قَالَ الْحَاجُّ بَعْدَ لَحْظَةٍ زَاجِرًا: أَيُّ زَنْبِيدٍ أَحْمَدُ! كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَجْلِسَكَ فِي مَوْضِعِ الْأَحْذِيَّةِ، وَلَكِنْ أَكْرَمْتُكَ وَأَجْلَسْتُكَ عَلَى الْمَائِدَةِ، ثُمَّ تَابَعَ الْحَاجُّ انْطِبَاعَاتِ وَجْهِهِ، فَقَالَ الْكَنْكُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَغَايَةِ ادِّبْ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي إِنِّي أَهْلُ أَنْ أَجْلِسَ فِي مَوْضِعِ الْأَحْذِيَّةِ، وَهَذَا

فَضَّلْ مِنْكَ وَإِحْسَانٌ. فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ الْحَاجَّ أَنَّهُ مَا تَأَزَّتْ نَفْسُهُ بِسَمَاعِ
هَذَا الْكَلَامِ الْمَرَّةَ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ظَهَرَتْ ثَمَرَاتُ الذِّكْرِ.

الأدب الحادي عشر: لَا يَبْسُطُ رِجْلَيْهِ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي يُجْلِسُ عَلَيْهِ
الْمُرْشِدَ وَلَا يَبْصُقُ إِلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ حَاسِبًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

قائدة: كَرِهَ الْفُقَهَاءُ بَسْطَ الرِّجْلَيْنِ وَالْبَصُقَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ، وَإِنْ
لَمْ تَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِأَنَّهُ يَبْسُطُ إِلَهُ مَرْكَزُ الْأَنْوَارِ وَالتَّجَلِّيَّاتِ، هَكَذَا قَالَهُ
الْمُرْشِدُ مَوْرِدُ التَّجَلِّيَّاتِ الدَّائِيَّةِ، فَوَجِبَتْ مَرَاعَاةُ تِلْكَ الْأَدَابِ لِلْمُرْشِدِ.
رَوَى ابْنُ مَيَّاحَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ:
رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَيْتُكَ وَأَطْبَبْتُ رِجْلَيْكَ،
مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ
أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكَ مَالُهُ وَذَمُّهُ وَإِنْ نَظَرْنَا بِهِ إِلَّا خَيْرًا».

[سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٢٩٧]

الأدب الثاني عشر: لَا يَضَعُ قَدَمَيْهِ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ وَلَا يَقُومُ مَا
اسْتَطَاعَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ.

قائدة: رُطِءَ شَيْءٌ تَحْتَ الْقَدَمِ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْقَارِهِ، فَلَا يَنْبَغِي
لِلسَّالِكِ أَنْ يَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى ظِلِّ الْمُرْشِدِ لِنَلَا يُشْتَبِهَ اسْتِخْقَارُهُ، فَيَحَاوِلُ أَنْ
لَا يَقَعُ ظِلُّهُ عَلَى الْمُرْشِدِ، لِأَنَّهُ انْقِطَاعُ الضَّمِيرِ قَدْ يَسَبِّبُ الْاضْطِرَابَ
الطَّبِيعِيِّ. وَلَا يَحْسِبُ هَذِهِ الْأَدَابَ بَسِيطَةً، لِأَنَّ الْأَدَابَ الصَّغِيرَةَ عِنْدَمَا
تَجْتَمِعُ تَصْبِحُ كَثِيرَةً زَلِيلَةً، وَقَدْ قِيلَ: إِنْ حَبَّةٌ لَا تَمَلَأُ كَوْمَةً، لَكِنْ تُسَاعِدُ
خُبْرًا تَمَلَأُ كَوْمَةً.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيْمِ: لَا تَسْتَصْغِرُوا ذُنُوبًا بَلْ انْظُرُوا إِلَى عَظَمَةِ مَنْ
تَعْبُودُهُ. وَبِنَاءً عَلَى هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: لَا تَسْتَخْفِرُوا أَذْنًا بَلْ رَأَوْا ذَاتَ
الْمُرْشِدِ الَّذِي أَصْبَحَ وَسِيلَةً لِلْوُضُوءِ إِلَى الْمَالِكِ الْعَقِيبِيِّ. خَشِيَ الشَّيْخُ

مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ طَالِباً صَادِقاً حَضَرَ فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ فَضَّلَ عَلَيِ الْقَرِيبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ: إِنَّ لَطَائِفِي تَوَقَّعْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ لَا أَذْرِي مَا سَبَبُهُ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: انْظُرْ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ارْتِكَابُ سُوءٍ أَكْثَرُ وَيَكُونُ هَذَا جَزَاءَهُ، فَفَكَّرَ طَوِيلًا حَتَّى تَذَكَّرَ أَنَّ عَصَا الشَّيْخِ كَانَتْ مَوْضُوعَةً قَبْلَ أَيَّامٍ وَهَذَا السَّائِلُ جَاوَزَ عَلَيْهَا فَجَعَلَتْ لَطَائِفُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

الأدب الثالث عشر: لَا يَمْشِي أَمَامَ الشَّيْخِ وَلَا يَسْتَحْيِي فِي الْمَشْيِ خَلْفَهُ بَلْ يَحْسِبُهُ سَعَادَةً.

قاعدة: الْمُرَادُ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمَشْيِ أَمَامَهُ أَلَّا يَتَقَدَّمَ فِي النَّهَارِ بِلَا حَاجَةٍ، فَإِنْ اضْطُرَّ إِلَى الْمَشْيِ أَمَامَهُ لِحَاجَةٍ فَلَا بَأْسَ، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّقَدُّمُ أَوْلَى كَالْمَشْيِ أَمَامَهُ لِيَلْأَ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ فِي الطَّرِيقِ حَيَوَانٌ مَوْذُورٌ أَوْ حُفْرَةٌ أَوْ حَجَرٌ يَزِلُّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَأْمُرُ الشَّيْخُ بِالتَّقَدُّمِ لِسَبَبٍ، فَالْتَّقَدُّمُ حَيْثُ نَدَى عَيْنٌ أَدَبٌ، إِذِ الْأَمْرُ فَوْقَ الْأَدَبِ.. خَرَجَ حَضْرَةُ مُرْشِدِ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ الشَّرِيفِ لِبِزَارَةِ شَخْصٍ فَقَالَ لِلْمُضِيْفِ: أَمْسِ أَمَامَنَا فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ الطَّرِيقَ فَقَالَ: لَا بَلْ تَقْدُمُ أَنْتَ يَا سَيِّدِي وَأَنَا أَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ، فَكُلَّمَا يَأْتِي لَفَةً فِي الطَّرِيقِ اخْتِاجَ الشَّيْخِ أَنْ يَنْتَقِي إِلَى الْخَلْفِ وَيَسْأَلُ: إِلَى أَيِّ جِهَةٍ نَذْهَبُ؟ فَأَمَرَ الشَّيْخُ بَعْدَ قَلِيلٍ مَرَّةً ثَانِيَةً أَنْ يَتَقَدَّمَ فَاغْتَدَّرَ وَقَالَ: لَا يَا سَيِّدِي أَنَا بِالْمُخَلَّفِ أَجْدَرُ. فَلَمَّا رَدَّ أَمْرَهُ مَرَّةً ثَالِثَةً بِهَذَا الْجَوَابِ رَفَعَ الشَّيْخُ عَصَاهُ غَاظِبًا وَقَالَ: هَلْ أَنْتَ شَيْخِي أَوْ أَنَا شَيْخُكَ فَجِئْتَنِي أَدْرُكُ الْحَقِيقَةَ وَتَقْدُمُ.

الْأَصْلُ فِي عَامَّةِ الْأَحْوَالِ أَلَّا يَتَقَدَّمَ الْمُرِيدُ الشَّيْخَ بِلَا حُضُورَةٍ، فَفِي غَيُوبِ الْأَخْبَارِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَمْرُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ تَعْلِيمِ وَتَرْبِيَةِ ابْنِهِ وَحَسَنَ تَأْذِيهِ فَقَالَ: مَا مَشَيْتُ نَهَارًا إِلَّا وَهُوَ خَلْفِي وَلَا مَشَيْتُ لَيْلًا إِلَّا وَهُوَ أَمَامِي وَلَا صَعَدْتُ سَقْفًا أَنَا شُحْتَهُ. قَالَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ شَيْخِي كَالْكَبْشِ الْآلِفِ.

الأدب الرابع عشر: يقوم المريد إذا قام الشيخ ويقعد بعد قعوده.

فائدة: من الإكرام أن يقوم المريد عندما يقوم الشيخ، ويجلس عندما يجلس الشيخ. بغض الناس يسألون أن النبي ﷺ نهى أصحابه مرة عن القيام، فلماذا يقوم الناس إكراماً في مجالس الشيخ؟ هؤلاء ما يقومون في هذا الموضع، وما يستخسبون الذين يقومون، وهذا السؤال ناشئ عن قلة العلم. من حسن الشريعة المحمدية أنه إذا كان في قضية فريقان يؤمر كل منهما بأداء حقوق الفريق الثاني حتى تستجيز الأمور بأسلوب حسن، وتقوم بينهما علاقة الحب والإكرام، ففي مجالس واحد أمرت الشريعة المريد بالقيام لتقدير الشيخ والامتثال بالحديث: «أنزلوا الناس عنازلهم».

[الجامع الصغير ج ١ ص ٤١٩]

ويجانب آخر أمر الشيخ أن يكره أن يقوم له الناس حتى يسلم من المعجب والكبير، فيزعم المريد القيام كالمواجب، وبأمر المريد بالرفق بالفعود حتى يبقى ارتباط الحب والاعتقاد.

أحاديث الثهي عن القيام مغروفة، ولتذكر معنا ثلاثة أحاديث عن القيام:

الأول: روى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بغض بيوت أزواج».

[رواه أبو داود رقم ٤٧٧٥ في الأدب باب في العلم، والنسائي ٨/

٣٣، ٣٤ في القسامة، جامع الأصول ج ١١ ص ٢٥٣، وبديل

المجهود ج ٥ ص ٢٣٥]

الثاني: روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «نزل أهل قريظة على حنم سعيد بن معاذ رضي الله عنه فأرسل

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ عَلَى جِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَرِيباً مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ».

[رواه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٩ واللفظ له والبخاري ج ٣ ص ٤٤]

فَقَامَ الْأَنْصَارُ إِكْرَاماً لِسَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَتَّبِعِي أَنْ يَقُومَ الْمُرِيدُ لِشَيْخِهِ عَمَلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَلَى صَاحِبِهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ.

الثالث: مَنْ أَمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ نِسَاءً يُصَلِّينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ انْصَرَفْنَ وَتَبَتِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ صَلَّى مَعَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَقُومُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٤٨]

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهَا قَالَتْ: كُنْ النِّسَاءَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الْمُكْتُوبَةِ قُضِيَ، وَتَبَتِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِذَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ الرِّجَالُ.

[مسند أبي يعلى الموصلي ج ٦ ص ٢٧٤]

الأدب الخامس عشر: لِيَكُنْ مَبَوءَ بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ وَيَغْنِيهِ وَلِيَجْعَلَ ظَاهِرَهُ كِبَائِلِيهِ أَيْ لَا يَكُنْ أَيْ اخْتِلَافٍ بَيْنَ مَا فِي قَلْبِهِ وَمَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ.

فائدة: الْمُرِيدُ الَّذِي لَا يَكُونُ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ الشَّيْخِ وَخَلْفَهُ هُوَ كَمَرِيضٍ يُخْفِي عَنِ الطَّبِيبِ مَرَضَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَرِيضَ لَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْمَرَضِ. كَأَنَّ مُرْشِدَ الْعَالَمِ يَقُولُ: (عَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يُبَيِّنَ كُلَّ مَا عِنْدَهُ لِمُرْشِدِهِ كَمَا يُبَيِّنُ الْبَيْتُ كُلَّ مَا لَهَا لِأَمَتِهَا). فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ كَمَا أَبَاحَتْ كُشِفَ السُّتْرُ عَنِ الطَّبِيبِ الْمَعَالِجِ كَذَلِكَ أَبَاحَتْ بِلِ أَوْجِبَتْ كُشِفَ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ لِلْعَالِجِ الرُّوحَانِيِّ أَمَامَ الْمُرْشِدِ. فَإِنَّ أَحْفَى الْمُرِيدُ عَلَى الْمُرْشِدِ يَتَحَمَّلُ هُوَ الْخَسَارَةَ.

قَالَ قَاتِلُ: إِنَّ أَغْلَقْتُمْ الْبَابَ لِإِخْفَاءِ الْغُيُوبِ لَا يَزَالُ الصَّدْقُ خَارِجًا
وَلَا يُقَيَّدُ الذِّكْرُ حِينَئِذٍ.

وَقَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ: مَا زِلْتُ ذَكَرْتُ حَتَّى سَجِقَ لِسَانِي لَكِنْ لَمْ
يَتَوَطَّنِ الذِّكْرُ مِنْ قَلْبِي فَقَدْ وَقَعْتُ فِي مَصِيبَةٍ أَلْقَيْتُ فِي مُنْبَلِّغِكَ عَقُودًا ثَقِيلَةً
وَسُبْحَةً وَلَكِنْ قَلْبُكَ مَغْفُودٌ بِالْآثَامِ فَكَيْفَ يُوَثِّرُ عَلَيْكَ الذِّكْرُ؟

الأدب السادس عشر: يَرَى جَمِيعُ أَقْوَالِ الْمُرْشِدِ وَأَفْعَالِهِ سَدِيدَةً وَلَا
يُخْطِئُهُ وَلَا يَأْتِي فِي الْقَلْبِ بِشُبْهَةٍ أَوْ شَكٍّ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ شَيْئًا يَذْكُرُ قِصَّةَ
سَيِّدِنَا مُوسَى وَسَيِّدِنَا خِضْرٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فائدة: الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمُرِيدِ وَالْمُرْشِدِ لَيْسَتْ كَعِلَاقَةِ التَّلْمِيزِ وَالْأَسْتَاذِ،
بَلْ كَعِلَاقَةِ الْمَرِيضِ وَالطَّبِيبِ، كَمَا أَنَّ الْمَرِيضَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَنْسَبَ الْخَطَأَ
إِلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّبِيبِ كَذَلِكَ لَيْسَ لِلْمُرِيدِ أَنْ يَنْسَبَ الْخَطَأَ إِلَى أَيِّ
شَيْءٍ مِنَ الْمُرْشِدِ. قَالَ الشَّيْخُ قَاضِي ثَنَاءِ اللَّهِ الْفَانِي فَتَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي
إِرْشَادِ الطَّالِبِينَ: (الْمُرْشِدُ إِنْ كَانَ مُوصُوفًا بِالِاسْتِقَامَةِ وَالتَّقْوَى، فَلَا يُوْجِهُ
إِلَيْهِ الْاِغْتِرَاضُ إِنْ صَدَرَ مِنْهُ أَحْيَانًا أَمْرٌ يُخَالِفُ الشَّرْعَ، بَلْ يَنْبَغِي تَأْوِيلُهُ
وَحَمْلُهُ عَلَى الْاضْطِرَارِّ أَوْ الْاسْتِغْرَاقِ أَوْ عَدَمِ وَقُوفِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ رَجُلًا
غَيْرَ مُتَّصِفٍ بِأَوْصَافِ الشَّيْخِ الْكَامِلِ وَطَرِيقِهِ طَرِيقُ فِسْقٍ، فَهَذَا الرَّجُلُ
لَيْسَ بِوَلِيِّ قَطُّ وَلَا يَنْبَغِي تَأْوِيلُ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ).

كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْدَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مُرْتَبِدَ الشَّيْخِ الشُّبْلِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ كَانَ قَدْ بَاتِعَهُ مِائَتُ أَلُوفٍ مِنَ
السَّالِكِينَ وَكَانَتْ مِائَتُ الزَّوَايَا عَامِرَةً بِبَرَكَتِهِ. كَانَ يُمَرُّ مَعَ جَمَاعَتِهِ بِقَرِيَةِ
مَسْبُوحِيَّةٍ فَوْقَ بَصْرَةٍ عَلَى بَنِي مَسْبُوحِيَّةٍ فَقَدْ نَفَقَتْ الْبَاطِنَةُ فَوَدَعَ الشَّيْخُ
الشُّبْلِيَّ وَأَعَادَ السَّالِكِينَ، وَطَلَبَ مِنْ وَالِدِ الْبَنِي نِكَاحَهَا، فَقَالَ:
أَنْتَ غَرِيبٌ. نَعَمْ لَوْ تَقِيمُ عِنْدَنَا وَتَرْغَى حَنَازِيرَنَا سَنَةً أَوْ سَنَتَيْنِ يَسْهَلُ

الأمر، فوافق الشيخ فكان يخرج صباحاً ويترعى الحنازير ويعود ليلاً، وكذلك مضت سنة كاملة وكان حب الشيخ راسخاً في قلب الشيخ الشبلي كان يعرف أنه شيخ كامل بلا شك ولكن وقع في بلاء. فذهب الشيخ الشبلي بعد سنة إلى شيخه فلما وصل إلى تلك القرية رأى أن الشيخ قائم وعليه جبة وعمامة كان يخطب فيهما للجُمُعة أخذاً بيده تلك العصا يحرس القطيع، فدنا إليه وسأله عن الأوضاع وقال: يا سيدي هل أنت إلى الآن حافظ لجميع القرآن. فسكت الشيخ قليلاً، ثم قال: أحفظ آية واحدة فقط: ﴿وَمَنْ يُؤَيِّنِ اللَّهُ فَمَا لَكُمْ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ٢٨] ثم سأل هل تحفظ الأحاديث؟ فقال: أحفظ حديثاً واحداً فقط: «من بدل دينه فاقتلوه».

[رواه البخاري جامع الأصول ج ٣ ص ٤٨١]

ثم أغول الشيخ ونظر إلى السماء وقال: اللهم ما كنت أظن منك هذا الظن، فبكى الشيخ الشبلي بكاء عربلاً. بعد لأي رجع الشيخ الشبلي إلى وطنه. وصل في الطريق إلى جانب نهر فرأى شيخه عبد الله الأندلسي رحمه الله متبسماً ضاحكاً بشوشاً، فسر الشيخ الشبلي رحمه الله سروراً لا نهاية له، فقال: يا سيدي! ما هذه المعضلة؟ فقال الشيخ: حينما كنت مررت بقرية المسيحيين وقع في قلبي: ما أجهل هؤلاء المسيحيين حيث جعلوا المسيح عليه السلام ابناً لله تعالى، فأوخذت فوراً ونوديت: إن كنت مسلماً فهل هذا صنيعك لو هي مؤهبة منا، وسلبت معه النعمة الباطنة واللقاني الله في البلاء.

(علِم من هذه القصة أن هناك أموراً ليس لها عند الغوام أهمية قد يؤاخذ المقرَّبون بتركها). رجع الشبلي بشيخه وهاد روفق الزوايا.

وللسالكين في هذه القصة عبر:

١ - أن لا يتسبوا كما لا يتهم إلى أنفسهم.

٢ - لَوْ صَدَّرَ مِنْ شَيْخٍ صَاحِبِ الاسْتِفَامَةِ أَمْرٌ بِخَالِفِ الشَّرْعِ فَلْيُخْمَلْهُ عَلَى الْبَلَاءِ .

٣ - أَنْ لَا يَفْتَنُوا بِأَحْوَالِهِمْ وَوَارِدَاتِهِمْ وَكَيْفِيَاتِهِمْ .

٤ - أَنْ لَا يَفْتَنُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَيِّ حَالٍ .

حَسَنَ اعْتِقَادِ الشَّيْخِ الشُّبَلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَحَبَّهُ لَهُ مَنَارَةُ ضَوْءِ السَّالِكِينَ .

الأدب السابع عشر: لَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِشِدَّةِ الشَّيْخِ وَعِتَابِهِ وَلَا يَتَرَكُ لِسْرَهُ الظَّنَّ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الشَّيْخِ لِلطَّالِبِ تَعْمَلُ عَمَلُ التَّلْمِيعِ .

فائدة: كَمَا أَنَّ بَسَنَانِيًا يَقْطَعُ مِنَ الشَّجَرَةِ أَجْزَاءَهَا الزَّائِدَةَ فَيَطْبِئُ نَمَاقَهَا وَتَكُونُ جَمِيلَةً الْمُنْظَرِ ، أَوْ كَمَا أَنَّ طَبِيبًا قَدْ يَفْصِدُ الْجَزَاحَاتِ وَيَخْرِجُ الْمَادَّةَ الْفَاسِدَةَ وَقَدْ يَضْفَعُهَا حَتَّى يَشْفَى الْمَرِيضُ ، كَذَلِكَ الْمُرْشِدُ الْكَامِلُ قَدْ يَعَامِلُ الْمُرِيدَ مُعَامَلَةَ الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ ، وَقَدْ يُعَاتِبُهُ وَيُزَجِّرُهُ حَتَّى يَنْشِئَ فِيهِ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ . عِتَابُ الْمُرْشِدِ يَعْمَلُ لَأَمْرَاضِ الْمُرِيدِ الْبَاطِنَةِ عَمَلُ التَّرْيَاقِ . وَلِأَنَّ الْمُرْشِدَ يَزَجِّرُ بِالْإِحْلَاصِ لِأَجْلِ التَّرْبِيَةِ فَيُحْتَبَرُ الْمُرِيدُونَ هَذَا الزَّجْرُ وَالتَّوْبِيخُ قَطْعُ سُكَّرٍ فِي غُلَافٍ مَمْلُوحٍ فَيَزِدَادُ حُبُّهُمْ .

كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: لَا يَتَّهِنِي لِلْمُرْشِدِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَمَزًا السُّكُوتِ ، فَإِنَّ سَكَتَ الْمُرْشِدِ عَلَى تَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَلَا يَنْصَحُهُمْ فِي ذَلِكَ انْوَقَتْ وَلَا فِي الْخَلْوَى ، فَكَيْفَ يَنْمُ إِصْلَاحُ الْمُرِيدِينَ . رُؤْيَا أَخْطَاءِ وَتَقْصِيرَاتِ الْمُرِيدِينَ وَعَدَمُ الْجُهْدِ لِإِصْلَاحِهِمْ مَدَاهِنَةٌ بَيْنَهُ تَتَلَا بِهَ الْمُرْشِدِيَّةُ . وَلَكِنْ لَا تَنْتِمُ تَرْبِيَةُ الْمُرِيدِينَ . كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ يَقُولُ: إِنْ الْخَلْوَى تَعْمَلُ لِلشَّيْخِ وَالْعَالِمِ عَمَلُ الْإِسْتِثْنَاءِ أَيْ وَتُثْلِقُ الْقَلْبَ بَعْدَ أَكْثَلِ الْخَلْوَى . يَجِبُ ذُبْحُ الْأَغْنِيَاءِ خَاصَّةً بِسَكِينِ الْإِسْتِغْنَاءِ وَكَانَ يَقُولُ: مَا لَمْ يَكُنْ غَضَبٌ لَمْ يَتَعَلَّمْ آدَبٌ . وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ أَقَامَ الْمُرْشِدُ الْمُرِيدَ عَلَى

فَلْتَقَى الطَّرِيقَ وَضَرْبَهُ بِالثَّغْلِ بَلَا ذَنْبٍ، فَعَلَى الْمُرِيدِ أَنْ يَأْخُذَ الثَّغْلَ وَيُعْطِيَهُ
لِلشَّيْخِ. عِتَابُ الْمُرْشِدِ بَلَا مَسَبِّ لَا يَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ، يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
الْعَرَضُ مَلَا حِفْظَهُ أَنَّهُ هَلْ تَشْتَبِعُ نَفْسُ الْمُرِيدِ أَمْ لَا؟ الْمُرْشِدُ يُعَاتِبُ الْمُرِيدَ
بِاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ كَمَحْسَنَاءِ سُودٍ وَجْهَهَا بِالْحَبِيرِ الْأَسْوَدِ مَا أَنْ تَحْسِلَ الْحَبِيرُ يَظْهَرُ
وَجْهَهُ كَالْقَمَرِ عَلَى أَنَّ الْعَرَضَ بِالْعِتَابِ وَالْغَضَبِ إِضْلَاحُ الْأُخُوَالِ لَا تَوَاجُدُ
الْحَقِيقَةِ فِي الْقَلْبِ. وَإِنْ مُرْشِدٌ يَخْشَى الْمُرِيدِينَ لِأَخْطَائِهِمْ وَتَقْصِيرَاتِهِمْ فَلَمْ
يَبْقَ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الْحَقِيقَةُ. غَضَبُ الْمُرْشِدِ عَارِضٌ يَتَحَوَّلُ مَحَبَّةً وَرَحْمَةً إِنْ
صَلَحَ الْمُرِيدُ. الْمُرْشِدُ عِنْدَمَا يُعَاتِبُ الْمُرِيدَ لَا يَحْسِبُ نَفْسَهُ حَبِيشًا أَفْضَلَ
وَلَا يَحْسِبُ الْمُرِيدَ أَذْنَى وَأَخْسَ، وَتَكُونُ حَالَةُ الْمُرْشِدِ عِنْدَ رَجْعِ الْمُرِيدِ
كَجَلَادٍ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ أَنْ يَجْلِدَ أَمِيرًا لِأَجْلِ الْخَطَا الْفُلَانِي، فَالْجَلَادُ يَجْلِدُ
الْأَمِيرَ امْتِنَالًا لِأَمْرِ السُّلْطَانِ، وَلَكِنْ قَلْبُهُ مَلِيٌّ بِحُبِّ الْأَمِيرِ وَتَوَقُّيرِهِ دُونَ
الْبُغْضِ وَالتَّخْقِيرِ. فَالْمُرْشِدُ يَزْجُرُ وَيُلْقِي التَّوْجِهَاةَ وَيَدْعُو لِلْمُرِيدِينَ
بِاسْطِطَا يَدِيهِ فِي خَلَوَاتِ بَهْرِ اللَّيْلِ. وَثَبَّتَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
عِنْدَمَا يُعَاتِبُ أَحَدًا يَدْعُو لَهُ أَيْضًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي آتَاكَ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تَخْفِيَهُ، إِنَّمَا أَنَا
بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَذِيتهُ أَوْ شَمَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ لَعْنْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً
وَرِزْقًا وَفَرِيَةً تَقَرَّبَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[شرح السُّنة ج ٥ ص ٨]

الْمُرْشِدُ إِنْ تَوَجَّهَ إِلَى أَحَدِ الْمُرِيدِينَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَوَجَّهَ إِلَى آخَرٍ،
فَلَا يَضِيقُ صَدْرُ الثَّانِي، بَلْ لِيُعْتَقِدَ أَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ الطَّبِيبُ بَعْضَ
الْمَرْضَى فِي شَعْبَةِ الْعِثَائَةِ الْمَرْكَزَةِ، وَيَدْخُلُ الْبَعْضُ فِي الشَّعْبَةِ
الْعَامَّةِ، كَذَلِكَ الْمُرِيدُونَ يَرَوْنَ لِمَوْجُو الشَّيْخِ فَرْقًا ظَاهِرًا وَلَكِنْ لَا
تَقَاوُتُ فِي قُلُوبِهِ.

الأدب الثامن عشر: إِنْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شُبُهَةٌ فَلْيَعْرِضْهَا لَهُ بِطَرِيقِ

مناسب، وإن لم تُحلَّ الشبهة يُحمله على قُصور فهمه، وأنه غير صالح للجواب.

فائدة: السَّالِكُونَ الذين يَقْرُونَ عِلَاقَةَ الْحُبِّ والاختِرَام بِمُرْشِدِهِمْ، لم يُوجَدْ فيهم سوء الاعتقاد، وإن وَقَعَ سُؤَالٌ في نَفْسِهِمْ يُلْقَى جَوَابُهُ في نَفْسِهِمْ أيضاً بِرَكَّةٍ تَوْجِيهَاتِ الْمُرْشِدِ، وإن لم يَكُنْ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُجْزِي عَلَى لِسَانِ الْمُرْشِدِ خِلَالَ التَّحَادُثِ جَوَاباً يَحْتَرِ مِنْهُ السَّالِكُونَ. قال شَاعِرٌ ما مَعْنَاهُ:

يَا مَنْ لِقَاؤُكَ حَلَّ كُلِّ سُؤَالٍ

بِكَ تُكْشِفُ الشُّبُهَاتِ بِلَا فَيْلٍ وَقَالَ

وَجُودُ شُبُهَةٍ فِي قَوْلِ الْمُرْشِدِ أَوْ فِعْلِهِ أَكْبَرُ كُنْدِ شَيْطَانِي لِلْمَسَالِكِينَ
يَقَعُ فِيهَا الْمُبْتَدِئُونَ لِأَجْلِ قَلَّةِ الْمُحِبَّةِ وَالْإِحْتِرَامِ وَرَايَةِ الشَّيْخِ. وَيَنْبَغِي أَنْ
يَعْلَمَ أَصْلُ هُو: أَنَّهُ إِذَا حَقَّقْتَ قَبْلَ الْبَيْعَةِ فِي الْمُرْشِدِ جَمِيعَ الصِّفَاتِ
وَالْعَلَامَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُكُونَ فِي شَيْخٍ كَامِلٍ فَلَا تُعْطِ الشَّيْطَانُ فُرْصَةً
لِلْإِلْقَاءِ سُوءِ الظَّنِّ. مِنْ أَسْبَابِ الْجُرْمَانِ أَنْ يَقْنُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَغْفَلَ النَّاسَ
وَيَنْظُرُ إِلَى الْمُرْشِدِ نَظَرُ تَقَدُّرٍ وَفَحْصٍ.

كَانَ أَبُو جَهْلٍ يَرَى النَّبِيَّ ﷺ قُلُونَ حَيَاتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَوْ
رَأَاهُ مَرَّةً مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَنَجَا. وَمَنْ أَظْلَمُ وَمَنْ يَنْظُرُ بِسُوءِ الظَّنِّ
وَالشَّكِّ إِلَى مَنْ هُوَ سَبَبٌ لِإِبْصَالِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْمَرِيضَ
هُوَ ذِمَّتُهُ وَيَقْطَعُ الْقُصُورَ فِي شَيْخِهِ. اعْلَمُوا أَنَّ الشُّرَيْدَ كَالْمِرَاةِ يَرَى فِيهِ
الْمُرِيدُ صُورَةَ تَقْصِيرَاتِهِ وَفَقْأَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرَاةُ الْمُؤْمِنِ».

أَرَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، مُشْكَاةُ الْمُصَابِيحِ ص ٤٢٤

قُلُوا خَدَعْتُ شُبُهَةً يَجِبُ اِعْلَامُهَا لِلْمُرْشِدِ بِطَرِيقِ مُنَاسِبٍ. حَضَرَ إِلَى
الشَّيْخِ الْمِيرْزَا مَظْهَرِ جَانِ جَانَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَاهِنِ هِنْدُوسِي وَقَالَ:

أَوَيْتُ كَشَفَ الْقُلُوبِ مِنْ سَيْنٍ وَأَرَى فَلَيْتَكَ أَسْوَدَ حَالِكًا، فَبَالَهُ الشَّيْخُ :
وَكَيْفَ حَصَلَتْ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ : بِمُخَالَفَةِ النَّفْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ . فَقَالَ
الشَّيْخُ أَتَدْنَاهُ الْكَلَامَ : لِمَاذَا لَا تُسَلِّمُ؟ فَقَالَ : لَا أَرْغَبُ فِيهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
خَالَفَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَيْضًا، فَتَابَ الْكَاهِنُ الْهِنْدُوسِي وَأَسْلَمَ . فَقَالَ
الشَّيْخُ : انْظُرْ إِلَى قَلْبِي الْآنَ كَيْفَ تَجِدُهُ؟ فَقَالَ : الْآنَ يَظْهَرُ لِي نُورٌ عَلَى
نُورٍ . فَقَالَ الشَّيْخُ : ظَهَرَ لَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ضَوْرُهُ فَلَيْتَكَ فِي .

أما السؤال عن القضايا العلمية وحل الإشكالات فينبغي السؤال
عنها بطريق مناسب ومحل ملائم . هذا هو المقصود من قوله تعالى :
﴿ فَتَنَّا آلِهَةَ الْبُكْرَى إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

ولكن ليس بمعتقولي أن يدور دائماً في دائرتي «لَمْ» و«لَا» .

الأدب الثامن عشر : لا يتخذ صورة البحث والتجدي ، ولا يزد كلام
المُرشد وإن كان الحق إلى جايب المرشد ، بل ليتعقّد أن خطأ المرشد
خير من ضوائه .

فائدة : هذا الأدب أشبه بأحوال المرشدين القدماء ، فإن وقع
الاختلاف مع المرشد في الأمور العلمية فلا يجوز ترك دليل الأدب . أمر
الشيخ محمد العزيز الشيخ سيد أحمد بنصور الشيخ فاعنذر إليه بغاية أدب .
فأنشد الشيخ عبد العزيز بيتاً معناه :

لَوْ أَنَّ سَجَادَتَكَ بِحَمْرِ إِنْ أَمَرَكَ بِهِ شَيْخٌ كَامِلٌ
فِيئَهُ لَيْسَ لِلطَّلَابِ جُلْمٌ بِأَدَابٍ وَطَرِيقِ الْمُرُورِ

فَقَالَ : يَا سَيِّدِي يُمْكِنُ لِي أَنْ أَشْرَبَ الْحَمْرَ بِأَمْرِكَ ثُمَّ أَثُوبَ ، وَلَكِنْ
تَصَوَّرَ الشَّيْخُ عِنْدِي شُعْبَةً مِنَ الشُّرْكِ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَهُ ، فَقَامَ الشَّيْخُ
وَعَانَقَ السَّيِّدَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، غَلَبَكَ التَّوْحِيدُ فَسَمَّيْتَنِي بِكَ عَنْ طَرِيقِ
أَحْمَرٍ .

الآدِبُ الْعَشْرُونَ: لا يعرضُ المُريدُ ما يُخَالِفُ رأيَ الشَّيْخِ في صُورَةِ الْبَهْخِثِ وَالْجَدَلِ، وَإِنْ كَانَ الْحَقُّ إِلَى جَانِبِ الْمُريدِ. كَانَ رأيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ أَنْ يُطْلِقَ سَرَّاحَ الْأَسَارِيِّ بِشُرُوطٍ، نَبْتَمَا كَانَ رأيُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُضْرِبَ أَغْثَاقَ هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى. فَتَوَلَّى الْوَحْشِيُّ كَانَ مُوَافِقًا لِرأيِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَحُكْمُ الشَّرْعِ أَنَّ الْمُجْتَهِدَ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ لَا مَحَالَةَ، فَخَطَأَ الشَّيْخُ لَهُ حُكْمُ خَطَأِ اجْتِهَادِيٍّ. فَعَمِلِيَ الْمُريدُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ خَطَأَ الشَّيْخِ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ.

سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ مَرَّةً فَسَلَّمَ عَلَى تَمَامِ رَكَعَتَيْنِ فِي رُبَاعِيَّةٍ فَأُصْبِحَ هَذَا السَّهْوُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ وَنَبِيَّتٌ مَسَائِلُ سَجْدَةِ السَّهْوِ وَكَانَ الْمُصَدِّقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ سَهْوَ مُحَمَّدٍ ﷺ. أَيْ وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا السَّهْوِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لَا يُسَاوِيهِ أَجُورُ جَمِيعِ حَيَاتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَائِدَةٌ: كَشَفُ عَيُوبِ النَّاسِ وَتَقْدِيرُهم وَالتَّعْلِيْقُ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ مَنْ هُوَ مَخْرُومٌ مِنْ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَّا فَمَنْ يَكُونُ لِلْمُصَدِّقِ فِرْصَةً لَأَنْ يَتَرَكَ ذِكْرَ الْحَبِيبِ وَيَضَيِّعَ وَقْتَهُ فِيمَا لَا يَنْبَغِيهِ. قَالَ الشَّاهُ غَلَامٌ عَلِيٌّ الدَّهْلَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ ذَكَرَ التَّصَوُّفَ فِي بَيْتَيْنِ وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ:

وَضَانِي شَيْخِي الْمُريدُ الْكَامِلُ الشَّهَابُ
وَصَيْتَيْنِ الْتَمَّتَيْنِ عَلَى مَشْنِ مَاءِ
الْأُولَى أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى حَسَنَاتِكَ
وَالثَّانِيَةِ أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى سَيِّئَاتِ غَيْرِكَ

فِي مَكْنُ أَنْ يُقَالَ: عَطَّرَ التَّصَوُّفُ يَذْكُرُ فِي كَلِمَتَيْنِ: أَنْ لَا يَكُونَ حَسَنَ الظَّنِّ فِي نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ سَيِّئَ الظَّنِّ فِي غَيْرِهِ. أَيْ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِهِ وَلَا يَلَاحِظُ عَيُوبَ غَيْرِهِ.

الأدب الحادي والعشرون: أن يحب أصدقاء المرشد وأهل قرابته وبلين لأصدقائه وأحبائه وأيضاً يلين لإخوان الطريفة والطلابين، ويجتنب عن غيبته وعن مخالفته حتى يفوز بالامتقاة.

فائدة: آية حب المرشد أن يحب المرشد أهل المرشد وأقربائه، وهذا مستفاد من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْوَسْوَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ [النوري: ١٢٣].

روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أذبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن».

[الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٥١]

الأدب الثاني والعشرون: يعرض على المرشد أخواله الباطنة (حسنة أو سيئة) لأن المرشد طيب روحاني يصلح بعد العلم والإطلاع، ولا يلتزم المرشد السكوت ثقة بكشف الشيخ.

فائدة: كما أن المريض يُخبر الطبيب الجسدي عن أحواله إن لم يخبره يتقدم إلى الموت، كذلك ينبغي للمالك ألا يزال يطلع المرشد وهو طبيبه الروحاني على الكيفيات والواردات والآيآت. ويجب في هذا الأمر الاجتناب عن الإفراط والتفريط. أما الإفراط فهو أن يُخبر عن كفياته كل صغير وكبير سوى شيخه. والواردات والكيفيات عرائس باطنة ونعم خفية وهل يظهر أحد غيره على عرويه؟

والتفريط ألا يُخبر شيخه عن أحواله ويُزعم أن مرشده ضاحك كسب يُعرف بنفسه. فالطريق السوي أن يُخبر دائماً شيخه عن أحواله. قالت الصوفية: إن اتخذ السالك الاتباع والإطلاع دستوراً فلا تحول دون تقدمه شيء.

الأدب الثالث والعشرون: ما رآه في المنام يذكره للمرشد وإن جاء في ذهنه تعبير يذكره أيضاً.

فائدة: بعض السالكين يكون لطيف الطبع ويغضبهم يكون كثيف الطبع قليل رؤيا المنام. وكثرة الرؤيا ليست دليلاً على الفهيلة، وقلة الرؤيا ليست دليلاً على النقص. والرؤيا ثلاث:

١ - حديث النفس وهو كل ما يفعله السالك في النهار أو يفكر فيه ويختلج في ذهنه فبراه في المنام.

٢ - أضغاث أحلام وهي الحَيالات المُشَوَّهة يراها في المنام مصورة.

٣ - الرؤيا الصالحة وهي الرؤيا الصادقة، وقيل: إنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة.

والتمييز بين أقسام الرؤيا هذه صعب، لا يحل هذه المشكلة إلا صاحب البصيرة الباطنة، ينبغي للسالك أن يذكر للشيخ كل ما رأى في المنام من غير زيادة ولا نقصان. فإن عبر المرشد فيها، وإلا يسكت، وليعلم أن إظهار تأويلها لا يفيدني، أو أن هذه الرؤيا ليست صالحة للتعبير.

ذكر أمور هامة لتعبير الرؤيا:

١ - تعبیر بعض الرؤيا يكون كما ترى في المنام تماماً.

٢ - بعض الرؤيا تعبیرها على ضد ما ترى، كأن رأى شخصاً أنه مات فإنه يحيا مدة طويلة.

٣ - تعبیر بعض الرؤيا موقوف على التمثيل، رأى الملك سبع بقرات سمان وأخر عجاف، ففسر سيدنا يوسف عليه السلام عن البقرات السمان بسنة خصبة وعن البقرات العجاف بسنة مجلبة.

٤ - رؤيا يراها رجلان يختلف لهما تعبيران، رأى رجلٌ صالحٌ أنه يؤذن فوجد العزة تحت قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [البج: ٢٧].

ورأى قاسيٌ أنه يؤذن فأخذ سارقاً وحصل له ذلة تحت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُّؤَذِّنٌ لِّبَنِيهَا أَلَمِيعُ إِنَّكُمْ لَسَّارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧١].

٥ - ترى في فصلين رؤيا واحدة يختلف تعبیرها. [إن] رأى في الشتاء ناراً أصابته خيرٌ، وإن رآها في الصيف أصابته شرٌ.

٦ - قد تكون الرؤيا فاسدة في الظاهر، ولكنها رؤيا صالحة. رأت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد أنها عزباء وأنّ الإنسان والحيوانات والطيور تنزي بها فحزنت واستيقظت وخافت أن لا يصيبها حزنٌ، ولكن كان تعبیرها أنها ستشبع نهراً يشرب منه الناس والحيوانات والطيور والدواجن وتكون لها صدقة جارية. رأى شخصٌ أنه يزني بأمه فحزن حزناً شديداً ولكن كان المراد بالأم الأرض وبالزنا الاستمتاع بالأرض فوجد نفعاً عظيماً من أوصيه.

وعلى السالكين أن يحافظوا على أصل أنه لو رأى رؤيا صادقة فما لم يظهر فماذا تبعده؟ فلو رأى في المنام أنه أصبح ملكاً ولكن أي قائد ما لم يتملك في الخارج. رأى سيدنا يوسف عليه السلام الشمس والقمر والنجوم له ساجدين، ولكن وقع في البئر وبيع في مصر وعمل خادماً في بيت عزيز مصر، ووقع في بلاءٍ ومكث في السجن سبع سنوات ثم وجد ملكاً وتمت زواجه. ولما كان هذا حال الرؤيا الصادقة فما معنى الفرح على الرؤيا الفاسدة؟ وهناك بعض السالكين يشغلون دائماً في ذكر رؤياهم كأنهم ملوك عالم الرؤيا. إن الشيطان يسقط بالرؤيا كيناراً عظيماً ويميز الإنسان بالعجب والافتخار، فذات المرشد هو الذي ينه الإنسان على هذه المكائيد من الشيطان مُحافِظة على الإيمان.

حِكَايَة: كَانَ لِجُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ مُرِيدٌ يَرَى كُلَّ يَوْمٍ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، وَيَذْكُرُ فِي النَّهَارِ هَذِهِ الرُّؤْيَا لِلنَّاسِ، حَتَّى اسْتَشْهَرَتْ قِصَصُهُ وَمَضَتْ سَنَةٌ كَذَلِكَ، حَضَرَ فِي خِدْمَةِ الشَّيْخِ مَرَّةً فَرَأَى الشَّيْخُ أَنَّهُ رَاقِعٌ فِي شَبَكَةِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْعُجْبِ. فَقَالَ: إِنَّ رَأَيْتَ الْجَنَّةَ بَعْدَ هَذَا فَقُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. فَظَنَّ الْمَطَالِبُ أَنَّ الشَّيْخَ يَحْسُدُهُ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ لَمَّا رَأَاهُ يَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ تَذَكَّرَ أَنَّ الشَّيْخَ أَوْضَى لَهُ بِقِرَاءَةِ (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (وَهَذَا بَرَكَةُ نَوَاجِهِ الشَّيْخِ حَفِيقَةٍ) فَقَالَ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) فَلَمَّا قَالَهَا انْتَهَتْ جَفِيعُ الْمَنَاطِيرِ، وَرَأَى هُنَالِكَ عِظَامًا مَوْضُوعَةً، فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَرِيدُ أَنْ يَنْتَهَبَ إِيْمَانَهُ.

بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا وَيَظُنُّ أَنَّهُ يَجِدُ فَائِدَةً بَاطِنِيَّةً (مِنْ ذَلِكَ الشَّيْخِ بَدُونِ تَوَسُّطِ شَيْخِهِ) وَلَكِنَّهَا خَدِيعَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ وَالشَّيْطَانُ يَرِيدُ أَنْ يَقْلَعَ رَابِعَتَهُ بِشَيْخِهِ، وَهُنَاكَ بَعْضُ السَّالِكِينَ يَرُونَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَى كَثِيرَةً بَعْضُهَا أَعْجَبُ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي التَّزَامِ السَّرِيعَةِ يَتَكَاسَلُونَ، وَهَذِهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ عَلَى وَقُوعِهِمْ فِي الْفِتْنَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَمَثُلُ بِي».

[رواه أحمد والبخاري والترمذي] [الجامع الصغير ج ٢ ص ٦١٢]

يَقُولُ الشَّيْخُ مُجَدِّدُ الْأَلْبِ الثَّانِي فِي مَكْتُوبَاتِهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي هُوَ مُوجُودٌ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُسَوَّرَةِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَادِعَ فِي كُلِّ صُورَةٍ سِوَاهَا، سِوَاهُ أَكْثَرِ صُورَةِ وَلِيِّ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَوْ صُورَةِ أَحَدٍ مِنْ آبَائِهِ أَوْ أَجْدَادِهِ، فَالسَّالِكُونَ الَّذِينَ يَتَصَحَّحُونَ أَسَاسَ رُوحَانِيَّاتِهِمْ عَلَى الرُّؤْيَا فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ. حُلْفَاءُ بَعْضِ الرُّؤْيَا يَبْدَأُونَ الْكَلَامَ بِالرُّؤْيَا وَيَحْتُمِنُونَ بِالرُّؤْيَا. قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

الْعُشُّ الَّذِي يُصْنَعُ عَلَى فَرْجٍ ضَعِيفٍ غَيْرُ قَوِيٍّ

جاء في بعض الزوايات: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَرَأَ بِسْمَةِ السُّجْمِ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَنَمُوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٦٩، ١٧٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ تِلْكَ الْغَرَائِبَ الْعُلَىٰ وَأَنْ شَفَاعَتُهُنَّ تُرْتَجَىٰ، قَالُوا: مَا ذَكَرَ إِلَهُنَا بِخَيْرٍ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَمَسَجَدَ وَسَجَدُوا، فَانْزَلَ إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ الْكَلِمَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النجم: ٢٥٢].

[تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٧]

قال ابن كثير رحمه الله: إِنَّ الشَّيْطَانَ أَوْقَعَ فِي مَسَامِعِ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ فَتَوَهَّمُوا أَنَّهُ صَدَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِ الشَّيْطَانِ لَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[تفسير القرآن العظيم لعماد الدين ابن كثير ج ٣ ص ٣٦٩]

فَعَلِمَ أَنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَ صَوْتَهُ كَصَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرَأَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ حَتَّى يَتَخَذِعَ الصَّخَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فَبُهِدَ مَقَامُ فِكْرٍ وَتَدَبَّرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْشَأْ مِنْ خَلْقِ الْعَرَبِ الطَّاهِرِينَ، كَالصَّخَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيَخْضَعُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَاذَا نَحْنُ مِنْهُمْ حَتَّى نَذِيحِي دَعْوَى كَبِيرَةً، وَنَسْأَلُكَ الْيَوْمَ مَا أضعَفَ زَوْجَانِيَّتَهُ وَمَا أَبْعَدَهُ مِنْ مِشْكَاةِ الشُّبُوحِ، وَهَلْ مِنْ صُعُوبَةٍ فِي إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ فِي عَصْرِ الْفُتُونَةِ وَفِي حَالَةِ التُّؤَمِ. فَلْيُفَكِّرِ السَّالِكُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَضِلُّنَا مُتَّبِعِينَ أَيْقَاطًا فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ إِضْلَالُنَا بِالْمَنَامِ صَعْبًا. فَلَا يَتَّقَنَ عَلَى الْمَنَامَاتِ وَكُلَّ مَا رَأَى فِي الْمَنَامِ يَذْكُرُهُ لِمُرَشِيدِهِ وَيَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَخْضُرُونَ).

الأدب الرابع والعشرون: كل رزق ودُعَاءٍ يُعَلِّمُهُ الْمُرْشِدُ يَتَّخِذُهُ عَادَةً

ويترك كل وزر سواه . سواء بدأه بنفسه أو علمه أخذ . نعم ، الأعمال
المستوتة مستتاة .

فائدة : تقول العامة : لا يأخذ المريض في وقت واحد إلا دواء
طبيب واحد ، فكذلك لا يعمل السالك إلا بالأوزاد التي علمه إياها
شيخه وأصله ﴿ وَمَرْمَأَ عَلَيْهِ الْمَرَضُ ﴾ الفصص : ١٧ . لو اتخذ أوزاداً
أخرى بنفسه أو بتعليم غيره يخسر . الأوزاد للمبتدئ كالذواء ، وللمتتبي
كالغذاء ونية الأجر في الأوزاد ليست بقبيحة : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَكَبِّرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

وعلى السالك ألا يستكثر عمله فيفتخر ولا يستقصه فينأس . وهذا
السر مكتوب في قوله : ﴿ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ﴾ [السجدة : ١٦] . الدليل
على الأوزاد صباحاً ومساءً قوله تعالى : ﴿ يَسْخِرْ لَهُ فِيهَا لُغُوداً وَالْأَصَايِ ﴾
[التور : ٣٦] .

الأدب الخامس والعشرون : لا يشتغل بالأوزاد بحضرة الشيخ فإن
كان لا بد من القراءة فليخلص حيث لا يراه .

فائدة : ما يستفيد السالك بحضرة المرشد بالرابطة القلبية لا يجد
بالذكر والأوزاد . مثل المرشد كمثل الشمس ، ومثل المرشد كمثل الورد
والفاكهة ، فكما يحسن لذة الفواكه بحرارة الشمس ، أو يحصل الروعة
للأوزاد كذلك تأتي الأوزار في قلب السالك بتوجه المرشد ، وإن أراد
السالك أن يشتغل في ورد فليشتغل فيه بحيث لا يراه المرشد .

الأدب السادس والعشرون : كل فيض باطني يصل إليه بغيره بركة
مرشده ، ولو رأى في المنام أو المرافقة أنه يصل الفيض من شيخ آخر ،
فليزعم أن لطيفة من لطائف المرشد تمثلت في صورة ذلك الشيخ .

فائدة : كما أن مضباحاً مرتبطاً بسلك فما تصل إليه من الكهرباء

تَصِلُ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ السُّلُكِ سَوَاءٌ نَأْتِي مِنَ السُّدِّ الْعَالِي بِتَرْبِيَلًا، أَوِ السُّدِّ الْعَالِي بِمَنْجَلًا، كَذَلِكَ كُلُّ قَيْضٍ بَاطِنِي يَجِدُهُ الْمُرِيدُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وَإِنْ كَانَ يَأْتِي مِنْ شَيْخٍ آخَرَ، فَإِنْ رَأَى سَائِلِكَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ الْقَيْضُ مِنْ شَيْخٍ آخَرَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لِقَائَهُ مِنْ لِقَائِهِ شَيْخِهِ يَوْجِلُ إِلَيْهِ الْقَيْضُ مَصُورَةٌ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَتَجِبُ أَنْ تَكُونَ جِهَةً قَلْبِ الْمُرِيدِ وَاحِدَةً.

وهذا كَمَا قِيلَ: خُذْ وَاحِدًا خُذْ مُحْكَمًا.

سَافَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْقُرَشِي مَرَّةً إِلَى مَقْبَرَةِ خَضِرَةِ الْمَجْدَدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ مَعَهُ فِي هَذَا السَّفَرِ عِدَّةٌ مِنْ مُرِيدِيهِ وَخُلَفَائِهِ مِنْهُمْ الشَّيْخُ زُؤَارُ حُسَيْنِ الشَّرِيفِ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، اسْتَغْلَوْا فِي الْمُرَاقَبَةِ طَوِيلًا، حَتَّى كَلِمَ الشَّيْخُ الْمَجْدَدُ فِي عِدَّةِ أُمُورٍ، ثُمَّ طَلَبَ الشَّيْخُ الْمَجْدَدُ أَنْ يَتْرَكَ خُلَفَاءَهُ (الشَّرِيفُ زُؤَارُ حُسَيْنِ شَاهُ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْكُوَهَانْدِي وَغَيْرُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ) لِعِدَّةِ أَيَّامٍ، فَقَالَ الشَّيْخُ لَخُلَفَائِهِ: إِنِّي أَرِيدُ السَّفَرَ فَاقْضُوا مَاذَا أَتُتِمُّ فَاغْلُظُوا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْكُوَهَانْدِي: يَا سَيِّدِي هَلْ تَأْمُرُنَا أَنْ نَمْكُثَ هَهُنَا أَوْ هُوَ مَفْضُولٌ إِلَى رَأِينَا، إِنْ نَشَأَ نَمْكُثُ وَإِنْ نَشَأَ نُسَافِرُ مَعَكَ؟ فَقَالَ الْمُرْشِدُ: هَذَا عَلَى رَأْيِكُمْ إِنِّي بَلَعْتُ رِسَالَةَ خَضِرَةِ الْمَجْدَدِ، فَقَالَ الشَّيْخُ الْكُوَهَانْدِي: يَا شَيْخُنَا نَذْهَبُ مَعَكَ. مَجْدَدُنَا أَلَتْ فَقَطْ لَا غَيْرُ.

سُبْحَانَ اللَّهِ! هَكَذَا يَكُونُ لَزِيْمًا لِلْمُرِيدِ. الدُّعْوَةُ مِنَ الْمَجْدَدِ الَّذِي هُوَ سَيِّدُ السَّلْسَلَةِ وَيَبْلُغُ الرِّسَالَةَ شَيْخَهُ وَمُرْشِدَهُ، فَمَا أَعْجَبَ مَعَ هَذَا كُلَّهُ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي إِنْ مُجْدَدُنَا سَيَّادَتُكَ. فَكَانَ هَؤُلَاءِ يُعْطُونَ كَيْفِيَّاتٍ لَا يَصِلُ سَائِلُكَ الْيَوْمَ غُبَارَ طَرِيقِهِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

حكاية: كَانَتْ فِي أُسْرِ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدِ الْخَزَّارِ حُرْفَةٌ موروثة من الأجداد واشتهر أن مشايخ هذه الأسرة ألقت توجهاً بهم في تلك الحرفة،

وقد ظهرت منها البركات بمراراً، ولما أجاز الشيخ مرشده منحه خرقه، وكان الشيخ يتبرك بالخرقتين، فلما ابتلي بمرض الموت قال لحاديه: ألق علي الخرقه حتى أستقيد من بركاته. فسأل الحاديه: أي الخرقتين؟ فقال الشيخ: أنا أكرم كثيراً خرقه أبائي وأجدادي، ولكن أريد الآن خرقه شيخني، فإني أريد أن أموت مستغرقاً في أنوار شيخني ومرشدي في آخر أيامي.

الأدب السابع والعشرون: يروى للناس من كلام المرشد ما يهضمونه. وما يراه فزق فهم العوام لا يذكره أبداً، فبعض الكلام يكون للخواص فقط.

قائدة: لا يليق بالسالك أن يتقل ما يسمعه من حضرة المرشد من أمور المعرفة لكل أحد، فبعض الأمور يحتاج لفهمها إلى كفاة وبدون الكفاة لا ينفع مثل هذا الكلام بل قد يضر.

قال ابن خنجر رحمه الله تعالى: وقال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله». رواه البخاري، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

رواه مسلم؛ افتح الباري ج ١ ص ٢٢٥ ملخصاً

الأدب الثامن والعشرون: إن أعطيت جاهاً أو منصباً فليقبله لرحمة الله تعالى ولا يقبل إلى أمر ديني.

قائدة: إن وهب الشيخ منصباً أو رتبة فليحسبه نعمه غير مترتبة، وليقبله روحاً وقلباً وليشكر الله عليه، فالشرط عند الله تعالى القبولية لا الكفاة. إن شاء يبلغ من التراب إلى الأفلak، من يقدر أن يقول: أهولاء من الله عليهم من بيننا. اجتنب فضيل بن عياض من طائفة قطع الطريق

وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَوْلِيَاءِ، وَأَخْرَجَ خَالِدًا مِنْ عِبَادِ الْأَهْتَامِ وَالْبَهْسَةِ تَاجَ سَيْفِ
اللَّهِ. قَالَ قَائِلٌ:

إِنْ لَغَتْ نَظْرُكَ كَرَمَ فَجَمِيعِ الْعُيُوبِ فَنُورُ

قَالَ لِلطَّيْنِ الْقَلِيلِ الْمُتَلَفِي تَحْتَ الْأَقْدَامِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً. تَجْرِي رِيحُ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَةِ فَلَا تَتَأَخَّرُ صِيرُورَةُ الْمَرْدُودِ مَقْبُولًا
وَالْتَرَابِ ذَهَبًا. إِنْ شَاءَ أَجْلَسَ كَلْبًا فِي صَفِّ الْأَوْلِيَاءِ وَذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ
بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَهُمْ بَيِّنَاتٍ بِذُرِّيَّتِهِ﴾ [الشع: 118] وَيَزِيدُ فِي الرَّبِّيةِ. إِنْ قَارَى
مَشْرَبَ الرَّحْمَةِ يَجْذِبُ الْمُغْلُوبِ نَفْسَ الطَّالِبِ فَأَيُّ سَبَبٍ لِلحِرْمَانِ بَلْ
سَيُصْبِحُ التَّرَابُ ذَهَبًا. وَأَمَّا أَنْ يَطُنَّ السَّالِكُ أَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ فَسَوْفَ لَا
يَكُونُ أَهْلًا إِلَى مَوْتِهِ. وَمَنْ رَعِمَ أَنَّهُ صَارَ أَهْلًا لَهُ فِهَذَا دَلِيلٌ عَدَمِ أَهْلِيَّتِهِ.

الأدب التاسع والعشرون: لَا يَقْصِدُ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ يَدُونُ إِذَنْ شَيْخَهُ
لَأَجْلِ الْبَيْعَةِ حَتَّى يَفُوزَ بِثَرْوَةِ السَّعَادَةِ.

قائدة: الْأَوْضَاعُ الْمُمُكِنَةُ لَاسْتِفَادَةِ السَّالِكِ مِنْ مَشَائِخِ غَيْرِ شَيْخِهِ

هِيَ:

١ - أَنْ يَكُونَ مَعَ شَيْخٍ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ وَلَكِنْ اِحْتِيَاجُ الْمَسَافِرِ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ،
لِاجْتِلَاءِ الْمَعَاشِ أَوْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَأَوْضَاعُ ذَلِكَ الْبَلَدِ سَيِّئَةٌ جَدًّا،
وَالِاتِّصَالُ بِالشَّيْخِ صَغْبٌ وَلَكِنْ تَيْسَّرُ لَهُ صُحْبَةُ شَيْخٍ هُنَاكَ مِنْ نَفْسِ
السَّلْسِلَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتَخَذُ بِإِذْنِ مُرْشِدِهِ هَذَا الشَّيْخَ مَرشِدًا، فَيَكُونُ الشَّيْخُ
الْأَوَّلُ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ، وَالثَّانِي شَيْخَ التَّعْلِيمِ. فَالْعِلَاقَةُ بِشَيْخَيْنِ اثْنَيْنِ
مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ الْقَوْمِ.

٢ - امْتَدَّتْ عِلَاقَةُ الْبَيْعَةِ مَدَّةً طَوِيلَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ أَيُّ فَائِدَةٍ فِيْبَايَعِ شَيْخًا
آخَرَ بِإِذْنِ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ، إِذِ الْمَقْصُودُ الْإِضْلَاحُ.

٣ - يَكُونُ شَيْخٌ مِنْ أَكَابِرِ شَيْخِهِ حَيًّا وَيُرِيدُ أَنْ يُبَايِعَهُ لِحَصُولِ الْهَرَكَةِ بِإِذْنِ

الشيخ بيعة بركة. الشيخ محمد عبد المالك الصديقي أعطى الشيخ مرشد العالم الدروس، ثم بعثه إلى مدينة شيخه يسكن في قور حتى ينال توجهات أخرى، فأعطى له الشيخ السيد فضل علي القرشي التوجهات عدة أيام وأعطى له الإجازة والخلافة وبايعه، فتحققت هذه البيعة الثانية برضى الشيخ.

الأدب الثلاثون: إن انتقل الشيخ من هذه الدار الفانية فليدع له ويوصل له الأجر والثواب حتى تدوم علاقة روحانية.

فائدة: جميع أعضاء السالك مستغرق في إحصانات من كان له ذريعة للوصول إلى الله تعالى، فإن توفي فليعتبر إيصال الثواب كأنه يهدي له كل يوم، ويمكن إيصال الثواب بقراءة القرآن والصلاة التأملية والصدقة وبناء المساجد والمدارس.

قال العلامة الشامي في باب صلاة الجنائز، وفي باب الحج عن الغير يمكن إيصال ثواب جميع العبادات التأملية بسوى الفرائض والواجبات، وقال العلماء: من يشج عن غيره يكون حج بذل عنه يبشر به روحه في السماء ويجعل هذا الحاج عن الغير من القائنين عند الله تعالى.

الباب السابع

إنشاء الزواني

رؤية عَيْنِ الظَّاهِرِ مِنَ الْإِنْسَانِ يُقَالُ لَهُ : بَصَارَةٌ، وَرُؤْيَا عَيْنِ الْبَاطِنِ يُقَالُ لَهُ : بَصِيرَةٌ. تُسَلَّبُ بِبَصِيرَةِ الْإِنْسَانِ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَبِعَمَى الْقَلْبِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج: ١٨٦). قَالَ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّفْسِيرِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ : أَيُّ فَمَّا عَمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنِ الْإِبْصَارِ، بَلَى قُلُوبُهُمْ عَنِ الْاِغْتِبَارِ، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَرْبَعُ أَعْيُنَ : عَيْنَانِ فِي الرَّأْسِ وَعَيْنَانِ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا أَبْصَرَ مَا فِي الْقَلْبِ وَعَمِيَ مَا فِي الرَّأْسِ لَمْ يَبْصُرْهُ، وَإِنْ أَبْصَرَ مَا فِي الرَّأْسِ وَعَمِيَ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَلْقُهُ. وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَعْيُنَ الْأَمْعَى لَا تُعِيدُ إِذَا كَانَ الْقَلْبُ أَعْمَى قَالَ شَاعِرٌ :

دل بره می کز خداست طلب آنگه کانون دل کانون نور

ومعناه :

إِسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى الْقَلْبَ الْبَصِيرَ إِذْ نُورُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنُورِ الْقَلْبِ
ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الشَّرِيقُ الَّذِي يُبَصِّرُ الْقُلُوبَ بَلْ يُخْبِي الْقُلُوبَ
الْمُنِيئَةَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ اذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الحديد: ١٧). قَالَ الْإِمَامُ النَّسْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ
الْآيَةِ : قِيلَ : هَذَا تَمْثِيلٌ لِأَثَرِ الذِّكْرِ فِي الْقُلُوبِ وَأَنَّهُ يُخْبِيهَا كَمَا يُخْبِي
الْغَيْثُ الْأَرْضَ.

وَعَلِمَ أَنَّ الْبَقَاعَ الَّتِي يَعْلَمُ فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَنْبِيهاً لِلْقُلُوبِ الْعَاقِلَةِ بِغَيْبِ
إِنْصَارِافِ الْقُلُوبِ الْعُفْيِ، وَإِخْيَاءِ الْقُلُوبِ الْمَيِّتَةِ يُقَالُ لَهَا رُؤَايَا. وَسَيُذَكَّرُ
عَلَى شَرْعِيَّةٍ إِنْشَائِهَا أَدْلَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

أدلة من القرآن المجيد :

الدليل الأول : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فِي مِثْقَلِ ذَرَّةٍ لَّنَ اللَّهُ لَكُمْ تَرَفٌّ وَتَنْصَرُّ عَلَيْهَا
أَشْمَلُ مِمَّا يَسْجُحُ لَهَا بِهَا يُفْتَدَوْنَ وَالْكَافِرِينَ يَجْعَلُ لَهَا لَنُّهُمْ حَبْرَةً وَلَا يُبْعَثُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة :
٢٧٠، ٢٧١]. قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ إِدْرِيسُ الْكَانَدَهْلَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ
يَذَكِّرُ مُنَاسِبَةً هَذِهِ الْآيَةُ بِمَا قَبْلَهَا : الْآنَ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ أَهْلُ الْهِدَايَةِ ؟
وَأَيُّنَ يُوجَدُ هَذَا التَّوَرُّدُ أَيْ نُورُ الْهِدَايَةِ ؟ فَيَقُولُ : يُوْجَدُ التَّوَرُّدُ فِي مَسَاجِدَ
وَرُؤَايَا يَذَكِّرُ فِيهَا ائِمَّةُ اللَّهِ بِكُرَّةٍ وَأَجْنِيلاً . . . إِلَى أَنْ قَالَ . . . وَيَذَكِّرُ فِيهَا
أَسْمُهُ ، دَخَلَ فِيهِ جَمِيعُ الْأَذْكَارِ مِنَ التَّنْسِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّشْلُوفِ ، وَالْمُرَادُ
بِهَذِهِ الْبُيُوتِ مَسَاجِدُ وَرُؤَايَا :

[معارف القرآن للشَّيْخِ الْكَانَدَهْلَوِي ج ٥ ص ١٣٢]

الدليل الثاني : قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ لِلْمُفْسِدِينَ كُفْرًا وَفِي
مَكِيدَةِ اللَّهِ لَا يَتَخَلَّيُونَ مَسْرَافًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] قَالَ الْمُفْسِدُونَ
لِتَوْضِيحِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ الْكُفْرُ أَكْثَرُ مِنْ مَكِيدَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة :
٢٧٣] هُمُ الَّذِينَ أَخْصَرَتْهُمْ الْجَهَادُ فَمَنَعَتْهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ لَا يَسْتَطِيعُونَ
لَا شَيْئًا لِيَهُمْ بِهِ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ لِلْكَسْبِ ، وَقِيلَ : هُمُ أَصْحَابُ الصَّفَةِ .

[تفسير النسفي ج ١ ص ١٩٠]

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الْحَقَّانِي الدَّهْلَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ أَكْثَرُ مِنْ مَكِيدَةِ اللَّهِ ﴾
مَكِيدَةُ اللَّهِ ﴿ مِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّاحِبَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَزَكُّوا أَهْلَهُمْ وَالتَّزَكُّوا
الْحَضَرُونَ فِي خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَوَرَّتْ فَيُوضَّعُ جَمِيعُ الْعَالَمِ بَعْدَهُ ﷺ .

[تفسير الحفائي ج ٦ ص ١٨]

وقال الشيخ مولانا محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله :
﴿الَّذِينَ أَحْمِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي الذين اشتغلوا في خدمة الدين
 وتحصيل العلوم الظاهرة والباطنة، يُحْفَظُونَ القرآن الكريم، ويتعلمون
 علم الدين ويجاهدون ضد الأعداء الظاهرة والباطنة، والمراد من الأعداء
 الظاهرة الكفار، ومن الأعداء الباطنة النفس الأمارة بالسوء، فكما أن
 الجهاد والقتال للضرب على رقاب الكفار أفضل العبادات هكذا
 المجاهدات والرياضات أفضل العبادات. ورد في الحديث الشريف :
 «والمجاهد من جاهد نفسه».

[معارف القرآن للكاندهلوي رحمه الله ج ١ ص ٤١٢]

وقال القاضي ثناء الله الفاني فتى رحمه الله : **﴿يَلْفُقِرَاءَ اللَّهِ﴾** : يلفقروا في سبيل الله أي
 اشتغلوا في تحصيل العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة أو في الجهاد.

[تفسير المظهر ج ٣ ص ١٧٧]

وقال السيد أمير علي في تفسيره مواهب الرحمن نقلاً عن غرائب
 التفسير قوله : **﴿يَلْفُقِرَاءَ اللَّهِ﴾** **﴿أَحْمِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يدخل فيهم
 الذين حبسوا أنفسهم في مجلس مراقبة الله تعالى لا يتسليعون ضرباً في
 الأرض، أي لا يتبعون من مجالس المراقبة لطلب الرزق والخوائج
 اللازمة من جهة أن يغلب عليهم الحال، ويتعلمون ذكر الله تعالى،
 ويستغفرون في مشاهدة مولاتهم، ويفطرون عليهم الحب شدة والعشق كثرة
 فلا يستطيعون الجهد في كسب المعاش.

الدليل الثالث: قال الله عز وجل : **﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْيَمِينِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَيْهِمْ رِيَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُلَاحِظْ
 مَنْ أَغْنَىٰ قَلْبُكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْبَانًا﴾** [الكهف : ٢٨].

أمر الله تعالى في هذه الآية بمجالسة ومداواة فقراء دين الإسلام

وأهل الخُرقة لا يسمى أكسيبة صوفيّة مثل أصحاب الصفة أولئك هم المشتغلون في ذكر الله والدعاء غدواً وعشيا، وعبادنا المخلصون كأنهم أصحاب الكهف. أخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف رحمه الله قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض بيوته: ﴿وَأَمِرَ نَفْسَهُ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدُوةِ وَالنَّبِيِّ﴾ فخرج بلمسهم فوجد قوماً يذكرون الله فيهم: ثائر الرأس وجاف الجلد، ذو الثوب الواحد. فلما رآهم جلس وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أضرب نفسي معهم».

[الدر المشهور ٥ ص ٣٨١]

وفي حديث آخر عليه الصلاة والسلام قال: «مَعَكُمْ الْمَخِيَا وَالْمَمَات».

[الدر المشهور ٥ ص ٣٨٠]

يَجْنِي إِيَّكُمْ رُفَقَائِي فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ، وعن ثابت قال: كَانَ سَلْمَانُ فِي عَصَابَةٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَكَفُّوا فَقَالَ: «مَا كُنْتُمْ تُقْرَأُونَ» قُلْنَا: نَذْكُرُ اللَّهَ قَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الرُّحْمَةَ تَنْزِلُ عَلَيْكُمْ أَحَبِّتُ أَنْ أَشَارِكَكُمْ فِيهَا».

[الدر المشهور ٥ ص ٣٨٢]

ومن مثل هذه الروايات استنبط الصوفيّة ضرورة (إشياء الزوايا، يجلس فيها السالكون يذكرون الله تعالى، كما كان أصحاب الصفة يفعلون. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: «أُبَيِّرُوا يَا أَصْحَابَ الصِّفَةِ فَمَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى النَّفْسِ الَّذِي أَتَمَّ عَلَيْهِ رَاضِباً بما فيه فإنه من رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ».

[كشف المحجوب]

فهنيئاً للذين يعيشون في الزوايا ويُقيمون فيها كأصحاب الصُفوة
العاملين بآية: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ وِقْدًا وُقُوعًا وَعَلَىٰ جُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]
وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّهُم رَيْفٌ وَيَقْتُلُ الْإِنْسِي قَتِيلًا﴾ [الزمر: ٢٨].

ولا شك أن لجمعية القلوب ندخلًا خاصًا وأثرًا عظيمًا في استبانات
رَحْمَةِ اللَّهِ ورَأْفَتِهِ، ولذلك سُرَّعتِ الصَّلاةُ بجماعةٍ ولأجله يوجه جميع
الحُجَّاج إلى الله تعالى على هيئة واحدة في عُرصة واحدة عُرصة عزِّقات،
ولذا أمر المشايخ ألا يُفَضِّروا في المُجَالَسَةِ مع مثل هؤلاء الطالبين.

قال الشَّيْخُ الكاندملوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿وَأَصْبَرَ
نَفْسَكَ﴾ وَجِبَ عَلَى عَالِمِ الشَّرِيعَةِ وشيخ الطَّرِيقَةِ أَنْ يُعْتِمِدَ مُجَالَسَةُ الْفُقَرَاءِ
وَمُحِبَّتِهِمْ وبِأَذْنٍ لِلْجَمِيعِ في الدُّخُولِ في مُجَالَسِهِ.

[أعارف القرآن للشيخ الكاندملوي رحمه الله ج ٤ ص ٤١٢]

فثبت أن المَفْصُودَ من إنشاء الزوايا الغَمْلُ على هذه الآية
المذكورة. قَالَ قائل:

خوشا سهرود در سر و خانقاه
که دروس بود و نقل و قال محمد

ومَعْنَاهُ:

حَبَّذَا الْمَسْجِدَ وَالْمَدْرَسَةَ وَالزَّوَايَةَ يَكُونُ فِيهَا قِبْلٌ وَقَالَ مُحَمَّدٌ (رَدَّ إِذَا أَحَادِيثَ الشَّيْخِ) أَدْلَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ.

الدَّلِيلُ الْأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا
شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَفْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ
الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
عِنْدَهُ».

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه، الترغيب والترهيب ج

٢ ص ٤٠٦ المشكاة حديث رقم ٢٢٦١]

الدليل الثاني: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بَدَلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ».

[رواه أحمد والطبراني، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤١٣]

في هذا الحديث إشارة عظيمة للذين يُقيمون في حدود الزاوية.

الدليل الثالث: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَعِثَّنَّ اللَّهُ أَقْوَاماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمْ التَّوَرُّ عَلَى مَنَابِرِ الْمَوَلُودِ يَغِيظُهُمُ النَّاسُ لِمَسَا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ». قَالَ: فَجِئْنَا أَغْرَابِيٍّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفَهُمْ. قَالَ: «هُمْ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى وَبِلَادِ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ».

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٠٦]

قال شيخ الحديث مولانا محمد زكريا رحمه الله آخِذاً مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: الْيَوْمَ يَطْعَنُ عَلَى الْمُقِيمِينَ فِي الزَّوَايا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَبَنَهُمُونَ بِكُلِّ تَهْمَةٍ يَلُومُهُمُ اللَّائِيْمُونَ حَقَّ اللَّوْمَةِ. قَوْلُوا فِيهِمُ الْيَوْمَ مَا تُرِيدُونَ، فَإِذَا اسْتَيْقِظَ الْعَيْنُ عَدَا انْكَشَفَ الْغَطَاءُ عَمَّا كَسَبَ هَؤُلَاءِ الْجَالِسُونَ عَلَى الْخَصَائِدِ وَهُمْ عَلَى الْمَنَابِرِ وَالْعُرْفَاتِ.

فَسَوْفَ تَرَى إِذَا انْكَشَفَ الْغَبَارُ أَفْرَسَ نَحْتِ رِجْلِكَ أَمْ جَهَنَّمَ

الدليل العقلي: إِنَّ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا تَعْلِيمٌ طَبَّ جِسْمَانِيٍّ وَلَا مَدْرَسَةٌ لَمْ يَوْجَدْ طَبِيبٌ وَلَا مُعَالِجٌ، فَتَمَلَّأَ الدُّنْيَا بِالْأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ، هَكَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْنَبٌ لِلطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ تَمَلَّأَ الدُّنْيَا مِنَ الْمُصْصَابِينَ بِالْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِلْعَادِ، فَالزَّوَايا مَسْتَشْفِيَّاتٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ بِحَصْلِ مِنْهَا الدَّوَاءِ لِلْقُلُوبِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ عِلَاجَ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ شِفَاءٌ لِجَمِيعِ الْهُمُومِ وَالْعُمُومِ . قَالَ شَاعِرٌ :

دل مروہ دل نہیں استے زندہ کرد و بارہ کہ یکی ہے استوں کے مرض کن کا چارہ

و معناه :

الْقَلْبُ الْمَيِّتُ لَيْسَ بِقَلْبٍ الْجَعْلُهُ حَيًّا

إِذْ هُوَ الْعِلَاجُ الْوَحِيدُ لَأَمْرَاضِ الْأُمَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمَزْمِنَةِ

نَعَمْ ، لَوْ أَنَّ شَخْصاً لَا يَرَى الْكُفْرَ وَالْمَعْصِيَةَ مَرَضاً فَلَا تُخَاطِبُهُ ،
وَيُمَثِّلُ هَذَا الشَّخْصَ لَا تَنْفَعُهُ الطُّوَامِيرُ . فَاللَّهُ يَنْجِزِي خَيْرَ الْجَزَاءِ لِمِثْلِ
هَؤُلَاءِ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يَبْقَوْنَ الْيَوْمَ فِي عَصْرِ الظُّلَمَةِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الْأَعْمَالِ
الْخَالِفَةِ الدَّقِيقَةِ . اللَّهُمَّ تَبَيَّنَا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ ، وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِمْ ،
وَاحْشُرْنَا فِي رُفَّتِهِمْ .

الباب الثامن

في المعتقدات معتقدات المريدين

١ - **مألة:** تَنْقِيصُ رُتْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّيَمُّاسُ عُيُوبِهِمْ، وَغَدَمُ رِعَايَةِ آدَابِهِمْ سَخَرَامٌ.

فائدة: الَّذِينَ يُلْتَجِئُونَ بِالْمَقْبُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِطَرِيقِ مَنَازِلِ الْقُرْبِ بِالثَّقَوَى وَالطَّهَارَةِ وَالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ، يُقَالُ لَهُؤُلَاءِ الْإِلَهِيِّينَ: أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ إِرَاحَتُهُمْ إِرْضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَاؤُهُمْ كَأَنَّهُ إِذَاؤُ اللَّهِ تَعَالَى.

يَسْتَدِلُّ عَلَى رِعَايَةِ آدَابِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمُوَاجَهَتِهِمْ مِنَ الْإِخْتِرَامِ وَالْمَحَبَّةِ بِأَدْلَةٍ ثَلَاثَةٍ:

١ - قَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى: إِنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِي شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَيِّنَةُ اللَّهِ تَعَالَى، يَدْخُلُ الْأَوْلِيَاءُ الْكَامِلُونَ فِي شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِلِ الْأَمَّاكِرِ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهَا أَقْدَامُهُمْ تَدْخُلُ فِي شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَشْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٥٧).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَشْفَا وَالْمَرْوَةَ مَوْجُودَتَانِ مِنْذُ وَجَدَتْ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ عُدْنَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ عِنْدَمَا وَضَلَّتْ إِلَيْهِمَا قَدَمَانِ مَبَارَكَتَانِ لِأَمِيَّةٍ صَالِحَةٍ صَابِرَةٍ، هَاجَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلِيمَ أَنَّ الْكَامِلِينَ الْمَقْبُولِينَ حَيْثُ وَضَلَّتْ

أَفَدَامُهُمْ تَعَذُّ هَذِهِ الْأَمَاكِنُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلْيَعِذْ هَؤُلَاءِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ بِالدرَجَةِ الْأُولَى. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَرُّبٍ إِلَى اللَّهِ﴾ [الحج: ١٢٢].

٢ - في الحديث الشريف: «إِنَّ الْعَبْدَ يَنْقَرِبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوَاضُّعِ». ثُمَّ يَنْخَضِلُ لَهُ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ مَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيَمَا رَوَاهُ عَنْهُ نَبِيهِ ﷺ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» فَأَكْرَامُ رِجَالٍ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِمْ هَذَا الْقَوْلَ، إِكْرَامُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - الواقعةُ في أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَكْرُوهٌ وَإِيْدَاؤُهُمْ قَبِيحٌ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ».

[البخاري مع حاشية الاستدعي ج ٤ ص ١٢٩]

فَلْيَلَامُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ إِيْدَانُ اللَّهِ بِالْحَرْبِ، وَهِنْدَمَا يَغْضِبُ اللَّهُ تَسْقُطُ الْعِمَائِمُ مِنَ الرُّؤُوسِ وَتُرْأَلُ الْحُمُرُ وَيَذَلُّ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ وَلَا يَبْقَى أَهْلًا لِمُتَابَلَةِ النَّاسِ، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ غَضَبِكَ.

وَالْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ الْمُتَحَرِّفُونَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فُرْصَةٌ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ وَسُوءِ اسْتِغْمَالِ اللِّسَانِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَفَكَّرُوا أَنَّ التَّوْحِيدَ بِدُونِ آدَبٍ وَالْأَدَبَ بِدُونِ تَوْحِيدٍ دَاخِلٌ فِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّشْرِيطِ، الْأَدَبُ مَعَ التَّوْحِيدِ دَلِيلٌ كَمَالٍ.

٢ - مسألة: الْعُلُوُّ فِي تَعْظِيمِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا مُغَضِبَةٌ.

فائدة: بَعْضُ النَّاسِ يَغْلُوْنَ فِي آدَابِ الْمُتَشَائِخِ وَتَعْظِيمِهِمْ حَتَّى يَسْجُدُوا لَهُمْ تَعْظِيمًا، وَهَذَا حَزَامٌ دَاخِلٌ فِي الشُّرْكِ، غَلَبَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حُبُّ أَنْبِيَائِهِمْ، فَاتَّخَذُوهُمْ أَبْنَاءَ اللَّهِ لِقَلْبِيَةِ الْحُبِّ، وَصَرَّخَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِغِيَاخِيهِ وَشَنَاعَتِهِ، وَهَنَّاكَ أَنْاسٌ يَتَّخِذُونَ الشَّيْخَ إِلَهًا صَغِيرًا

وَيُزَعِّمُونَ أَنَّهُ يَمْلِكُ الشُّفْعَ وَالضَّرَّ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«يَا عَلَّامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: اخْفِظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ اخْفِظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهُكَ، إِذَا مَنَّاكَ فَاَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفِيَ الصُّحُفُ».

[مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٤٥٩]

إيضاح شناعة العُلُوِّ في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال:

رَجُلٌ يَقُولُ لِرُؤُوسَتِهِ: اخْدُمِي وَالِدِي وَأَكْرِمِي، فَمَهْمَا تَخْدُمِ الزَّوْجَةَ وَالِدَهُ رَضِيَ رُؤُوسَتُهَا، وَإِنْ عَلَتْ بِالْخِدْمَةِ حَتَّى تُعَامِلَهُ كَمَا تُعَامِلُ الزَّوْجَ لَا يَرْضَاهُ الزَّوْجُ أَبَدًا وَلَا يَغْفِرَ لَهَا هَذَا الدُّنْبَ، وَكَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاخْتِرَامِ أَوْلِيَائِهِ وَلَكِنْ بِقِيُودٍ وَحُدُودٍ، وَإِنْ عَلَا أَحَدٌ فِي التَّعْظِيمِ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ وَمَنْحَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

٣ - مسألة: كلُّ طريقةٍ رَدَّتْهَا الشَّرِيعَةُ فِيهِ زِنْدَقَةٌ وَإِلْحَادٌ.

عَزَلُ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشَّرِيعَةِ لَا يَجُوزُ بَلِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ الطَّرِيقَةَ خَادِمُ الشَّرِيعَةِ. بَعْضُ الْمَشَائِخِ الْجُهَّالِ لِكَيْتُمَا أَنْ عَمَلَالِهِمُ الْقَبِيحَةُ يَقُولُونَ بِالتَّفَرُّقِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالطَّرِيقَةِ. قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا أَصْحَابَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ لَا يُصَلُّونَ وَيَقُولُونَ: صَلَّاتُكُمْ حَقِيسَةٌ أَوْقَاتٍ وَصَلَّاتُنَا كُلُّ وَقْتٍ. ذَكَرَ لَسَيِّدُ الطَّائِفَةِ الشَّيْخُ الْجُنَيْدُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الصُّوفِيَةِ الْجُهَّالِ يَقُولُ: نَحْنُ وَصَلَّاتُنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فَقَالَ الشَّيْخُ:

(صَلُّوا فِي الْوُضُوءِ وَلَكِنْ إِلَى سَفَرٍ)

٤ - مسألة: قد يعرف أولياء الله تعالى بعض الأمور بالكشف والإلهام خرقاً للعادة.

فائدة: لا يعني هذا أن أولياء الله تعالى يعلمون الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩).

نعم، يعبر الله تعالى بأبناء الغيب ما شاء ومن شاء من أنبيائه وأوليائه، واعتقاد أن الشيخ يعلم كل شيء وكل وقت ضلالة بينة. بلغ الجهل اليوم إلى منتهاه حتى يقول البعض: إن سنابرة بيت شيوخنا تعلم الغيب أيضاً. والحقيقة أن من رزق كشف القلوب لا تثبت له الحقيقة كل وقت متى أراد الله تعالى كشف الحجاب، على أن الكشف لا يجب أن يكون دائماً صحيحاً، بل يَحْتَمِلُ الخطأ.

حكاية: كان الشيخ قولاً محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى يذهب مع الناس إلى عمارة، فلما أن بقي مسافة قليلة سأله رجل فقال: إن كشف الأولياء قد تتأخر عن وقتها، وأخبار الأنبياء لا تتأخر عن وقتها، فهل يخطئ كشف الأولياء؟ فسأل الشيخ: أي عمارة قدأمناء؟ فقال: السجور، فقال: أفيد شك أم هو يقيني؟ فقال السائل: لا، بل هو السجور بلا ريب، فقال: كم بعد السجور من ههنا؟ فقال: قريب من مائة قدم، فقال: هل يمكن أن يكون بذلك المائة مائة إلا خمسة أو مائة وخمسة؟ فقال: نعم. إنه ظن وليس يقيني، فقال: هكذا كشف الأولياء يَحْتَمِلُ الخطأ إذ هم يزونه من بعيد.

فلما انتهت إلى باب السجور ولم يبق منه إلا قدمان، قال الشيخ: أي عمارة هذه؟ فقال السائل: هي السجور. فقال: كم مسافة بينك وبين السجور؟ فقال: قدمان. فقال: هل يمكن أن يكون بذلك قدمين ثلاثة

أَفْذَامُ أَوْ قَدَمٌ وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ الشَّيْخُ: هَكَذَا حَالُ كُتُوبِ الْأَنْبِيَاءِ
يَرْوُونَهُ حَقًّا وَيَرْوُونَهُ مِنْ قَرِيبٍ.

[الأرواح الثلاثة ص ٢٥٨]

٥ - **مسألة:** عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ اسْتِغَاثَتُهُمْ.

قائلة: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ حَرَامٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

[محمد: ١٩].

الإِشْرَاقُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ هُوَ الشِّرْكَ وَهُوَ جَنْبِئَةٌ لَا
تَحْتَمِلُ الْغَفْوَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ
قَصَّارٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: كُنْتُ مُسْتَعْلَا يَوْمًا فِي
الْعِبَادَةِ، إِذْ قَصَّارٌ وَامْرَأَتُهُ بِجَوَارِي يَخْتَصِمَانِ. كَانَ الْقَصَّارُ يَرِيدُ نِكَاحًا
ثَانِيًا وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ تَقُولُ: تَحَمَّلْتُ لِأَجْلِكَ الْعُسْرَ وَالشَّدَّةَ إِنَّ وَجَدْتُ
الطَّعَامَ أَكَلْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ صَبَرْتُ. تَحَمَّلْتُ كُلَّ مَشَقَّةٍ وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَمَّلَ
لِأَجْلِكَ مَشَقَّةَ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ تُشْرِكَ أَحَدًا فِي حَبِّي. قَالَ
الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: فَتَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فِإِذَا هَذِهِ الْآيَةُ أَمَامِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

حكاية: كَانَ شَيْخٌ كَثِيرًا يَقُولُ: تَعَلَّمْنَا التَّوْحِيدَ مِنْ امْرَأَةٍ فَقَالَ
رَجُلٌ: وَكَيْفَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: جَاءَتْ سَائِلَةً امْرَأَةً وَقَالَتْ: أَفْتِنِي أَنَّهُ لَا
يَجُوزُ لِرَجُلٍ إِتِكَاحُ امْرَأَةٍ أُخْرَى عَلَيَّ فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَفْتِي بِهَذَا وَقَدْ
أَيَّاحْتُ لَهُ الشَّرِيعَةُ؟ فَمَا زَالَتْ تُصِرُّ وَأَنَا أَرْفُضُ وَأَخِيرًا تَنَفَّسَتْ نَفْسًا بَارِدًا
وَقَالَتْ: يَا سَيِّدِي أَمْرُ الشَّرِيعَةِ حَاجِزٌ وَإِلَّا أَكْثَيْفُ لَكَ وَجْهِي فَتَرَى
حُسْنِي وَجَمَالِي فَتَضْطَرُّ أَنْ تُفْتِيَ أَنِّي مَنْ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ مِثْلَ هَذِهِ حُسْنًا

وَجَمَالًا لَا يَبْتَاعُ لَهُ الزَّوْجَةُ الثَّانِيَةُ؟ ثُمَّ ذَهَبَتْ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ عَلَّمْتَنِي التَّوْحِيدَ فَقُلْتُ: إِنَّ امْرَأَةً تَقْتَضِرُ هَكَذَا بِحُسْنِهَا الْفَانِي وَلَا تُبَيِّحُ أَنْ تَرَى مَعَهَا امْرَأَةً أُخْرَى، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، كَيْفَ يُجِبُّ أَنْ يُشْرِكَ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ اسْتِعَانَةُ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا يُؤْخَذُ كُلُّ يَوْمٍ مِثَاقٌ ﴿إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِنَّا فَتَعْبُدُونَ﴾ [الفاتحة: ٥] عدة مرات.

وَيُنَبِّئِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُعْلِمُوا بِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [الزمر: ٣٦] و: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

٦ - **مسألة:** السُّجُودُ لِلْقُبُورِ وَوَضْعُ الْجَبْهَةِ لَهَا وَالطَّوُافُ بِالْقُبُورِ شِرْكٌ.

فائدة: جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْأَنْعَامِ وَالطَّيُورِ وَالسَّبَاعِ صُورًا تَخْضَعُ رُؤُوسَهَا لِأَكْلِ الْغِذَاءِ، بَيْنَمَا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَشْرَفِ الْمَخْلُوقَاتِ الْإِنْسَانِ صُورَةً يَبْلُغُ غِذَاؤُهُ إِلَى قِمَّةِ بَوَاسِطَةِ الْأَيْدِي لَا يَخْتَاجُ لِلْأَكْلِ إِلَى وَضْعِ رَأْسِهِ كَمَا لَا يَخْضَعُ لغيره تَعَالَى، بِجَبْهَتِهِ خَلَقْتَ لِتَخْضَعَ لَهُ فَقَطْ، وَلِذَلِكَ نَهَى عَنْ سُجُودِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَوْ تَعْظِيمًا فِي الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَمَا نَهَى عَنْ سُجُودِهِ لِلْقُبُورِ وَوَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَيْهَا، وَلَا يَجُوزُ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِ جُذُرِ الْمَرَازِبِ. وَأَذَى شَاعِرٌ هَذَا الْكَلَامَ فِي بَيْتٍ لَهُ وَمَعْنَاهُ:

لِتَقْبِيلِكَ أَتَيْتُ لِقَبْلِ أَسْوَدِ الْحَجَرِ
وَالْأَقْمَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي حَجَرِ

٧ - **مسألة:** الدُّعَاءُ بِتَوَسُّلِ الْأَوْلِيَاءِ جَائِزٌ.

فائدة: التَّوَسُّلُ: أَنْ يَدْعُوَ هَكَذَا مَثَلًا: اللَّهُمَّ اقْضِ حَاجَتِي كَذَا بِحُرْمَةِ الْحَوَاجَةِ غُلَامٍ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَدْعُوَ هَكَذَا: اللَّهُمَّ

إِنَّ الْحَوَاجَّةَ غَلَامٌ حَبِيبٌ عَبْدُكَ صَالِحٌ وَأَنَا أَحَبُّهُ فَبِرَكَّةٍ حَبْنِي لَهُ أَقْضِي حَاجَتِي. ومِثْلُ هَذَا التَّوَسُّلِ مُبَاحٌ جَائِزٌ وَالتَّعَبُّدُ حَرَامٌ غَيْرُ جَائِزٍ. وَحَالُ الْعَامَّةِ أَنَّهُمْ يَحْسِبُونَ الشُّرْكَ تَوَسُّلاً بَيْنَمَا الْعُلَمَاءُ الْمُتَشَدِّدُونَ يَزَوُّونَ التَّوَسُّلَ شُرْكَاً. وَالْحَقِيقَةُ لَا تُذَرِّكَ إِلَّا بِصُحْبَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

٨ - **مسألة:** طَلَبُ الْحَاجَاتِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَخْيَاءَ كَانُوا أَوْ أَمْرَأَةً غَيْرُ جَائِزٍ.

فائدة: لَا يَجُوزُ طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. بَعْضُ النَّاسِ يَقْصِدُونَ الْمُقَابِرَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ نَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ اللَّهَ، دُعَاؤُنَا مِنْكُمْ وَدُعَاؤُكُمْ مِنَ اللَّهِ. وَبَعْضُ الْجُهَالِ يَحْلُقُونَ فِي بُيُوتِهِمْ صُورَ الشُّيُوخِ يَسْلُمُونَهَا مُبَكِّرِينَ كُلَّ صَبَاحٍ وَيَقُولُونَ: يَا سَيِّدَنَا نَأْكُلُ مِمَّا تَرْزُقُونَا. وَبِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْجُهَالِ أَنْزَلَتْ: ﴿وَلِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٩ - **مسألة:** الْوَلِيُّ مَهْمَا تَقَدَّمَ لَا يَتَّصِلُ إِلَى دَرَجَةِ نَبِيِّ.

فائدة: الْوِلَايَةُ أَمْرٌ كُنُسِيٌّ أَيْ يُمَكِّنُ حُصُولَهَا بِالْإِزْيَاضِ وَالْمُجَاجَلَةِ، بَيْنَمَا النَّبَوَةُ وَهَيْئَةُ وَعَقْلَاءُ الْحَبِيبِ أَفْضَلُ مِنْ كُنُسٍ نَفْسِيٍّ، فَالنَّبَوَةُ أَفْضَلُ مِنَ الْوِلَايَةِ وَإِنْ كَانَتْ وَلَايَةُ النَّبِيِّ نَفْسَهُ.

١٠ - **مسألة:** لَا يَسْتَعْنِي نَبِيٌّ عَنْ أَوَامِرِ الشَّرْعِ سِوَى الْمُتَجَدُّدِ، فَإِنَّهُ يُسَلِّبُ عَقْلَهُ.

فائدة: لَا يَأْتِي فِي عَقَائِدِ الْوِلَايَةِ مَقَامٌ يُعْفَى فِيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ أَوَامِرِ الشَّرْعِ مَعَ بَقَاءِ عَقْلِهِ وَصَحْوِهِ، أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِذْ رَبَّكَ حَتَّىٰ بِآيَاتِكَ الْإِيقَاتِ﴾ [الحجر: ٩٩].

وَيُقَالُ الْيَوْمَ: لِعَرَّتَانِ التَّنَصُّفِ يَنْصُفُ وَلِيٌّ، وَلِعَرَّتَانِ الْكُلِّ وَلِيٌّ كَامِلٌ. بَعْضُ الْجُهَالِ يَعْلَمُونَ مُرِيدِيهِمْ هَذَا الدَّرْسَ: نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا مَذْنِبِينَ وَلَكِنْ مَنُوفٌ تُنْجِيكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيَسْتَدْلُونَ بِأَنَّ الْبُرْءَ وَإِنْ كَانَ نَجْساً وَلَكِنْ

يُطْفِئُ النَّارَ وَيُنْشِئُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُؤْتُونَ مَقْبُوضِينَ بِالسَّلَاسِلِ لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ
فَكَيْفَ يَنْجُونَ الْآخَرِينَ وَكَيْفَ تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُمْ.

حكاية: كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَرَّةً
جَالِساً يُرَاقِبُ فِي الْعَابَةِ، إِذْ ظَهَرَ لَهُ حُصُونٌ وَجَاءَهُ صَوْتُ: إِنَّا رَضِينَا
بِعِبَادَتِكَ وَغَفَرْنَا لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ
تَعْمَلَ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ. فَقَالَ الشَّيْخُ فِي قَلْبِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْبَشَارَةُ لَمْ تَنْزِلْ لِمِثْلِي
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَكَيْفَ يُشْرُتُ بِهَا؟ لَا شَيْءَ أَنَّهُ شَيْطَانٌ
فَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا فَرَّ الشَّيْطَانُ وَطُغِيَ طَعْنَةُ أُخْرَى وَهُوَ يَفِرُّ، قَالَ: يَا
عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيراً بِهَذِهِ الْمَكِيدَةِ امْتَنَعْتُ أَنْتَ
بِعَاقِبَتِكَ، فَقَالَ مُبَاشَرَةً: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَقَالَ: يَا رَجِيمُ إِلَيَّ لَمْ
أَمْتَنِعْ بِسَبَبِ عِلْمِي بَلِي امْتَنَعْتُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى فَطُغِ.

وَإِذَا يَسْتَعِيدُ مِثْلُ هَذَا الشَّيْخِ الْكَامِلِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَذِيَّ أَنْهُ رَفَعَ عَنْهُ قَيْدُ الشَّرِيعَةِ؟ أَمَا الْمَجْدُوبُ فَهُوَ كَالْمَجْنُونِ رَفَعَ عَنْهُ
الْقَلَمُ، وَالشَّرِيعَةُ نَتَهَى الْجُمْهُورُ عَنْ اتِّبَاعِ الْمُجَانِنِ وَالْمَجَازِبِ، فَلْيَتَذَكَّرِ
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُجَانِنَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَى الْمَثْوَى فِي الدُّنْيَا بِاتِّبَاعِ
الْمَجَانِنِ، فَكَيْفَ يَصِلُ إِلَى الْمَثْوَى سَائِلِكِ الْآخِرَةِ بِاتِّبَاعِ مُجْدُوبٍ؟
هَذَا خَيَالٌ وَمَحَالٌ وَجُنُونٌ.

١١ - مسألة: الْأَنْبِيَاءُ تَعْصُمُونَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْأَوْلِيَاءُ مَخْطُوظُونَ عَنْهَا.

١٢ - مسألة: الْمُصْحَابَةُ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَوْلِيَاءِ الْأَمَّةِ.

فائدة: هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُضْطَاقِينَ. قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِالْقُرْآنِ مُبَشِّرًا بِمَا وَعَدْنَا﴾ [التج: ٢٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة: ٢٨].

وكانت علامات هذه الجماعة موجودة في التوراة والإنجيل . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَتْلُوهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَتْلُوهُ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وميزة هذه الجماعة أنه لما كان يقول رسول الله ﷺ : السَّمْعُ اللَّهُ لِمَنْ حَمَلَهُ . كانوا يقولون : رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ .

قال المتأفقون عن هذه الجماعة سُفْهَاءُ في قولهم : ﴿ أَتُؤْمِنُ كَمَا عَامَرُ السُّفْهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٧٣] فردَّ الله عليهم فقولتهم حيث قال : ﴿ قَالُوا اتُّؤْمِنُ كَمَا عَامَرُ السُّفْهَاءُ ﴾ [البقرة: ١٧٣] .

يقول الله تعالى في مدح هذه الجماعة : ﴿ يَحَالُ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا نَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .
هذه الجماعة قال فيهم أهل السنة والجماعة: الضحابة كلهم عدول .

[الإصابة ج ١ ص ٦]

يُشَرُّ أفراد هذه الجماعة بقوله عليه الصلاة والسلام : «أضْحَابِي كَالنَّجْمِ بَأْيُهُمْ أَفْضَلُهُمْ أَهْتَدَيْتُمْ» .

[مشكاة المصابيح ص ٥٥٤]

١٣ - مسألة : لِيُعْتَقَدْ في مُشَاجِرَةِ الضَّحَابَةِ رضي الله عنهم أجمعين أن كلا الفريقين على الحق والخطأ الجنيهاوي .

فائدة : سئل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مُشَاجِرَةِ الضَّحَابَةِ رضي الله عنهم أجمعين . فقال : عَصَمَ اللَّهُ أَيْدِيَنَا مِنَ التَّلَوِّثِ بِدِمَائِهِمْ . فَلَمَّا ذَا تَلَوْتُ بِهَا أَلْسِنَتَنَا قَالَ السَّيِّدُ عَبْدُ السَّارِ نُجْمٌ دَامَتْ بَرَكَاتُهُمْ شِعْرًا مَعْنَاهُ : الضَّحَابَةُ وَلَوْ أَفْتَحْتُمُوهَا سَعْدَاءُ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ وَأُولَٰئِكَ شُهَدَاءُ

وَلَيْتَكُنْ نُصِبَ عَيْنِيهِ كُلِّ حِينٍ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَضْحَابِي ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَضْحَابِي ، لَا تَتَّخِذُوهُمْ مِنْ بَعْدِي غُرَضًا ، فَمَنْ

أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَبِوَشْكَ أَنْ يَأْخُذَهُ».

أرواه الترمذي؛ مشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٦

١٤ - مسألة: قَالَتِ الصُّوفِيَّةُ: بَاطِنُ الشَّيْخِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فائدة: لَا يَعْْنِي هَذَا أَنَّ الشَّيْخَ حَاضِرٌ وَنَاضِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ الْمُرِيدَ مَهْمَا يَكُنْ نَبُلُهُ تَوَجُّهَاتٍ مِنْ شَيْخِهِ.

١٥ - مسألة: كَرَامَةُ وَلِيٍّ لَا تَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ.

فائدة: الْكَرَامَةُ هِيَ صُدُورُ أَمْرِ فَوْقَ الْعَادَةِ وَلَهَا أَسْبَابُ ثَلَاثَةٌ:

الأول: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الْكَامِلِينَ حَتَّى يَزْدَادَ قُبُولُهُمْ لَدَى الْجُمْهُورِ.

والثاني: قَدْ يَكُونُ صُدُورُ الْكَرَامَةِ مِنَ الْوَلِيِّ لِتَقْصِيرٍ بِهِ حَتَّى يَتَنَبَّهَ الْأَوْلِيَاءُ الْمُحْتَقُونَ بِخُفُوقِ كَرَامَاتِهِمْ كَمَا تُخْفِي الْعَامَّةُ عُيُونَهُمْ.

والثالث: قَدْ تَصَدَّرَ الْكَرَامَاتُ مِنَ الثَّاقِبِينَ وَالتَّقْصِيلِ مَا يَلِي:

كُلُّ وَلِيٍّ يَحْتَاجُ لِعُبُورِ مَرَاتِبِ الْقُرْبِ الْإِلَهِيِّ لِأَرْبَعِ حُطُوبَاتٍ كُلُّ حُطْوَةٍ تَسْمَى سَيْرًا.

الخطوة الأولى: هِيَ السَّيْرُ إِلَى اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْمَرْجُوعُ أَيْضاً وَسَيَّرَ الْوَلِيُّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ عَالَمِ الْخَلْقِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ إِلَى عَالَمِ الْأَمْرِ.

الخطوة الثانية: هِيَ السَّيْرُ فِي اللَّهِ وَيُقَالُ لَهَا الْفَنَاءُ أَيْضاً وَيَجِدُ الْوَلِيُّ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ السَّيْرَ فِي ذَاتِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ.

الخطوة الثالثة: هِيَ السَّيْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيُقَالُ لَهَا التَّزَوُّلُ أَيْضاً يَرْجِعُ فِيهَا السَّائِكُ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ إِلَى عَالَمِ الْأَسْبَابِ.

الخطوة الرابعة: هِيَ السَّيْرُ فِي الْأَشْيَاءِ، وَيُقَالُ لَهَا الْبَقَاءُ أَيْضاً

يُكْتَمَلُ فِيهَا قُرْبُ السَّالِكِ فَيَعِيشُ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ، فَظَاهِرُهُ مَعَ الْخَلْقِ وَبَاطِنُهُ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ السَّالِكَ مِنْهُمَا اكْتَمَلَ عُرُوجُهُ اكْتَمَلَ نُزُولُهُ، وَمِنْهُمَا اكْتَمَلَ نُزُولُهُ تَكُونُ حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ حَتَّى يَضَعَبَ الْفَرَفَرُ بِنَظَرَةِ ظَاهِرِهِ بَيْنَ الرَّجُلِ الْعَادِي وَبَيْنَ الْوَلِيِّ، فَالْكَامِلُونَ يَعْيشُونَ فِي الْعَوَامِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَسْتَطِيعُونَ مَعْرِفَتَهُمْ، وَنَظَرًا لِأَنَّ نُزُولَ الْأَنْبِيَاءِ اكْتَمَلَ نُزُولُ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ الظَّاهِرَةُ سَازِجَةً فِي بَادِيِ النَّظَرِ يَرَاهُمُ النَّاسُ وَيَقُولُونَ: ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولُ بِأَكْمَلِ الْعَالَمَةِ وَيَسْرِي فِي الْأَشْيَاءِ﴾ [الغفران: ٧].

وحياة سيد الأنبياء ﷺ كَانَتْ سَازِجَةً جَدًّا حَتَّى يَغْسُرَ فِي بَغْضِ الْأَخْبَانِ إِذْ رَأَى الْحَقَّ بَيِّنَةً، بَلْ كَانَ الْكُفَّارَ يَقُولُونَ: ﴿أَهَذَا الْمَلَأَى بَيْتَهُ بِاللَّهِ رَسُولًا﴾ [الغفران: ٤١].

أَمَلُ الْمَدِينَةِ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ الْمَنْزُورَةَ مُهَاجِرًا مِنْ عَمَّةِ الشُّكْرَمِيَّةِ، وَجَعَلُوا يُضَافِعُونَ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَاءَ أَغْرَابِيٌّ مَرَّةً وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّ يَعْرِفُهُ حَتَّى سَأَلَ مَنْ مِنْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ الْكَامِلُونَ يَعْيشُونَ ظَاهِرًا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، فَيُعَامَلُونَ مُعَامَلَةَ الْأَسْبَابِ حَسَبِ أَضَلِّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عِبْدِي جِي ٨.

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فَيَقْلُ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ عَنْهُمْ. فَجَمَاعَةُ الْعَصَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ جَمَاعَةُ اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ عُرُوجُهُمْ كَامِلًا كَانَ نُزُولُهُمْ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَ صُدُورُ الْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ قَلِيلًا جَدًّا حَتَّى كَانَتْ لَا شَيْءَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ الْأُمَّةِ، وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى التَّقْصِيرِ بَلْ يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

وَمُنَاكَ أَمْرٌ آخَرٌ يَجِبُ مَلَاخِظَتُهُ، وَهُوَ أَنَّ أَيَّ سَالِكٍ مِنْهُمَا تَقْصُرُ

عُرُوجُهُ نَقَصَ نَزْوُهُ، وَلَمَّا نَقَصَ نَزْوُهُ فَتَذَنَّقَ بِتَوَقُّفِ أَمْرِهِ بِمَا قَرِظَ عَالَمِ
الْأَسْبَابِ، فَيُضَدُّ عَنْهُ أُمُورٌ تُخَالِفُ الْأَسْبَابَ، وَتُسَمَّى كَرَامَاتٍ؛ فَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى النُّقْصِ. وَفِيمَا يَلِي أَمثلة توضح ما قلناه.

المثال الأول: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كَامِلِي أَوْلِيَاءِ هَذِهِ
الْأُمَمِ، وَخَامِلِي الْعِلْمِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ، سَبَقَ أَهْلَ عَصْرِهِ، أَخَذَ الْحُرَّةَ
مِنْ سَيِّدَانَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَحِيبَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنْ أَصْحَابِ بَنْدَرِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، كَانَ عُرُوجُهُ كَامِلًا وَنَزْوُهُ أَيْضًا كَامِلًا، فَكَانَتْ
حَيَاتُهُ الظَّاهِرَةُ تَحْتَ الْأَسْبَابِ. كَانَ حَبِيبَ الْعَجَمِيِّ مِنْ مُرِيدِي الْحَسَنِ
الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ ظَاهِرِي وَلَمْ يَكُنْ عُرُوجُهُ
كَامِلًا وَلَا نَزْوُهُ، وَقَصَصَ هَذَيْنِ الشَّيْخَيْنِ مُخْتَلِجَةً إِلَى التَّخْقِيقِ.

كَانَتْ الشَّرْطَةُ تَطْلُبُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى يُكَلِّفَ
بِوُضُوءِهِ حُكُومِيَّةً، وَلَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ يَرْغَبُ فِيهَا، فَهَرَبَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ حَتَّى اخْتَفَى فِي غُرْفَةِ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ لَا تُخَيِّرْ
أَحَدًا أَنِّي اخْتَفَيْتُ هُنَا، بَيْنَمَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتِ الشَّرْطَةُ فَسَأَلُوا حَبِيبًا
الْعَجَمِيَّ: هَلْ رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، اخْتَفَى فِي هَذِهِ
الْحُجْرَةِ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، فَخَافَ كَأَنَّهُ الْأَرْضُ
خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ. فَخَلَّتِ الشَّرْطَةُ فِي الْحُجْرَةِ فَأَخْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْ أَبْصَارِهِمْ، فَتَشَوُّوا هُنَا وَهَنَا فَلَمْ يَرَوْا الشَّيْخَ فَرَجَعُوا، فَخَرَجَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ وَقَالَ: يَا حَبِيبُ! لَمْ أَخْبِرْتُ الشَّرْطَةَ أَنِّي فِي الْحُجْرَةِ؟ فَقَالَ: يَا
شَيْخُ هَلْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ؟ يَبْدُو ظَاهِرًا أَنَّ رُبَّةَ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ
عَالِيَةٌ، وَلَكِنْ كَانَ تَفَكَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ تَابِعًا لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَكَانَ
تَفَكَّرَ حَبِيبَ الْعَجَمِيِّ تَابِعًا لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ الشَّيْخُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَمُرُّ فِي الشَّارِعِ فَرَأَى قِبَاءَ حَبِيبِ
الْعَجَمِيِّ مَوْضُوعًا فَتَحَيَّرَ أَتَى ذَهَبَ حَبِيبٌ وَلِمَ تَرَكَ الْقِبَاءَ هَهُنَا؟ فَوَقَّفَ

بِتَغْلِزِهِ وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَجَعَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ، فَسَأَلَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَا حَبِيبُ فِي ذِمَّةٍ مَنْ تَرَكْتْ هَذَا الْقَبَاءَ؟ فَقَالَ الْحَبِيبُ: يَا سَيِّدِي تَرَكْتُهُ فِي ذِمَّةِ مَنْ أَقَامَكَ لِحِفْظِهِ، فَظَهَرَ أَنَّ تَفَكَّرَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ تَفَكَّرَ مَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ، وَتَفَكَّرَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ تَفَكَّرَ مَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ.

كَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ يَرِيدُ مَرَّةً أَنْ يَغْبِرَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ وَجَدَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ جَالِسًا فَسَأَلَهُ: لِمَذَا تَجْلِسُ ههنا؟ فَقَالَ: أَتَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ لِأَغْبِرَ الْبَحْرَ فَأَخْذًا يَنْكَلِمَانِ، وَبَعْدَ لَآيٍ قَالَ حَبِيبُ: تَفَضَّلْ يَا سَيِّدِي أَرِيدُ الذَّهَابَ، قَالَ هَذَا وَغَبَرَ الْبَحْرَ قَائِمًا عَلَى الْمَاءِ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ جَالِسٌ يَنْتَظِرُ السَّفِينَةَ فَجَاءَتْ السَّفِينَةُ فَغَبَرَ الْبَحْرَ.

يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ أَنَّ حَبِيبًا شَيْخٌ كَامِلٌ عَالِي الْمَرْتَبَةِ، وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ خِلَافَهُ. كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ شَيْخًا وَالْحَبِيبُ الْعَجَمِيُّ مَرِيدًا. كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ كَامِلًا وَكَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ نَاقِصًا، كَانَتْ حَيَاةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ مُوَافِقَةً لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَكَانَتْ حَيَاةُ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ مُوَافِقَةً لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ. كَانَتْ حَيَاةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَقْرَبَ وَأَشْبَهَ بِحَيَاةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لِحَيَاةِ حَبِيبِ الْعَجَمِيِّ كَمَالٌ مُشَابِهٌ بِحَيَاةِ ﷺ. فَتَبَيَّنَ أَنَّ صُدُورَ الْخَوَارِقِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

المثال الثاني: عَلِمَ شَيْخٌ بِوفاةِ ابْنِهِ فَلَمْ يَحْزَنْ وَلَمْ يَبْأَلِ وَقَالَ: اسْتَرَدَّ مَنْ كَانَ الْوَلَدُ أَمَانَتَهُ. بَيْنَمَا تُوفِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَ يَسْتَعِيرُ وَيَقُولُ: «الْقَلْبُ يَحْزَنُ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَإِنَّا بِغِرَافِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». كَانَتْ حَيَاةُ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ الظَّاهِرَةِ مُوَافِقَةً لِمَا تَحْتَ الْأَسْبَابِ، وَلِهَذَا كَانَ يَبْكِي، بَيْنَمَا كَانَ أَمْرُ الْوَلِيِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَمْرٌ غَائِبٌ عَنِ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَحْزَنْ بِغِرَافِ الْوَلَدِ.

المثال الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى ذِكْرِ اسْمِهِ﴾ (يونس: ١٥) بِنَاءٍ عَلَيْهِ أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ أُمَّتَهُ لِيَسْأَلُوا اللَّهَ الْجَنَّةَ وَيَقُولُوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا

تَسْأَلُكَ الْجَنَّةُ وَتُعَوِّدُ بِكَ مِنَ النَّارِ. بينما زَايَعَةُ البَصْرِيَّةُ حَمَلَتْ بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ وَخَرَجَتْ تَقُولُ: أَنَا أَخْرِقُ الْجَنَّةَ وَأُطْفِئُ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْلُصَ النَّاسُ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ طَمَعٌ فِي الْجَنَّةِ وَلَا خَوْفٌ مِنْ جَهَنَّمَ. فَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَانِبٍ، وَعَمَلُ زَايَعَةَ الْبَصْرِيَّةِ فِي جَانِبٍ آخَرَ. وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ الْمَجْدُودُ فِي مَكْتُوبَاتِهِ: لَمْ يَكُنْ نَزُولُ زَايَعَةَ الْبَصْرِيَّةِ كَامِلًا فَكَانَ فِكْرُهَا مُوَافِقًا لِمَا فَوْقَ الْأَسْبَابِ. زَايَعَةُ الْمَسْكِينَةُ إِنْ أَطْلَعَتْ عَلَى هَذَا السِّرِّ لَمْ تَخْرُجْ قَابِضَةً بِإِحْدَى يَدَيْهَا النَّارَ وَبِالْأُخْرَى الْمَاءَ.

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُودِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ بَعْضَ الْأَوْلِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَزُولُهُ كَامِلًا، فَيَكْثُرُ مِنْهُمْ ضُذُوزُ الْخَوَارِقِ، وَنَتِيجَةُ هَذَا التَّفْصِيلِ أَنْ يُظْهَرَ الْكِرَامَاتُ قَدْ يَكُونُ لِوَضْعِ قِيُولِ الْكَامِلِينَ فِي الْعَامَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْمَعُوبَةِ وَالْجَزَاءِ، وَقَدْ يَضْدُرُّ لِنَاقِصِ النِّزُولِ، وَلَمَّا كَانَ الْفَرْقُ صَعْبًا جُعِلَ الْأَصْلُ أَنَّ كِرَامَاتِ وَلِيِّ لَا تَدُلُّ عَلَى قُضَلٍ.

١٦ - مَالَةٌ: الاسْتِغَامَةُ فَوْقَ الْكِرَامَةِ.

قَالِدَةٌ: الاسْتِغَامَةُ أَنْ يَغْمَلَ الرَّجُلُ كُلَّ عَمَلٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ وَالسُّنَنِ. وَالاسْتِغَامَةُ هِيَ أَكْبَرُ كِرَامَةٍ. مَكَثَ رَجُلٌ فِي صُحْبَةِ جُنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ، قَالَ يَوْمًا: يَا سَيِّدِي! ائْذَنْ لِي أَزْجِعَ إِلَى شَيْخٍ آخَرَ، فَقَالَ: وَلِمَاذَا؟ قَالَ الرَّجُلُ: مَكَثْتُ فِي خِدْمَتِكُمْ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ وَلَمْ أَشَاهِدْ أَيَّ كِرَامَةٍ. فَقَالَ الشَّيْخُ: وَغَلَّ شَاهَدْتُ عَمَلًا يُخَالِفُ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: وَأَيَّ كِرَامَةٍ فُوقَ هَذَا؟

أَخْبَرَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِي بِشَيْخٍ صَاحِبِ كِرَامَاتٍ فَذَهَبَ إِلَيْقَانِهِ، فَرَأَى مِنْ بَعِيدٍ أَنَّهُ اخْتِجَاعٌ إِلَى الْقَاءِ الْبِصَاقِ فَتَقَلَّ إِلَى الْقَبِيلَةِ فَرَجَعَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ مِنْ غَيْرِ تَسْلِيمٍ عَلَيْهِ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَقِيمْ عَلَى مُسْتَحَبِّ

كيف يكون من كبار الأولياء؟ فعَلَامَةُ كَوْنِ الرَّجُلِ وَلِيًّا أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ
أَحْوَالِهِ مُوَافِقَةً لِلسُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ.

١٧ - **مسألة:** رُفِعَ بِنَاءُ قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَبِنَاءِ السَّقْفِ
عَلَيْهَا لَا يَجُوزُ.

لائدة: لَا يَجُوزُ الْبِنَاءُ عَلَى الْقُبُورِ كَمَا هُوَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ،
فَبِنَاءِ السَّقْفِ وَرَفْعُ بِنَائِهِ فَوْقَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ لَا يَجُوزُ.

١٨ - **مسألة:** يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ التَّصَرُّفَاتُ وَالْخَوَارِقُ بَعْدَ وَفَائِهِمْ.
لَمْ يَنْقَطِعْ قُبُوضُ أَهْلِ اللَّهِ بَعْدَ الْإِنْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ لَا تَزَالُ السَّنَسَلَةُ
الرُّوحَانِيَّةُ فَلَا يَتَعَدَّى ظُهُورُ التَّصَرُّفَاتِ وَالْخَوَارِقِ مِنْ بَعْضِ الْكَامِلِينَ بَعْدَ
وَفَائِهِمْ.

١٩ - **مسألة:** إِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَضِيَ بِأَمْرٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ
فَلَا عِبْرَةَ بِهَذَا الْمَنَامِ.

لائدة: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِ الشَّيْطَانُ لَا يَتَمَثَّلُ بِي». قَالَ الْمُجْتَدِدُ
وَهُوَ يَشْرَحُ هَذَا الْحَدِيثَ: إِنَّهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ فَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِصُورَتِهِ
الَّتِي هُوَ مَوْجُودٌ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ أَنْ يُرِنَهُ الشَّيْطَانُ
صُورَةً أُخْرَى وَيُؤَسِّسُ فِي الْقَلْبِ أَنَّكَ تَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَنْ يَحَقِّقُ
أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الصُّورَةَ الْحَقِيقِيَّةَ أَوْ غَيْرَهَا؟ فَالْفَارِقُ لَنَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ هُوَ
الشَّرِيعَةُ وَالسُّنَّةُ، وَإِنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ وَلِيًّا يَأْمُرُ بِمَا يَخَالِفُ الشَّرْعَ فَلَا حُجَّةَ
فِي ذَلِكَ. بَعْضُ النَّاسِ يَزَوُّنَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ أَحَدًا مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ يَأْمُرُهُ
بِشَيْءٍ يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ فَيَقْعُدُونَ فِي أُمُورٍ ضَدَّ الشَّرِيعَةِ. اسْتَغْفِرُ اللَّهَ هَذَا
جَهْلٌ كُلُّهُ أَنْ يُجْعَلَ الدِّينُ الْقَوِيمُ أَذَوًّا وَأَهْوَنَ مِنَ الرُّوْيَا.

٢٠ - **مسألة:** أَضْمَالُ لَا يَجُوزُ مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الظَّاهِرِيَّةِ لَا يَجُوزُ
مُبَاشَرَتُهَا بِالْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ.

فائدة: العمل الذي لم تُبْخه الشريعة لا يجوز بالقوى الظاهرة ولا بالقوى الباطنة. مثال ذلك أن يُلقِي شخصٌ توجّهاته على شخصٍ ويستخره لأمرٍ مُخالِفٍ للشريعة، فهذا لا يجوز، وكأن يكون له عداوة لشخص فلا يجوز أن يجثو بالتصريف الباطني.

٢١ - مسألة: إن اتفق صدور معصية بين ولي ثم بخل بولايته وكرامته إذا لم يُجبر عليها.

فائدة: صدور معصية اتفاقاً مقتضى البشرية، ولكن الكاملين يتوبون بعد مثل هذه المعصية توبة يتألون أجراً لا يتأله العامة على الأعمال الصالحة، صدور المعصية من الأولياء ممكن، ولكن لا يجبرون على الذنوب لأنه دأب الفساق.

٢٢ - مسألة: وقد الولي بدون الأعمال لا يصير شيخاً.

فائدة: كما لا يصير وقد الطبيب طبيباً ما ثم يتعلم فن الطب، كذلك لا يصير وقد الولي ولياً ما ثم ينحصر على مقامات الولاية بالقوى، والتركيز منوط الولاية لدى الجهال العمامة والشجرة، فقد أصبح الفساق الفجار ذور الأعمال السيئة مُرشدي مَناب الوفاء من الناس في الروحانية من أجل آياتهم وأجذابهم، مع أنهم لم يعرفوا راء الروحانية وهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا عَنْ آيَاتِنَا أَنْتَهُمْ خَلْفَ أَعْيُنِهمْ﴾ (مريم: ١٥٩).

إنما عملهم إضاعة الثيران في الأعراس السنوية أو جمع الجموع وتوزيع الحلويات لا يتبعون الشريعة ولا يجدون توفيقاً للتبليغ إلى غيره، فهذا ضلال كله كما قال قائل:

وجدوا في السمرات مئصب الإزشاد
وقعت في يد الغراب أعشاش العقاب

٢٣ - مسألة: الإحداث في الطريقة كالإحداث في الشريعة في الإثم.

فائدة: يدعة الطريقة كبدعة الشريعة إن رمخ هذا القلب نيسر
الوقاية من بدعات المشايخ الجهال.

٢٤ - مسألة: يعطى المقرَّبون ثواب العبادات أكثر من الأبرار.

فائدة: قال النبي ﷺ: «لا تُسَبِّحُوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ
أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ».

[الخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٨

ص ٥٥٢]

فَقَبُتْ أَنَّ الْوَلِيَّ مَهْمَا تَقَدَّمَ فِي الْغُرْبِ يَزْدَادُ أَجْرُ عِبَادَتِهِ، وَأَيْضًا
يُؤَاخِذُونَ فَوْقَ مَا يُؤَاخِذُ الْأَبْرَارُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ
الْمُقَرَّبِينَ.

الباب التاسع

دروس التصوف

زينة وجمال الشريعة المحمدية :

كَانَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى أَحْمَدُ الْمُجْتَنَّبِ ۞
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ . وَالْأُمَّةُ الْمَحْمُودَةُ - عَلَى نَبِيِّهَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ -
أَخْبَرُ أُمَّةٍ ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ أَخْبَرُ دِينٍ فِي الدُّنْيَا . أُنْزِلَتْ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ
الْمَحْمُودَةِ - عَلَى صَاحِبِهَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ - لِيُعْمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَذَكَرُ أَهْمِيَّةَ بَعْضِ الْأَحْكَامِ وَعَيْنَ وَسَائِلِهَا .

وَيُعْضُ الْأَحْكَامُ ذَكَرُ أَهْمِيَّتِهَا وَلَمْ يَحْذَرْ وَسَائِلَهَا وَذَرَائِعَهَا .
وَالْحِكْمَةُ فِي تَرْكِ تَحْدِيدِ الذَّرَائِعِ وَالْوَسَائِلِ أَنَّ يَبْقَى هَذَا الدِّينُ حَيًّا يُمَكِّنُ
الْعَمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنْ لَا يَقَالَ : إِنَّ هَذَا الدِّينَ خَامِدٌ غَيْرُ صَالِحٍ
لِمُقْتَضَيَاتِ الْأَوْضَاعِ الْمُبْتَدِلَةِ ، وَأَنْ لَا يَقْبَدْ فِي أَحْدَادِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَعَابِدِ
كَالْمَسِيحِيَّةِ الْغَيْرِ الْمُمْكِنِ الْعَمَلُ بِهَا ، فَتُعَيَّنُ الْمُفَاضِلُ وَالْتَوْسِيعُ فِي تَخْيِيرِ
الْوَسَائِلِ يَدُلُّ عَلَى جَمَالِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْمُودَةِ .

ذَكَرُ بَعْضِ الْأَمَثِلَةِ :

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْغَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِإِعْدَادِ مَا يُسْتَطَاعُ مِنْ قُوَّةٍ وَأَنْشِيرِ بِإِذْنِ رَبِّهِ
الْغَيْلِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ آلَاتُ الْجِهَادِ ، وَلَمْ يُعَيَّنْ تَفْصِيْلَاتُ أُخْرَى ، بَلْ قَدْ صَرَّحَ

بالمقصود بأن تَجْمَعُوا مِنَ الْقُوَّةِ مَا يَرْهَبُ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ - يُوَيْدُ الْعَقْلَ السَّلِيمَ أَنَّ الْعَدُوَّ لَا يَرْهَبُ الْيَوْمَ بِاِقْتِنَاءِ الْحَبْلِ وَبِجَمْعِ السَّبُوفِ وَالسَّنَنِ وَالزَّمَامِ، بَلْ لَا بَدَّ مِنْ إِعْدَادِ الطَّائِرَاتِ وَالْبَوَاجِرِ وَالصُّوَارِيخِ وَالْقَنَابِلِ الذَّرِيَّةِ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الشَّرْعَ عَيْنُ الْمَقْصُودِ ههنا، وَأَرْخَى الْعَيْنَانِ لاختيار الوسائل والدلائل حسب متطلبات وقت الحاجة.

المسألة السابعة: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩]

فَحِفْظُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِسَاعَتُهُ فَرِيضَةً مُحْكَمَةً وَهَامَةً، وَلَكِنْ لَمْ يَبَيِّنْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ اخْتَارُوا طَرِيقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى وَقَعَتْ حَرْبُ يَمَامَةَ فِي عَهْدِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَاسْتَشْهَدَ أَرْبَعَمِائَةِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ حُفَاطِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَبَدَأَ لِعَمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَحْفُوظًا فِي الصَّحَافِ كَمَا هُوَ مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، فَقَدَّمَ أَمَامَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اقْتِرَاحَ إِعْدَادِ نَسْخَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتَأَمَّلَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ فِي قَبُولِ هَذَا الْاِقْتِرَاحِ، وَقَالَ: كَيْفَ نَفْعُلْ شَيْئًا لَمْ يَقْعُدْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَلَمْ يَزَلْ عَمْرٌ بِرَاجِعِهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِدَلِّكَ، فَأَقَامَ لِحِجَّةٍ تَحْتَ إِشْرَافِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَمَعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَلَى الْأَخْجَارِ وَالْجُلُودِ وَالثِّيَابِ وَأُورَاقِ الْأَشْجَارِ.

قال ابن كثير: قال زَيْدٌ: قال أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ زَجَلْتُ شَابَّ غَافِلًا، لَا تَنْهَمُكَ وَفَدَّ كُنْتُ نَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْتِجُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ إِلَى أَنْ قَالَ: . . . فَتَنْتِجُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعَسْبِ وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ.

[فضائل القرآن مع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٣٦]

فَنَمُ أَمْرُ جَمْعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ

عنه، وتقدم عثمان رضي الله عنه خطوة فاعداً أربع صور لذلك المصنف وأرسلها إلى بلاد مختلفة. يوجد منها مخطوطة في تاشقند، وأخرى في مئخنف إستانبول إلى اليوم، وأيضاً لم يكن يرسم في المصحف الضمة والفتحة والكسرة والنشيد وأمثالها في عهد الصحابة، وكانت لا تكتب الإعجام على الياء والياء وهي اليوم لازمة. فعلم أنه عين هدف جفط القرآن ونشرو وأبيع رعاية متطلبات العصور لاختيار الوسائل والذرائع، وفوض هذا الأمر إلى رأي العلماء من هذه الأمة.

المثال الثالث: قال النبي ﷺ: **«طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»**.

[شرح السنة ج ١ ص ٢٩٠]

ذكر في الحديث الشريف ضرورة تحصيل العلم الديني، ولكن كيف يحصل ولم يذكر لها تفصيلات. دون العلماء المحدثون فن أسماء الرجال وجمعوا متون الأحاديث بأسانيدها. ما كان للصحابة علم بأسماء الصحاح الستة لأنه لم يكن لها وجود في ذلك الوقت ولا يسكن اليوم تعلم الأحاديث بدونها. رتب العلماء اليوم مذهباً خاصاً (وهو المسمى في ديارنا بالدرس النظامي) لتحصيل العلم ورعاية للأوضاع اليومية، فلا بد لكل من يريد تعلم القرآن والحديث من أخذ فنون الصرف والنحو، فتبين أنه قد أخذ بأهمية تحصيل العلم، ولكن وضع عبء اختيار الوسائل والذرائع على أكتاف علماء الأمة، والمحمد لله، إن علماء هذه الأمة أدوا هذه الفريضة حق أدائها.

جئت إلى المقصود:

تبين من هذه الأمثلة كالتحليل المضيء أن الشريعة المطهرة بيّنت أهمية بغض الأحكام بدون تعيين أسبابها ووسائلها، وهو دليل كمال

الشريعة المضطوية. وننظر الآن إلى طريقة الذكر والسلوك من هذا الجانب. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

[صحيح مسلم ج ٣ ص ١٢٢٠ طبع بيروت]

فَعَلِمَ أَنَّ مَبْنَى صَلَاحِ الْإِنْسَانِ عَلَى صَلَاحِ قَلْبِهِ، وَلِهَذَا لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَشَكْلِهِ، وَلَا إِلَى مَالِهِ وَثَرَوَتِهِ، بَلْ إِلَى قَلْبِهِ وَأَعْمَالِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

[شرح السنة ج ١٤ ص ٣٤١]

وَيَنْشَأُ ههنا سَوَالٌ أَنَّهُ كَيْفَ يُمَكِّنُ تَحْصِيلُ صِفَاتِ الْقَلْبِ وَسَلَامَتِهِ؟ فَبَيَّنَ طَرِيقَهُ النَّبِيُّ ﷺ. عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِفَاتٌ وَإِنَّ صِفَاتِ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللَّهِ».

[رواه البيهقي: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ١٣٩٦]

فَتَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُتَخَصِّصٍ تَحْصِيلُ قَلْبٍ سَلِيمٍ، فَكَأَنَّهُ حَدَّدَ الْمَقْصُودَ وَأَرْشَدَ إِلَى الْوَسَائِلِ وَبَاتَهَا تَحْصِيلُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَقَطْ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهَا تَفْصِيلاتَ. إِنَّ أَيْ ذِكْرٍ يَنْفَعُ لِلحَّلَالِ مِنَ الْأَمْراضِ الْقَلْبِيَّةِ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحِرْصِ وَالْبُخْلِ وَالْعَجَبِ وَالْحَسَدِ فَذَكَرَ بِالْإِجْمَالِ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ شِفَاءُ الْقُلُوبِ وَوَضَعَ عِبَاءَ التَّفْصِيلاتِ عَلَى كَوَاهِلِ أَهْلِ الذِّكْرِ مِنَ الْأُمَمِ حَتَّى يَتَذَكَّرُوا الْمَذَكَّرَ مَرَاعِينَ لَطَائِعِ الطَّالِبِينَ وَمُقْتَضِيَاتِ كَيْفِيَاتِهِمْ، فَالْمَشَايِخُ الْعِظَامُ يَصْنَعُونَ لَوَاحِدَ صِفَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى نَظراً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الاعراف: ٢٠٥] وَيَلْقَثُونَ لِآخِرِ بِإِكْتِنَارِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ نَظراً لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَيَعْلَمُونَ شَخْصاً الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ، أَعْنِي الْمِرَاقِبَةَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وَيَصِفُونَ لِآخِرِ الذِّكْرِ الْإِنْسَانِي لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الاعراف: ٢٠٥] فَتَبَيَّنَ

أَنْ أَعْمَالَ أَهْلِ الذِّكْرِ وَأَشْغَالَهُمْ أَيْ دُرُوسِ التَّصَوُّفِ كَمَا هِجِ الدُّرُوسِ
النِّظَامِي ذَرِيعَةً وَوَسِيلَةً لِلنِّيلِ الْمَفَاحِيدِ. وَفِيمَا يَلِي تَأْيِيدُ مَا قُلْنَا بِذِكْرِ بَعْضِ
نُصُوصِ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

نصوص من كلام السلف الصالحين :

قَالَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا رَشِيدُ أَحْمَدَ الْجَنْجُوهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
مَكْتُوبٍ لَهُ إِلَى سَائِلٍ: الْمُنْقُصُودُ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْغَالِ وَالْمَطْلُوبُ مِنْ جَمِيعِ
الْمُرَاقَبَاتِ وَمُلْتَمَاسِهَا، هُوَ حُضُورُ الْقَلْبِ بِلا كِتْفِ الَّذِي يَسْرَهُ اللَّهُ سِرِّحَانَهُ
وَتَعَالَى لَكَ. كَانَتْ يُسَبِّحُ الصَّخَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هِيَ هَذِهِ الْحُضُورُ.

[مكاتب رشيدية ص ٤٥]

وَقَالَ الشَّيْخُ الشَّاهُ إِسْمَاعِيلُ الشَّهِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
إِبْطَاحُ الْحَقِّ الصَّرِيحِ: أَشْغَالُ الْمُصَوِّفِ نَافِعَةٌ كَالدَّوَاءِ وَالْعِلَاجِ فَيَسْتَفِيدُ بِهَا
وَقَتَّ الْحَاجَّةَ ثُمَّ يَسْتَغْلُ فِي أَعْمَالِهِ.

[إيضاح الحق الصريح ص ٧٨]

قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَانِيُّ مَجِدِّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
مَكْتُوباتِهِ: لَيْسَ الْهَدَفُ مِنْ قِطْعِ مَنَازِلِ الطَّرِيقَةِ وَالْحَقِيقَةِ سِوَى نَيْلِ
الْإِخْلَاصِ، وَبِالْإِخْلَاصِ يَحْصُلُ مَقَامُ الرِّضَا. يَظُنُّ الْقَاصِرُونَ الْأَحْوَالِ
وَالْمَرَاغِبِينَ مَقْصُودًا وَالْمُشَاهِدَاتِ وَالتَّجَلِّيَاتِ مَطْلُوبًا، وَهَؤُلَاءِ مَخْرُوقُونَ
مِنْ كَمَالَاتِ الشَّرِيعَةِ. لَا شَكَّ أَنَّ حُصُولَ مَقَامِ الْإِخْلَاصِ وَالْوُضُوءِ إِلَى
مَقَامِ الرِّضَا يَكُونُ بَعْدَ قِطْعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَالْمَوَاجِبِ، فَمَرْتَبَتُهَا كَمَا سَاعِدِ
الْمَقْصُودِ الْحَقِيقِيِّ.

[المكتوبات ج ١ مكتوب ثالث وسادس]

فَتَبَيَّنَتْ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ أَنَّ أَعْمَالَ وَأَشْغَالَ الْمَشَايِخِ وَسِيلَةٌ وَذَرِيعَةٌ لِلنِّيلِ
صَفَاءِ الْقَلْبِ، وَلِلذَلِكَ يَعْدِلُهَا الْمَشَايِخُ نَظَرًا لِمُقْتَضِيَاتِ الْوَقْتِ وَالزَّمَنِ.

وقال الشَّاهُ إسماعيلُ الشهيدُ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: تَخْتَلِفُ أَشْغَالُ كُلِّ قَرْنٍ وَوَقْتٍ، وَلِهَذَا لَا يَزَالُ مُحَقِّقُو كُلِّ طَرِيقٍ يَحَاوِلُونَ لِتَجْدِيدِ الْأَشْغَالِ.

أصراط مستقيم ص ١٧

فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ نَيْلُ صَفَاءِ الْقَلْبِ بِدُونِ هَذِهِ الْأَوْرَادِ. وَقَالَ الشَّاهُ وَلِيُّ اللهِ الْمُحَدَّثُ الذَّاهِلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ الصُّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كَانُوا يَنَالُونَ النِّسْبَةَ بِطَرِيقِ أُخْرَى أَيْضاً، كَالْمُوَاطَّيَةِ عَلَى الصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحَاتِ بِشُرُوطِهَا وَالْمُتَدَاوِمَةِ عَلَى الطَّهَارَةِ وَذِكْرِ الْمَوْتِ وَاسْتِحْضَارِ الثَّوَابِ وَالْعَذَابِ، إِذْ يَحْصُلُ بِهِمْ الْأُمُورُ الْإِنْقِطَاعُ عَنِ اللَّذَاتِ الْمَادِيَّةِ.

[القول الجميل]

أَقُولُ: وَإِنْ حَصَلَ لِأَحَدٍ صَفَاءُ الْقَلْبِ وَتَجَنُّبُةٌ: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ» بِطَرِيقِ آخَرٍ يَسُورِي الْأَعْمَالِ وَالْأَشْغَالِ الْمَعْرُوفَةِ، فَقَدْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ. هَؤُلَاءِ مُسْتَحَقُّونَ لِلتَّشْبِيرِ وَالْفَهْنَةِ وَإِنْ لَمْ تُوجَدْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ الْقَلْبِيَّةُ وَالِاسْتِحْضَارُ، وَيَصْرِفُهُ الْوَسَاوِسُ الدُّنْيَوِيَّةُ إِلَيْهَا فِي الصَّلَاةِ، وَلَا تَنْتَهِي بِالطَّرْدِ، وَتَرْتَفِعُ الْأَبْصَارُ تِلْقَائِيًّا إِلَى غَيْرِ الْمُخْرَمِ وَهُوَ بَشَرِي فِي الطَّرِيقِ وَتَهْجُمُ عَلَى الْقَلْبِ الْوَسَاوِسُ الشَّيْطَانِيَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَيَنْشَأُ فِي النَّفْسِ الشُّرُورُ بِمَذْحِ النَّاسِ وَيَدُلِّي بِبَيَانٍ كَذِبٍ لِإِخْفَاءِ مَخَاصِيهِ وَسُوءِ ذُنُوبِهِ مِنْ النَّاسِ؛ فَهَذِهِ كُلُّهَا آهَاتُ بَيِّنَاتٍ لِلْأَمْرَاضِ الْبَاطِنَةِ الْمُهْلِكَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ عِلاجُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ تَحْتَ رِعَايَةِ الْمَشَائِخِ الْعِظَامِ، وَلَا مَقَرَّ مِنْهُ وَيُنْذِرُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ هُوَ سَبَبُ النَّجَاةِ بِزَوْمِ الْخَشْيَةِ. قَالَ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ دُرُوسِ التَّصَوُّفِ نَيْلُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَالْقَلْبِ الْمُنِيبِ، حَتَّى تَكُونَ حَالَةُ السَّالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَمِيزَتَهُ وَأَخْلَاقَهُ، أَيْ اسْتِخْدَامُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ مُطَابَقاً تَمَاماً بِ: (تَعَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ).

قال الإمام الغزالي في كتابه الملقب من الضلال: (عَلِمْتُ يَقِيناً أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمْ السَّالِكُونَ لطريقِ اللَّهِ تعالى خاصةً، وَأَنَّ سِيرَتَهُمْ أَحْسَنُ السَّيْرِ، وَطَرِيقُهُمْ أَصَوَّبُ الطَّرِيقِ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَزْكَى الْأَخْلَاقِ، بَلْ لَوْ جُمِعَ عَقْلُ الْعُقَلَاءِ وَحِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ وَعِلْمُ الْوَاقِفِينَ عَلَى أَسْرَارِ الشَّرْعِ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَيَغْتَبَرُوا شَيْئاً مِنْ سِيرَتِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ، وَيَبْذُلُوهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ بِهِ، لَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلاً، فَإِنْ جُمِعَ حَرَكَاتُهُمْ وَسَكَنَاتُهُمْ فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ فَتَقَبَّسَتْ مِنْ نُورِ مَشْكَاتِ النُّبُوَّةِ وَلَيْسَ وَرَاءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ،

[المفرد من الضلال ص ٤٩ - ٥٠]

دلائل الأخزاب والوظائف:

رُتِبَ مشايخُ الطَّرِيقَةِ الْأَوْرَادِ وَالْوَظَائِفِ فِي صَوْنِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هِيَ لِلْمُبْتَدِئِ كَدْوَاءٌ، وَلِلْمُتَتَّبِعِ كِفَاءٌ، لَوْ دَاوَمَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا عِنْدَ أَيَّامِ نَحْتِ رِعَايَةِ شَيْخٍ كَامِلٍ يَجِدُ فِي حَيَاتِهِ انْقِلَاباً إِسْلَامِيّاً وَثَوْرَةً إِبْرَاهِيمِيَّةً وَفُرَاتِيَّةً. وَتَدْخُلُ الْمَحَبَّةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي غُضْبِ غُضْبٍ، وَيَتَغَيَّرُ رُؤْيَا عَيْنٍ وَنُطْقِ لِسَانٍ وَمَشْيِ قَدَمٍ، وَيَشْعُرُ السَّالِكُ كَأَنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ غِلَافٌ يُفَاقِ وَقَدْ زَالَ، وَبَرَزَ مِنَ الدَّخْلِ إِنْسَانٌ صَادِقٌ وَخَالِصٌ. كَمَا أَنَّ الثَّيْبَةَ كَانَتْ كَابِئَةً فِي النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُنْتُ نَبِيًّا وَأَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ».

[الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٦]

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَبِي مُنْجِدٍ فِي طَبِئَتِهِ.

[دلائل النبوة ج ١ ص ٣٨٩]

وَلَكِنِ اخْتَبِجْ لِأَفْهَارِهِ فِي الْعَالَمِ الظَّاهِرِ إِلَى الْخُلُوفِ وَالذُّخْرِ. (وَحَيَاةُ

غار جزاء ذليل واضح على ذلك). كذلك الولاية تكون كامة في الولي ولكن تحتاج للظهور إلى التقوى والطهارة والمواظبة على الأوزاد. وقد كشف عن هذا السر الإمام الرباني مجدد الألف الثاني بقوله: (كل إنسان ولي بالقوة والحاجة إلى الأغفال ليكون وليا بالفعل، فكان كل إنسان وضع فيه استعداد لو استغنى عنه لأصبح وليا).

أنشد الشاه بيك خليفة الشاه أبي المعالي أنباتاً ومغتافلاً: (ليس أحد جائعاً ساعياً بل في حقيقة كل إنسان جواهر ولآل ولا يعرفون فتح عقده، فيمشون مفلسين فقراء). كالبدن يكون فيه استعداد أن يكون شجرة وإن تيسر لذلك البذر التربوي تحت رعاية بستاني في أرض خصبة يصير شجرة مثمرة، كذلك السالك لو اشتغل بالأخلاق الحسنة لأوراد تحت ظل شيخ كامل أياماً، تفتح زهور الأخلاق الحسنة في شخصيته وتصبح شجرة رجاية مثمرة. وهذه الوضعة جربها ملايين الناس في الدنيا واستفادوا بها. كما أن صيدلياً يقول: إن تأكلوا السكر تجذوه خلوا، كذلك الشيخ الكامل عندما يلقن بالأوزاد يكون على ثقة من أنه يستفيد السالك يقيناً، ويكون تحت قدمه صخر، نعم لو وقع شخص في يد شيخ نافس، أو يكون الشيخ كاملاً، ولكن لا يواظب السالك على الأوزاد، فهو خارج عن المنهج، وهو مثل مريض يأخذ الوضعة من طبيب ذائع الصيت، ويشفي والوضعة في جيبه ولا يتناولها ويقول بعد أيام للطبيب: لم أبق، فيسأل الطبيب هل تناولت الدواء؟ فيجيب المريض: نعم وضعتها في جيبى. فيقول الطبيب: يا شقي! لو وضعتها في بطنك لكان مفيداً.

ومن جملة هذه الأوراد أنها سهلة في العمل وتحصل بها التزكية والإحسان، ثم تيسر العمل بالشرع كله، وهذا القول ثابت ككلمات أن مجموع (الاثنين والاثنين أربعة). فمن لم يوقن فلمجرب يعرف حقيقة الحال.

وإليك تفصيل هذه الأوزاد والأعمال .

١ - الذكر: ويسمى (الوقوف القلبي) ذِكْرُ اللَّهِ دواء القلوب وشفاء من الأمراض الباطنة . قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

ذَكَرَ اللَّهُ لِلْقَلْبِ كَالْمَاءِ لِلْسَمِّ يَجِدُ بِهِ السَّالِكُ بِشَارَةً . ﴿ تَذَكُّرُوتِي ﴾ [البقرة: 192] و : « فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي » ، وسعادة « أَنَا جُلِيسٌ مَنْ ذَكَرْتَنِي » . عذ الخافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوايل الصيب) للذكر مائة فائدة .

الذكر نوعان : لِسَانِي وَقَلْبِي . قال شاعر :

لِسَانِي وَقَلْبِي يَفْرَحَانِ بِذِكْرِهِمَا وَمَا السَّمْعُ إِلَّا قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ

ثَبَّتَ بِالْأَحَادِيثِ الشَّيْئَةَ أَنَّ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ يُفْضَلُ عَلَى الذِّكْرِ اللَّسَانِي سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَفُضِّلَ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ عَلَى الذِّكْرِ اللَّسَانِي عَقْلاً بِوُجُوهٍ آتَتْ :

يُمْكِنُ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ كُلَّ وَقْتٍ ، وَلَا يُمْكِنُ الذِّكْرَ اللَّسَانِيَّ كُلَّ وَقْتٍ ، فَالسَّالِكُ عِنْدَمَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، أَوْ يُلْقِي مُحَاضَرَةً ، أَوْ يَجْلِسُ عَلَى الْمُنْتَجَرِ يَعْقِدُ مَعَ الزَّبُونِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ بِلِسَانِهِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَمَلَيْنِ ؛ فَهُوَ إِنَّمَا أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى ، إِذْ يُمْكِنُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَمَلٍ وَاحِدٍ ، بَيْنَمَا يُمْكِنُ الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ كُلَّ سَاعَةٍ وَأَنْ مُسْتَلْقِياً وَجَالِساً قَائِماً وَمَاشِياً .

يَتَحَرَّكُ اللِّسَانُ عِنْدَ الذِّكْرِ اللَّسَانِيِّ ، وَتَهْتَزُّ الشَّغْفَةُ فَيَخَافُ عَلَى الذَّاكِرِ الزَّيَاءَ . بَيْنَمَا الذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ يَعْلَمُهُ إِمَّا الذَّاكِرُ وَإِمَّا الْمَذْكُورُ ، وَالذِّكْرَ الْقَلْبِيَّ لَا يَسْمَعُهُ الْمَلَانِكَةُ بَلْ يَجِدُونَ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَتُبَيِّنُ الْحَقِيقَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ ذَلِكَ الطَّيِّبَ طَيِّبُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

شِعْرٌ :

يَكُونُ بَيْنَ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ سِرٌّ كِرَامٌ كَاتِبُونَ لَيْسَ لَهُمْ بِهِ حَبْرٌ

ولهذا يسمى الذكر القلبي ذكراً خفياً.

إنَّ مَحَلَّ الذَّكَرِ فِي الْجِسْمِ الْإِنْسَانِيِّ هُوَ الْقَلْبُ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَهُوَ آلَةُ الْإِظْهَارِ فَقَطْ لَمْ تَقُلْ أَمْ لَوْلَاهَا قَطْ: (يَا بَنِيَّ إِنَّ لِسَانِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا، بَلْ تَقُولُ دَائِمًا: (إِنَّ قَلْبِي يَذْكُرُكَ كَثِيرًا) فَعَلِمَ أَنَّ مَحَلَّ الذَّكَرِ هُوَ الْقَلْبُ؛ فَهَبَّتِ بِالذَّلَالِ الْعَقْلِيَّةِ أَنَّ الذَّكَرَ الْقَلْبِيَّ أَفْضَلُ مِنَ الذَّكَرِ اللَّسَانِيِّ؛ قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

كُنْ حَسِيرًا بِالنَّاطِقِ وَأَجْنَبِيًّا عَنِ الظَّاهِرِ
هَذَا أَحْسَنُ طَرِيقٍ وَفِي الدُّنْيَا كَادِرُ

الْمَشَايِخُ يَسْمَوْنَ هَذَا الذَّكَرَ الْقَلْبِيَّ بِالْوُفُوفِ الْقَلْبِيِّ. أَمْرٌ بِهِ غَيْرُ مَرَّةٍ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ.

أَدَلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٤١] ﴿أَذْكُرُوا﴾ صِبْغَةٌ أَمْرٌ لِلْمَجْمَاعَةِ. فَأَمَرَ الْمُؤْمِنُونَ بِالذَّكَرِ الْكَثِيرِ، وَيَعْنِي ذَلِكَ وَحْدَ الذَّاكِرِينَ كَثِيرًا بِالْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرِينَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الاحزاب: ٤٥].

وَيَسْأَلُ ههنا سُؤَالٌ وَهُوَ: مَا مَعْنَى الذَّكَرِ الْكَثِيرِ؟ هَلْ يَذْكُرُونَ قَلِيلًا بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، أَوْ يَذْكُرُونَ مَصْبَحًا وَمَسَاءً أَوْ يَذْكُرُونَ حَتَّى يَتَغَبَّوْا، فَمَاذَا يَفْعَلُونَ؟ قَالَ مُجَاهِدٌ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ: الذَّكَرُ الْكَثِيرُ أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِعَالٍ، مَا مَعْنَى أَنْ لَا يَنْسَاهُ بِعَالٍ؟

الْإِنْسَانُ لَهُ أَحْوَالٌ ثَلَاثَةٌ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا أَوْ مُضْطَجِعًا. وَالْمُرَادُ بِالذَّكَرِ كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا، وَهَذِهِ عَلَامَةٌ أُولَى الْأَلْبَابِ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَمُضْجًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ويؤيده ما رَوَى السَّيُوطِيُّ عَنْهُ قَالَ: لَا يُكْتَبُ الرَّجُلُ مِنَ الذَّاكِرِينَ
اللَّهُ كَثِيرًا حَتَّى يَذْكُرَ اللَّهَ قَائِمًا وَقَائِدًا وَمُضْطَبِّجًا.

[الدر المنثور ج ٦ ص ٦٠٩]

قال الصَّاوِي تحت هذه الآية: واعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقْرَضْ
فَرِيضَةً عَلَى عِبَادِهِ إِلَّا جَعَلَ لَهَا حَدًّا مَعْلُومًا، وَعَدَّرَ أَهْلُهَا فِي حَالِ الْعُدْرِ
غَيْرِ الذَّكْرِ فَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا مَعْلُومًا وَلَمْ يَعُدِّرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ
مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ، وَلِذَا أَمَرَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] ففيه إشارة إلى أَنَّ
الذَّكْرَ أَمْرُهُ عَظِيمٌ وَقُضْلُهُ جَسِيمٌ.

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ أَيُّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَالسَّكْرِ وَالْحَضَرِ
وَالْعَيْنِ وَالْفَقْرِ، وَالصُّبْحَةِ وَالْمَرَضِ، وَالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ. وَمِثْلُ هَذَا الذَّكْرُ لَا
يَكُونُ إِلَّا قَلْبِيًّا أَوْ خَفِيًّا يُمْكِنُ فِي كُلِّ حَالٍ، فَعَلِمَ أَنَّ الذَّكْرَ الْكَثِيرَ الْمَأْمُورَ
بِهِ فِي الْقُرْآنِ هُوَ الذَّكْرُ الْقَلْبِيُّ، وَالذَّكْرُ الْخَفِيُّ الْمَوْسُومُ فِي اضْطِلَاحِ
الصُّوفِيَّةِ بِالْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ، وَأَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ
رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَكَنًا بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

فَقَبِلْتُ أَنَّ الْوُقُوفَ الْقَلْبِيَّ شَيْءٌ أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ يَقْضِي
أَوْقَاتَهُ لِتَعْلُمِهِ تَحْتَ إِشْرَاقِ الْمَشَاشِخِ.

أدلة من الأحاديث:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْعِبَادِ أَفْضَلُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا». قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنِ الْعَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَوْ ضُرِبَ بِسَيْفِهِ الْكُفَّارُ
وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسَرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ أَفْضَلَ مِنْهُ دَرَجَةً».

[رواه الترمذي: الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٣٩٦]

ما أبين هذا الحديث في فضل الذاكرين كثيراً. تَعَالَوْا نُلْهِسِ الْآنَ دَلِيلَهُ مِنْ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ).

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج 4 ص 478]

فكلمة (كل أحيانه) تشهد أن المراد الذكر الخفي والذكر القلبي، فكانت عادته المباركة ومسته اليقظة الاشتغال بالذكر تعالى كل وقت، والمتشايع الكرام يمرنون ساليكي الطريقة بالوقوف القلبي لاتباعه حتى يصبح حال السالك مطابقاً لها قيل:

دست بكادول يار

ويعناه:

اليد بالتمسك والقلب في الحبيب

الوقوف القلبي أن يلتفت الإنسان نفسه إلى قلبه ويلتفت قلبه إلى الله تعالى، ويفكر في نفسه مضطجعا وجالسا، مائيا وراكبا. إِنَّ قَلْبَهُ يَقُولُ:
اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ

وهذا هو منشأ الآيات والأحاديث المذكورة؛ فثبت أن تعليم الوقوف القلبي مطابق تماما للقرآن والحديث.

٢ - الفكر (المراقبة):

المراقبة: مشتقة من الرقيب وهو المنتظر والشهيد والحارس. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ٤١. وهي في اصطلاح التصوف الجلوس في حب الله تعالى، فالسالك يجلس مراقبا منعزلاً عن الدنيا راغياً عنها متوخّصاً مستقبلاً القبلية مغمضاً عينيه نائساً رأسه، ويفكر قلباً أن لا أرض ولا سماء، ولا إنسان ولا حيوان ولا شيطان، ولا شيء،

ويفكر أنه تأتيني رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وتشتغل قلبي فيزول بها ظلام قلبي وظلمته
ويقول قلبي:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

لا يوبل قلب السالك إلى الذكر في البداية كلما ينكس رأسه تهجم
وساوس الدنيا كما قيل: كُلُّ إِنَاءٍ يَرِثُهُ بِمَا فِيهِ، مَا أُبَيِّنَ ذَلِيلًا عَلَى مَلَأَ
القلب بالدنيا أن ينكس الإنسان رأسه للذكر الله فيسيطره وساوس الدنيا،
وتبني للسالك ألا يحزن منه بل يفكر، لَا بُدَّ أَنْ يُفَكِّرَ، مُحْتَاجٌ إِلَى
جهنم جليل، وما أخزائي لو انتقل بهذه الأفكار إلى الدار الآخرة يَوْمَ
تظهر مكنونات الصدر، قال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (العاديات: ١٠).

وقال: ﴿يَوْمَ تَلِي الشَّيَاطِينُ﴾ (العارق: ١٩).

ونأتي من الله رَحْمَةً وتدخل قلبه عندما يجلس السالك ويظن أن
رحمة الله تتوجه إليه موافقاً لقوليه عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن
ربه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

[رواه البخاري ومسلم والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤٧٦]

فلو هجست في قلب أفكار الدنيا جميع الوقت، وذكر الله للمحة
فقط لتجس أفكار الدنيا في اليوم الثاني أقل منه، وفي اليوم الثالث أقل
من الثاني، حتى يأتي زمن كلما يخفص رأسه ذكر الله تعالى وتخرج
الدنيا اللئيمة من قلبه. قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

مَوْجُودَةٌ فِي الْقَلْبِ صُورَةُ الْحَبِيبِ

كُلَّمَا أَخْفَضَ الرُّؤْيَا قَلِيلًا أَرَاهَا

يغلب الناس خلال المراقبة على بغض السالكين وهذه علامة
اكتساب القبح ودوام الرقي بدلالة قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ﴾
فلا ضرورة إلى الحزن. السالك كالدجاجة تجلس على البيض وتُسَخِّنُهَا،

فَالْبَيْضُ الَّذِي يَرَى جَمَادًا فِي الْبِدَايَةِ يَدْخُلُ فِيهِ الزَّوْجُ حَتَّى تَخْرُجَ الْأَفْرَاحُ
تَشْقِيقًا، كَذَلِكَ السَّالِكُ يَبْدُو لَهُ قَلْبُهُ فِي الْبِدَايَةِ كَالْحَجَرِ، وَلَكِنْ
بِالْجُلُوسِ مُزَاقِيًا وَالتَّشْنِيعِينَ يَأْتِي وَقْتُ يَذْكُرُ قَلْبُهُ:

«اللَّهُ، اللَّهُ، اللَّهُ»

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مُفِيدٌ بِقَدَرٍ مَا يَبْدُو خَفِيفًا بِالدَّوَامِ عَلَى
الْمُرَاقَبَةِ تُضْبِعُ حَالَةَ السَّالِكِ وَلَقَدْ مَا قِيلَ:

يَلْتَمِسُ الْقَلْبُ مَرَّةً أُخْرَى أَوْ قَاتَ نَلَكَ الْفُرْصَةِ

تَجْلِسُ طَوِيلًا ذَاكِرِينَ صُورَةَ الْخَبِيبِ الْعَشِيقِ

وَطَرِيقَةُ الذِّكْرِ هَذِهِ تُبَسِّتُ طَرِيقَةَ الْعُشَاقِ، بَلْ هِيَ دَابُّ الْمَحْبُوبِينَ.
السَّائِقُ يَضْرَحُونَ وَيَبْكُونَ. وَالْمَحْبُوبُ يَدِيمُ الذِّكْرَ فِي الْقَلْبِ، قَالَ شَاعِرٌ
مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ يَضْرَحُ مَنْ كَانَ ضَادًّا فِي السَّيْشِقِ

عَلَى شِفَاهِهِمْ حَتَمَ السَّكُوتِ وَيَذْكُرُونَ بِالْقُلُوبِ

وَفِي الْقُرْآنِ وَالتَّحْدِيثِ دَلَالِيلٌ وَاضِحَةٌ عَلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ الذِّكْرِ.

دَلَالِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدَعْوًا مُجْهِرًا
أَلْفَوْا﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، قَالَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ: مَعْنَى ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ أَيِ فِي
قَلْبِكَ.

[انظر كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن
جزري الكلبي المتوفى ٧٩٢ - ج ٢ ص ٦٠]

وَقَدْ أَمَرَ فِيهَا بِالذِّكْرِ إِذْ قَوْلُهُ: ﴿أَنْصَرَّ﴾ صِبْغَةٌ أَمْرًا، فَلَوْ اتَّخَذَ
الْمُتَشَائِخُ الذِّكْرَ وَالْمُرَاقَبَةَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهَلْ هَذَا امْتِنَالٌ بِأَمْرٍ أَوْ هُوَ بَدْعَةٌ؟
فَعَلَى الثَّاقِدِينَ عَلَى الذَّاكِرِينَ أَنْ يُفَكِّرُوا بِجَدِّ وَتَوَدُّةٍ.

ومنع قطع النظر عن هذا فمعنى ﴿ **فِي نَفْسِكَ** ﴾ (فِي فِكَرِكَ) أو (فِي هَمَلِكَ) أو (فِي تَأَمُّلِكَ) ولا يراؤ به بلسانك. وهذه الآية كبرهاني مبين على التأقدين على المراقبة. قال المصنف محمد شفيع رحمه الله تعالى في معارف القرآن: المراد به: تضرعاً وخيفة الذكر القلبي ودون الجهر من القول الذكر اللساني، فعلم بذلك ثبوت الذكر القلبي، كما علمت تفوق الذكر القلبي على الذكر اللساني.

شيعنا بعض التأقدين يقولون: كيف يثبت الذكر القلبي من القرآن الكريم؟ فنقول: لا يجب ثبوت كل شيء من القرآن الكريم، وإلا فلا حاجة إلى الحديث الشريف، ولكان القرآن كافياً، بل لا حاجة إذا إلى صاحب القرآن محمد ﷺ، ولكان نزول جبريل بالقرآن كافياً. الذين يلمسون كل شيء من القرآن الكريم ما تذكري ما ظنهم بالحديث الشريف، لعلمهم وجلدوا عدد ركعات الصلوات وتفاصيل أحكام الزكاة في القرآن الكريم، وبقي التماس دليل المراقبة فقط. وهذا نقص. وتعالوا إلى الجواب. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُلَاحِظْ مَنْ أَفْعَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ دِينَا** ﴾ [الكهف: ٢٨].

هذه الآية دليل واضح على أنه لا يجوز لنا أن نطيع من قلبه غافل عن ذكر الله تعالى. ويفهم منه أن علينا إطاعة من في قلبه ذكر الله، ولا يمكن الإنيان بدليل أوضح منه على الذكر القلبي.

قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَلَّ إِلَهُ تَبَيَّلَا** ﴾ [المزمل: ٤٨] في هذه الآية صيغتنا أمر.

١ - اذكر اسم ربك. التكنة المهمة ههنا أنه لم يقل: اذكر ربك، وكان يكفي ظاهراً ولكن قال: ﴿ **وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ** ﴾. إن الرب اسم صفة، فالمقصود ههنا الأمر بذكر اسم الذات «الله» فذكر اسم الله ذكر اسم الرب، فالثابت أن القرآن الكريم أمر بذكر اسم الله تعالى.

٢ - وَنَبِّئْ لَهُ نَبِيلاً. التَّبَيُّلُ: هُوَ اخْتِيَارُ الانْقِطَاعِ لِلْمُحِبُّوبِ عَمَّا سِوَاهُ، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: انْقَطِعُوا عَنِ الْخَلْقِ وَجِبِلُّوا بِالْمَخَالِيقِ.

وهذا الانْقِطَاعُ عَنِ الْخَلْقِ لَا يَخْضُلُ جَالِساً فِي الْبَيْتِ، لَا بَدَأُ أَنْ يَفْعَلَ لَهُ عَمَلٌ وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ لَهُ؟ ذَكَرَ الْمَشَايخُ طَرِيقاً يَسِيرُ فِيهَا أَنْ تُحْصَى وَقْتاً مَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَجْلِسَ مُحَرِّراً مُنَوِّباً إِلَى شَيْءٍ مُسْتَشْأَمٍ مِنْكَ، تَعَذَّرَ حَبِيبِي أَتَى الْيَوْمَ أَغْمَضَ عَيْنِي بِاخْتِيَارِي وَسَوْفَ يَأْتِي يَوْمٌ تَغْمِضُ هَذِهِ الْأَعْيُنَ لِلْأَبَدِ، فَتُثَبِّتُ فِي الْقَلْبِ اغْتِنَاقَ ضَعْفِ الدُّنْيَا وَشَوْقَ الانْقِطَاعِ عَنِ الْخَلْقِ وَالِاتِّصَالِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِنْ شِئْتَ لَقِيَ عَلَى رَأْسِكَ ثَوْباً وَتَذَكَّرَ أَنِّي أَقْبَى الْيَوْمَ الثَّوْبَ عَلَى رَأْسِي بِاخْتِيَارِي، وَسَوْفَ يَأْتِي وَقْتُ أَكْفَنَ فِيهِ فَتَزِدَادُ بِهِ كَيْفِيَّةَ التَّبَيُّلِ. يَثْبُتُ هَذَا الدَّرْسُ بِالْجُلُوسِ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ سُدَسَ السَّاعَةِ أَوْ زُبْعِهَا أَوْ يَضْفِئُهَا. فَطَرَاثُ الْمَاءِ نَاعِمَةٌ جَدّاً وَلَكِنْ لَوْ تَوَاضَعْتَ تَقَاطَرُ الْمَاءِ عَلَى الْحَجَرِ مُنَوَّاصِلاً يَجْعَلُ فِيهِ فَتْحَةً، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَوْ جَلَسَ هَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ يَذْكُرُ:

«اللَّهُ، اللَّهُ»

لَسَوْفَ يَأْتِي وَقْتُ يَجْعَلُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ سَبِيلاً. وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ يُسَمَّى مِرَاقِبَةً، وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَسَمُّوا هَذَا التَّمَرِينَ بِالتَّبَيُّلِ أَوْ بِالمُرَاقِبَةِ أَوْ بِالمُخَاسِبَةِ، وَلَكِنْ لَا مَفْرُغٌ مِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ أَلَيْهَا مَأْمُورٌ بِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَتُثَبِّتُ أَنَّ الْمِرَاقِبَةَ مُوَافَقَةً لَتَوْجِيهَاتِ قُرْآنِيَّةٍ.

دَلَالَةُ مِنَ الْأَحَادِيثِ:

وَرَدَ فِي بِدَايَةِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَخْلُو بِغَارٍ حَرَاءٍ أَيَّاماً عَدِيدَةً مُتَوَاصِلَةً، مَا كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ صَلَاةٌ وَلَا قِرَاءَةُ قُرْآنٍ وَلَا صُومٌ فَمَاذَا كَانَتْ يَفْعَلُ؟ ذَكَرَ الْمُحَدِّثُونَ أَنَّهُ كَانَ

يَقْضِي وَقْتَهُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْانْقِطَاعَ عَنِ
الْحَلَقِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْمُرَاقِبَةِ. يَحْيِي الْمَشَايِخُ هَذِهِ السُّنَّةَ. وَإِنْ اغْتَرَضَ
أَحَدُكُمْ كَانَ قَبْلَ إِبْلَاقِ النُّبُوَّةِ فَسَوْفَ يَرُدُّهُ مَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ إِبْلَاقِ
النُّبُوَّةِ. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا
يُرَوَّى عَنْ رِيَّةٍ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «اذْكُرْنِي بَعْدَ الْغُصْرِ وَبَعْدَ الْفَجْرِ أَكْفِكَ فِيمَا
يَتَّبِعُهُمَا».

[أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، كَذَا فِي الدَّرَجِ]

بهذه المُتَنَاسِبَةُ يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِهَذِهِ الْمُرَاقِبَةِ صَبَاحاً وَمَسَاءً.

وَفِيمَا يَلِي أَجْوِبَةٌ عَنْ أَسْئَلَةٍ تَتَوَارَدُ خَوْلَ الذِّكْرِ وَالْمُرَاقِبَةِ.

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَزِدَتْ لِلْقُرْآنِ أَيْضاً، فَكُلَّمَا أَمَرَ بِالذِّكْرِ
أَلَا يَحْسُنُ أَنْ يَرَادَ بِهَا تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ؟

الْجَوَابُ: كَلِمَةُ الذِّكْرِ وَإِنْ اسْتَعْمِلْتَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَكِنْ الذِّكْرُ
وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا. رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ
لِأَبِي ذَرٍّ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ ذِكْرُكَ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَنُورُكَ لَكَ فِي الْأَرْضِ».

[الْجَامِعُ الصَّغِيرُ عَنِ الطَّبْرَانِيِّ]

أَمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَبَيَّنَ أَنَّهُمَا
عِبَادَتَانِ بَرَأْسِيهِمَا، فَلَا يَرَادُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَمَا أَمَرَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

السُّؤَالُ الثَّانِي: يَأْمُرُ الْمَشَايِخُ بِالْأُورَادِ صَبَاحاً وَمَسَاءً هَلْ لَهُ أَضَلُّ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَمِيِّ
وَالْإِنْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]. فِي هَذِهِ آيَةٍ نَصُّ بِالْأَمْرِ بِالتَّسْبِيحِ صَبَاحاً
وَمَسَاءً.

السُّؤَالُ الثَّالِثُ: هَلْ تَجُوزُ الْمُرَاقِبَةُ مُسْتَلَفِيَةً؟

الجواب: نعم، يُحاول أن يراقب جالساً متأنباً. وإن حَدَّثَ عَذْرُ أو مَرَضٌ تَجَوَّزَ المراقبةَ مُضَعَّجاً. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] كلمة ﴿وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ تدلُّ على جوازِ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى مُستلقيًا.

السؤال الرابع: بعض الناس يَقْفِزُونَ خِلَالَ المراقبة هل هذا جائز؟

الجواب: طَرِيقُ الجذبِ ثابتٌ بالقرآن والحديث، ففي بعض الآيات: ﴿يَجْزُونَ لَأَذْقَانِ سُخْرًا﴾ [الإسراء: ١٠٧] وفي بعضها: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَقُكِّيًا﴾ [مريم: ٥٨] وكذلك يدلُّ عليه ما جاء في الحديث: «افخر لله ساجدا»، قالت المشايخ: يجبُ على السالكِ ضبطُ كفيته. وإن لم يستطع الضبطُ فليتِمِ المراقبة. هذا هو الأولي ولا يحسنُ الملاحظة.

السؤال الخامس: بماذا يَكُونُ تَقْدِمُ السالكِ أَكْثَرُ، بالذِّكْرِ أو بالفِكْرِ؟

الجواب: أولاً يَكُونُ التَّقْدِمُ بالذِّكْرِ حتى يَحْصُلَ فناءُ النَّفْسِ، ثم بالفِكْرِ، ثم يأتي مقامُ لا يَتَقَدَّمُ فيه السالكُ لا بالذِّكْرِ ولا بالفِكْرِ، بل برَحْمَةِ تعالى فقط.

السؤال السادس: ما معنى جَزَيَانِ القَلْبِ؟

الجواب: جَزَيَانِ القَلْبِ له معنى عند العامة ومعنى عند الخواص. فمعناه عند العوامِ شُعُورُ حَزَكَةٍ نَاعِمَةٍ سَرِيعَةٍ في القَلْبِ، ومعناه عند الخواصِ أن يجري القَلْبُ على الجَوَارِحِ أي يسيطرُ القَلْبُ على الأَعْضَاءِ والجَوَارِحِ، فيكونُ استعمالُها خِشْبَ الشريعةِ والسُنَّةِ.

السؤال السابع: قال الإمام ابن تيمية في كتابه العبودية:

(ذِكْرُ اسمِ الذاتِ - الله، الله - بدونِ تَرْكِيبٍ مع كَلِمَةٍ أُخْرَى بَدْعَةٌ. لم يَأْمُرِ اللَّهُ تعالى أَحَدًا بِذِكْرِ الاسمِ مُفْرَدًا، ولم يَشْرَعْ للمُسْلِمِينَ اسْمًا

مُفْرَداً مَجْرَداً لَا يُقْبَدُ الْأَسْمُ الْمُفْرَدَةُ الْمُجَرَّدَةُ لِلْإِيمَانِ، وَالثَّابِتُ بِالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ تَعْلِيمُ الْجُمْلَةِ الْمُرَكَّبَةِ فَقَطْ مِثْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ أَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؟).

الجواب: أولاً: «سُبْحَانَ اللَّهِ» لَيْسَتْ جُمْلَةً مُرَكَّبَةً، بَلْ هِيَ مُضَافٌ وَمُضَافٌ إِلَيْهِ. قَالَ الْبَيْضاوِيُّ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ (البقرة: ٢٢) سُبْحَانَ: مُضَدَّرٌ لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافاً مُضَوِياً بِإِضْمَارِ فِعْلِهِ.

[تفسير البضاوي]

بِنَاءٌ عَلَيْهِ نَقُولُ: إِنْ أَسْمُ الْذَاتِ مُنَادَى حُذِفَ عَنْهُ حَرْفُ التَّدَاوِي جَوَازاً كَمَا حُذِفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف: ٢٩].
عَرَفَ ابْنُ الْحَاجِبِ الْمُنَادَى بِقَوْلِهِ: هُوَ الْمَطْلُوبُ (قِيلَ لَهُ بِحَرْفِ نَائِبِ مَنَابِ أَدْعُو).

[الكافية]

ف «اللَّهُ» أَضْلَهُ: «أَدْعُو اللَّهَ» وَهُوَ كَلَامٌ نَامٍ.

وثانياً: قَدْ يَذْكُرُ الْمُبْتَدَأُ فِي الْجُمْلَةِ وَيُحَذَفُ الْحَبَرُ، فَاسْمُ اللَّهِ تَعَالَى مِبْتَدَأٌ وَالْحَبَرُ مَحذُوفٌ كَالْخَالِقِ وَالرَّازِقِ وَالْقَادِرِ، لَعَلَّ الْإِمَامَ ابْنَ تَيْمِيَّةَ أَشْكَلَ عَلَيْهِ خِلَالِ الْكَلَامِ عَلَى مَوْضُوعٍ وَإِلَّا فَلَا مَسَاعَ لِلِاشْكَالِ بَعْدَ هَذِهِ الدَّلَالَةِ.

وثالثاً: يَسْتَدِلُّ عَلَى ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِلَا ضَمِّ ضَمِيمَةٍ مِنْ عَذَّةِ آيَاتٍ مِثْلُ:

١ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥].

٢ - ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ تَتِمَّلًا﴾ [الزمل: ٨].

أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِذِكْرِ اسْمِ الرَّبِّ جُلٍّ مُتَجِدِّدٍ، فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ مَا هُوَ اسْمُ الرَّبِّ؟ قِيلَ: هُوَ «اللَّهُ».

ذِكْرُ هِيَ كُتِبَ عِلْمُ الْكَلَامِ أَنَّ «اللَّهُ» عِلْمٌ لِلذَّاتِ الْوَاحِدِ الرَّجُومِ
 الْمُسْتَجْمَعِ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنَزَّهِ عَنِ النِّقْصِ وَالزُّوَالِ فَقَدْ ثَبَّتَ
 بِهَذِهِ الْآيَاتِ جَوَازَ ذِكْرِ اسْمِ ذَاتِ اللَّهِ جَلَّ مَجْدُهُ، وَيُقَالُ لَهُ ذِكْرُ اسْمِ
 الذَّاتِ يَشْتَغِلُ السَّالْكُونَ فِي الطَّرِيقَةِ فِي هَذَا الذِّكْرِ كُلَّ آتِنٍ وَكُلَّ سَاعَةٍ قِيَاماً
 وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَقَدْ قِيلَ: يُمْكِنُ وَقْفُ الْعَبْدِ وَالْقَطْعُ السُّلُوكِ،
 وَلَيْكُنْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَمْتَنِعَ الْبَلْبُلُ عَنِ الْغَنَاءِ، كَذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُ الْمُحِبُّ
 أَحَدٌ عَنْ ذِكْرِ اسْمِ الْمَحْبُوبِ، لَتَتَكَلَّمُ لِإِصْبَاحِ عِلَاقَةِ الْمَحْبُوبِ وَالْمَحَبِّ
 فِي صَوْنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَحَبَّةُ مَشُوقَةً مُدِيدَةً.

يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يَزِيدُ الْحُبَّ بِسَمَاعِ الْكَلَامِ عَنْ حُسْنِ الْمَحْبُوبِ وَجَمَالِهِ. يَدُلُّ عَلَيْهِ
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلِّتْ عَنْهُمْ صَبَّحْتَ عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ رَأَوْهُمْ إِذَا مَكَاتُوا﴾ [الأنعام: ٢٢].

لَا يَكُونُ لِلْمُحِبِّ مَطْلُوبٌ سِوَى الْمَحْبُوبِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَالذَّلِيلُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَا يَلْعَنُ اللَّهُ
 مَنَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾ [الرعدة: ٢٨].

يَتَمَلَّلُ الْقَلْبُ بِسَمَاعِ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ دَلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ
 إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢].

عِنْدَمَا يَنْهَى الْمُحِبُّ عَنْ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ يَنْبُذُ جَمِيعَ الدُّنْيَا وَيَدْفَعُهَا.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَرُّ ذَرِّهِمْ فِي حُوزِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] دَلِيلٌ وَاضِحٌ
 عَلَيْهِ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى

أحد يقول الله الله ، وفي رواية أخرى : «حتى لا يقال في الأرض الله الله» .

(الخرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية : جامع الأصول ج ١ ص ٣٩٤)

لو لم يَجْزُ ذِكْرُ الاسْمِ الْمُفْرَدِ الْمُتَجَرَّدِ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ اسْمُ اللَّهِ مرة واحدة . تَكَرَّرَ اسْمُ الذَّاتِ اللَّهُ اللَّهُ ذَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى جَوَازِ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ وَشُرْعَتِهِ وَإِفَادَتِهِ لِلإِيمَانِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ . الْمُحِبُّ يَتَمَلَّصُ بِذِكْرِ الْمُخْتَوِبِ .

قَالَ قَاتِلٌ : لَمْ تُخْتَفِ الْمَحَبَّةُ سَاعَةً مَنَى ذَكَرَ اسْمِكَ أَحَدٌ ، وَكَذَلِكَ يَسْكُنُ وَيَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ بِذِكْرِ الْمُخْتَوِبِ .

قَالَ قَاتِلٌ : مَا أَشَدَّ زِنَعَ الطَّعَانِينَ بِاسْمِكَ ، يَأْتِي التَّوَمُّ عَلَى الشَّوْكِ بِالزَّاحَةِ . السَّالِكُ إِذَا تَكَرَّرَ ذِكْرُ اسْمِ الذَّاتِ سَيَطَّرُ عَلَى غُضُوهِ غُضُوهُ مِنْهُ إِثَرُ الْمُحَبَّةِ الإِلَهِيَةِ اللَّهُ اللَّهُ . مَا أَخْلَى هَذَا الاسْمُ يَصْبِغُ رُوحِي كُلَّهُ الْحَلِيبَ الْحَلْوِ .

فَإِنْ قِيلَ : مَا الْفَائِدَةُ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ اللَّهُ وَتَكَرَّرُوهُ ؟ فَنَقُولُ : سَتُكَرَّرُ اسْمُكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَائِدَةً . نَحْنُ الْعَاشِقُونَ الشَّاقِقُونَ الْمُحِبُّونَ لاسْمِكَ .

٣ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :

مَا أَكْثَرَ مِمَّنْ سَيِّدِ السَّادَاتِ وَمُعْذِي السَّعَادَاتِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ عَلَى الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ . لَا يُسْتَطَاعُ آدَاءُ حَقَّقِهَا ، وَلَا يُمَكِّنُ إِحْصَاءُ عَدَدِهَا ، فَمَهْمَا دَاوَمَ السَّالِكُ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ وَالِإِخْلَاصِ ، فَهُوَ قَلِيلٌ فَضْلًا عَمَّا سَيَهَبُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِشَاتِ الْأَجُورِ وَالْثَّرَابِ عَلَيْهَا بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ . مَا زَالَتِ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَمَلُ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهَا الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ تُذَكِّرُ بِغَضِّهَا .

أدلة من القرآن الكريم :

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] بدأت الآية بتعريف النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءت بصيغة المضارع الدال على الاستمرار والدوام فالمعنى أنه لا شك أن الله وملائكته يصلُّون دائماً أبداً على النبي الكريم، فأبي عز وكرم فوّقه، فإن الله تعالى أضاف الصلاة أولاً إلى نفسه، ثم أضاقها إلى الملائكة، ثم أمر بها المؤمنين، جزاء الإحسان بمثلِه من مكارم الأخلاق، والنبي ﷺ أعظم الناس إحساناً إلينا، فالله سبحانه وتعالى أرشدنا إلى مكافأة إحسانه. وللهي ﷻ شأن عظيم في الحب فإن الله تعالى ذكر اسمه مع اسمه مع كلمة الشهادة، وذكر طاعته مع طاعته، ومحبيه مع محبيه، وصلاة المؤمنين مع صلاته عليه، قال الشَّاه عبد القادر رحمه الله تعالى: (لعلَّاب الرحمة من الله تعالى لنبيه وآله قبولته عظمة تنزل عليه من الرحمة ما يليق بشأنهم، وينزل على السائل عشرَ رحمتٍ بطلبه رحمةً، فمن شاء الآن جمع ما يريد).

نقل العلامة السخاوي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال: علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ.

[القول البدیع ص ٥٢]

دلائل من الأحاديث النبوية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا).

(رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه؛

الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٤)

رَوَى الطَّبْرَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ الثَّقَافِ وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ».

[القول البديع ص ١٠٣، الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٤٩٥]

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَاجَةٍ، سَبْعِينَ لآخرتهِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا لَدُنْيَاهُ».

[القول البديع ص ١٢٨]

ولهذا يَأْمُرُ الْمَشَايخُ النُّفُسَبِنْدِيُونَ السَّالِكِينَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِائَةً مَرَّةً كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ وَقَوْلِهِمْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ وَسَلِّمْ، صِيغَةً صَلَاةً مُخْتَصِرَةً وَجَامِعَةً.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِكْتِفَارِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَكْفِيرُ الْخَطَايَا وَتَرْكِيبُ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَاسْتِعْفَاؤُهَا لِفَائِدِهَا، وَكِتَابَةُ قِيَرَامٍ مِثْلَ مِنَ الْآخِرِ وَالْكَيْلَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، وَكَفَايَةُ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ جَعَلَ صَلَاتَهُ كُلَّهَا صَلَاةً عَلَيْهِ، وَمَنْعُو الْخَطَايَا وَفَضْلُهَا عَلَى غَمَقِ الرِّقَابِ، وَالنَّجَاةُ بِهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَشَهَادَةُ الرَّسُولِ بِهَا، وَوُجُوبُ الشُّمَاعَةِ وَرِضَى اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ، وَالْأَمَانُ مِنْ سَخَطِهِ، وَالذَّخْرُ لِمَنْ خَلَّ الْعَرْشِ، وَرَجَحَانِ الْمِيزَانِ وَرُزْدِ الْحَوْضِ، وَالْأَمَانُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْجُحْرِ مِنَ النَّارِ، وَالْجَوَازُ عَلَى الصَّرَاطِ وَرُؤْيَا الْمُقْعَدِ الْمُقَرَّبِ مِنَ الْجَنَّةِ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَكَثْرَةُ الْأَزْوَاجِ فِي الْجَنَّةِ وَرِجْحَانُهَا عَلَى أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ عَرَقَةً، وَقِيَامُهَا مَقَامَ الضُّدَّةِ لِلْمَعْسَرِ، وَأَنَّهَا زَكَاةٌ وَنَهَارَةٌ، وَيَزِيدُ الْمَالُ بِرُكْنَتِهَا، وَتَنْقُضِي بِهَا مِنَ الْحَوَائِجِ مِائَةً بَلْ أَكْثَرَ وَأَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، وَتَزِينُ الْمَجَالِسِ، وَتَنْفِي الْفَقْرَ وَضِيْقُ الْعَيْشِ وَيُلْتَمَسُ بِهَا مَقْلَانُ

الخير، وإن فاعلها أولى الناس به، وينتفع هو وولده وولد ولده بها، ومن أحدث في صحيفته بثوابها، وتقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله، وأنها نور ونضر على الأعداء وتطهر القلب من الشقاق والصداء، ويوجب محبة الناس ورؤية النبي ﷺ في المنام.

[القول البديع ص ١٠١]

فعلى سالكى الطريقة أن يقدموا هدية الصلاة صنيعة تسميه بمحبة وأدب إلى النبي ﷺ.

عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة على النبي ﷺ وأجوبتها:

س ١: الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ فما الحاجة إلى صلاتنا؟

ج: صلاتنا على النبي ﷺ ليست لأن النبي ﷺ محتاج إليها وإلا فلا حاجة إلى صلاة الملائكة بعد صلاة الله عليه، بل صلاتنا لإظهار عظمة النبي ﷺ وصلاتنا سبب لكفارة ذنوبنا وإزقاع درجاتنا.

س ٢: سمعنا أن النبي ﷺ عزوف يضع في كفة شخص من أمته بطاقة صغيرة فينقل الميزان كيف ذلك؟

ج: المُنزلة عند الله تعالى للإخلاص، كلما ازداد الإخلاص ازداد الوزن، وذليله رجحان بطاقة صغيرة مكتوب عليها كلمة الشهادة على تسعة وتسعين دفترًا للذنوب، كل دفتر ممتد منتهى بصرو.

س ٣: هل يجوز أن نقول: صلي على محمد، أو أصلي على محمد.

ج: إن النبي ﷺ مُنزه عن العيوب بينما نحن مجموعة عيوب ونقائص، وكيف ينهي من هو مجموعة العيوب لمن هو سائر من كل عيب؟ قال قائل: بما معناه:

إن أغسيت قميصي بالمسك وماء الورد ألف مرة

فالتفوه باسمك الآن كمال سوء الأدب

إِذْ نَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِنَا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَوْ تَنْزِلِ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ مِنَ الرَّبِّ الطَّاهِرِ عَلَى النَّبِيِّ الطَّاهِرِ .

س ٤ : هل يجوز للحائض أن تُصلي على النبي ﷺ ؟

جـ : يُجوز للحائض التَّصَوُّفُ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِاسْمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَالِاسْتِغْفَارُ ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ . قَالَ الْمُتَشَاءُ : الْمُعَلِّمَةُ الَّتِي تُدْرَسُ وَتَعْلَمُ تَلْمِذُهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ عَلَيْهَا أَنْ تُعَلِّمَهَا كَلِمَةً كَلِمَةً ، وَلَا تَمْسُ الْمَصْحَفَ بِيَدِهَا .

س ٥ : هل تجوز الصلاة على النبي ﷺ بدون وضوء ؟

جـ : يجوز ، ولكن الصلاة على النبي ﷺ طاهراً نوراً على نور .

س ٦ : ما الحكمة في الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟

جـ : وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْتَقَلَ مِنْ صَلْبِ أَبِيهِ إِلَى بَطْنِ أُمِّهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَأَيْضاً كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ كَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ . فَتَحَقَّقْ بَيْنَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ مَنَاسِبَةً .

س ٧ : يَبْدُو فِي الصَّلَاةِ بِقَوْلِنَا : كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بَعْدَ قَوْلِنَا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ . إِنَّ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلِيَّةً .

جـ : يَعْرِفُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ كَلِمَةً كَمَا قَدْ تُذَكَّرُ لِلْأَعْلَى وَقَدْ تُذَكَّرُ لِلْأَدْنَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي الْمَوْزَنِ الْعَظِيمِ ﴾ [النور : ٣٥] .

وَأَيُّ مَنَاسِبَةٍ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ السَّرَاحِ ؟ ذَكَرَ الْخَافِضُ بْنُ خُجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَفْتَحِ الْبَارِي عَشْرَةَ أَجْوِبَةٍ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ ، وَذَكَرَ فِي مَكْتُوباتِ الْمَجْدَةِ تَفَاضِيلَهُ .

٤ - الاستغفار :

الاستغفار مائة مرة كل يوم صباحاً ومساءً . مشايخ السلسلة

التعشيبندية يستغفرون بصيغة جامعة ومختصرة جداً وهي: **أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**.

أدلة من القرآن الكريم:

دليل ١: قال تعالى: ﴿ **أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [هود: ٥٢] أمر في هذه الآية الكريمة بالاستغفار، فمشايخ نقشبند يستغفرون بخاتمة تدامة كل يوم عملاً بهذا الأمر ويرشدون السالكين بهذا التوجيه.

دليل ٢: قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَتَوَدَّدُ بَاتُوا لِي وَيَكُنْ لِي جَنَّتٍ وَيَجْعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ نَهْرًا** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

دليل ٣: قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِمُؤْمِنِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مَعَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: كان فيهم أمثالي: النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار.

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

دليل ٤: قال تعالى: ﴿ **كُلُّوا قَلِيلًا مِنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَلَا الْأَنْهَارَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الدَّارِبَات: ١٧ و ١٨].

دلائل من الحديث النبوي الشريف:

الدليل ١: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَا اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».

[صحيح البخاري]

الدليل ٢ : قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي التَّفْسِيرِ : وَرَوَى عَنْهُ ﷺ : « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةً ».

[رواه البخاري والسنائي وابن ماجه ؛ تفسير البيضاوي ص ٥٢١]

قَالَ الْمُحَدِّثُونَ : التَّكَلُّمُ مِنَ الشَّيْءِ ﷻ بِصِيغَةِ الاسْتِغْفَارِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَتَعْلِيمِ أَمْنِهِ وَإِلَّا فَهُوَ كَانَ مُعْتَمِرًا لَهُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْقَرَّ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٤٢] دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَيْهِ .

الدليل ٣ : عَنْ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « عَلَيْكُمْ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارِ ، فَأَكْثَرُوا مِنْهَا فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذَّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارِ ».

[تفسير المظهر ج ١٠ ص ٤٨٤]

الدليل ٤ : قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضَلِيلٍ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ».

[ابو داود ج ١ ص ٢٢١ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٠]

الدليل ٥ : عَنْ قُضَّائَةَ بْنِ عُيَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « الْعَبْدُ آمَنُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ».

[ابن كثير ج ٢ ص ٣١٢]

فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ مِنْ ذُنُوبِهِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَيَرَى ذَلِكَ وَاجِبًا . وَفِي إِكْمَالِ الشَّيْءِ : يَا صَدِيقِي ارْتِكَائِكَ بِالذَّنْبِ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ وَتَأْخِيرِكَ التَّوْبَةَ بِرَجَاءِ التَّوْبَةِ دَلِيلُ فَقْدَانِ عَقْلِكَ . قَالَ اللَّهُ رَبُّ الْعَزَّةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحریم : ٨] .

وقال في مقام آخر: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [التور: ٣١].

أَجْمَعَ الْأَتَمَّةُ الْمُجْتَهِدُونَ عَلَى وَجُوبِ التَّوْبَةِ، فَتَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَابَ التَّوْبَةِ حَتَّى تَأْتِيَ سَكْرَةُ الْمَوْتِ أَوْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مَا لَمْ يُغْرَعْ».

[الترمذي]

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

[رواه مسلم]

يَغْفِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلتَّائِبِينَ مِنَ الذُّنُوبِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا قَطُّ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».

إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا فَلَا يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ قَطُّ، بَلْ يَبْدُلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِيُحِبَّكَ يُؤَدِّكُ اللَّهُ مِيقَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠].

رَوَى عُمَرَانُ بْنُ مُسَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْوَلِيدِ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ تَوْبَةُ عَبْدٍ تُقْبَلُ حَتَّى يَمُوتَ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ مَغْفَطٍ عَلَى بَعِيرٍ، وَقَدْ أَضَلَّهُ لِي أَرْضٍ فَلَاةٌ».

[أخرجه البخاري ومسلم]

وَلِمُسْلِمٍ أَيْضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ رَاغِيَةٌ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأُفْلِقْتُ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ فَأَيَسُ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ

أَيَسَ مِنْ رَاجِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَاخَذَ بِخَطَامِهَا،
ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ
الْفَرْحِ».

[جامع الأصول ج ٢ ص ٥١٠]

قَالَتِ الْمَشَائِخُ: لَمَّا طَرِدَ الشَّيْطَانُ اسْتَمْهَلَ وَقَالَ: ﴿رَبِّ قَانِطِرِي إِلَى
يَوْمِ يُنْصَرُونَ﴾ [الحجر: ٢٦]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَيْتَكَ مِنَ السَّاطِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ
الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨]، فَانْظُرْ لَوْ أَهْمَلَ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ فَلَمْ لَا يُهْمَلُ
لِمَذْنَبِي الْأُمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؟

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ إِبْلِيسُ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالَتِكَ لَا
أَزَالُ أَغْوِيهِمْ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
«وَعِزَّتِي وَجَلَّالِي لَا أَزَالُ أَغْوِي لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي».

[تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٧٨]

ثَلَاثُ سَبْعٍ سَبْعٍ يَسْمِي بِهَا رَأْيَ شَيْئٍ يُسَمِّيُونَهُ. ثَلَاثُ عَشْرَ السَّبْعِ يَوْمٌ
قَالَ شَابٌّ: يَا سَيِّدِي! أَفَبِتَا فِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ لَمْ يَذْبُذْ قَطُّ، وَرَجُلٍ أَذْنَبَ
ثُمَّ تَابَ تَوْبَةً فَصُورَ أَحَدُهُمَا أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَعَلَى قَلْبِ أَحَدِهِمَا نَظَرَةٌ
خَاصَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَنَا أَلَسُّجُ الشَّيْخِ وَلَهُ خِيُوطٌ طَوِيلَةٌ لَوْ
الْبَحْلُ خَنِطَ أَعْقَدَهُ ثُمَّ الْأَحْطَظُهُ حَتَّى لَا يَنْحَلَّ سِرَّةً ثَانِيَةً، فَلَعَلَّ الْمَذْنِبَ
الَّذِي رَبِطَ عَلاَقَتَهُ بِرَبِّهِ بَعْدَ أَنْ انْحَلَّتْ عَلاَقَتَهُ بِرَبِّهِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، يَكُونُ لِلَّهِ
عَلَى قَلْبِهِ نَظَرٌ خَاصٌّ حَتَّى لَا يَبْعُدَ ذَلِكَ الْعَبْدُ. سُبْحَانَ اللَّهِ.

قِيلَ: يَا عَبْدِي ذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُكَ
بَعْدَ نَجْوَمِ السَّمَاءِ، أَوْ كَانَتْ بَعْدَ أَوْزَانِ أَشْجَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، أَوْ كَانَتْ
بَعْدَ ذَرَاتِ رِمَالِ جَمِيعِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلَ رَبْدِ الْبَحَارِ كُلِّهَا، فَذُنُوبُكَ قَلِيلَةٌ
وَرَحْمَتِي كَثِيرَةٌ، فَأَبَى أَقْبَلَ تَوْبَتَكَ حَتَّى قَالَ: يَا عَبْدِي إِنْ أَنْتَ تُبْتَ
ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ نَبْتَ ثُمَّ نَقَضْتَ تَوْبَتَكَ، ثُمَّ تُبْتَ ثُمَّ نَقَضْتَ، إِنْ

نَقَضْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ فَانْتَوَيْتُ بِهَا عَهْدِي، إِنَّ أَنتَ ثَبِتَ مِائَةَ مَرَّةٍ وَنَقَضْتُ مِائَةَ مَرَّةٍ فَبَايَ الْآنَ مَفْتُوحٌ قَاتٍ وَتُبَ أَقْبَلُ تَوَيْتَكَ، وَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ: (أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ عَفُوفٌ).

٥ - تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

تِلَاوَةُ جُزْءٍ أَوْ يَصِفُ جُزْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّ يَوْمٍ.

أَدَلَّةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

الدليل الأول: قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [الزمر: ٢٢٠].
أمر في هذه الآية بتلاوة القرآن الكريم، ولهذا يأمرُ المَشَايخُ سَالِكِي الطَّرِيقَةِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ يَتْلُونَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١].

أَدَلَّةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

الدليل الأول: رَوَى الطَّبْرَانِيُّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يُوصِيهِ: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ دِيحْرُكَ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ».

[المعجم الصغير للطبراني]

الدليل الثاني: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذَخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ».

الدليل الثالث: رَوَى الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ

تَصَدَّقَ كَمَا يَصْدُقُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ". قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا جَلَّوْهَا؟ قَالَ: «كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ».

الدليل الرابع: رَوَى الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكُتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ السَّافِرِينَ».

[سنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٥]

الدليل الخامس: رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَبُو دَاوُدَ فِي رِوَايَةٍ طَوِيلَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ».

[صحيح البخاري ج ١ ص ٧٥٥، وأبو داود ج ١ ص ٢٠٥]

٦ - رَابِطَةُ الشَّيْخِ:

أَصْلُ أَصُولِ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ رَابِطَةُ الشَّيْخِ، وَهِيَ اتِّصَالُ الشَّيْخِ بِوِثَاقِهِ بِأَوْضَاعِهِ بِالْخُضُوعِ عِنْدَهُ أَوْ بِالرَّسَالَةِ أَوْ الْهَاتِفِ أَوْ غَيْرِهَا وَقَفْضَاءِ الْحَيَاةِ وَفَقْ تَوْجِيهِهِ.

أدلة من القرآن المجيد: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَسِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ [النمل: ١٥] فَاتَّبَعَ الشَّيْخُ اتِّبَاعَ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ الشَّيْخَ مَلِيَّةٌ بِالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَدَّ لِلاتِّبَاعِ مِنَ الْأَطْلَاعِ.

أدلة من الأحاديث:

الدليل الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ».

[رواه أبو داود والترمذي]

وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِمَحَبَّةِ

الشيخ ويشجده خليفته ومُرشده، حتى يسهُلَ له الاضطباعُ بصِبْغَةِ الدِّينِ .
قال النبي ﷺ : « لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا » .

[الترمذي]

وهذه هي صُحْبَةُ الشَّيْخِ وَرَابِطَتُهُ .

الدَّلِيلُ الثَّانِي : قال النبي ﷺ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

[البخاري، ومسلم]

هذا الحديثُ كافٍ وإِثْبَاتٌ لِسَالِكِي الطَّرِيقَةِ ، فَالسَّالِكُ إِذَا جَعَلَ
ارتباطَهُ بِشَيْخِهِ قُوًى بَلْ أَقْوَى يَجِدُ حَبَّةَ أَشَدَّ وَهَذَا آيَةُ سَمَاعِ بُشْرَى الْمَرْءِ
مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ مَعَ مَنْ
أُحِبُّنِي ، فَالرَّابِطَةُ بِالشَّيْخِ هِيَ مُلَخَّصُ الْأَوْرَادِ وَعِطْرُهَا ، وَهُوَ تَغْيِيرُ
﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ : قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « عَلَيْنَكُمْ بِمَجَالَسَةِ
الْعُلَمَاءِ وَاسْتِمَاعِ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَ بِثَوْرِ
الْحِكْمَةِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةَ بِمَاءِ الْمَطَرِ » .

[الترغيب والترهيب]

وَقَضَاءُ الرَّغْبِ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ عَمَلٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ
الشَّرِيفِ .

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ : رُوِيَ فِي رَوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِصَّةُ رَجُلٍ
مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ مِائَةَ قَتِيلٍ ثُمَّ تَدَبَّرَ فَقِيلَ لَهُ : انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا
وَكَذَا فَإِنَّهَا أَنْاسٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فَاغْبِرْ اللَّهَ مَعَهُمْ .

[رياض الصالحين]

إِذَا خَضَرَ السَّالِكُ إِلَى رَاوِيَةِ شَيْخِهِ وَجَدَهُ جَمْعًا مِنَ السَّالِكِينَ يَصْدُقُ
عَلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، فَيُنَالُ سَعَادَةَ الْعَمَلِ (فَاغْبِرْ اللَّهَ مَعَهُمْ) .

الدليل العقلي: يذهب المريض إلى الدكتور فيفحصه الطبيب ويكتب له وصفة طبية ويقول: ارجع إلى البيت وتناول هذا الدواء لأوامر كذا وكذا، ثم انتِ إليّ وأخبرني عن أمرك. هكذا يُعطي المرشد مريدَه وصفة الأوزار الروحية ويقول: التزم بهذه الأوزار وأخبر عن أوضاعك حيناً فحيناً. وهذه هي الرابطة بالشيخ.

شواهد شعرية:

ذَكَرُ آيَاتِ مَن شَعَرَاءِ أُمِّيَّةٍ فِي أَهْمِيَّةِ رَابِطَةِ الشَّيْخِ.

قال شاعرٌ ما معناه:

مَنْ كَانَ يَرِيدُ صُحْبَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَلْيُجَالِسِ الْأَوْلِيَاءِ.

وقال آخرٌ ما معناه:

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ تَجْعَلُكَ صَالِحاً، وَصُحْبَةُ الْأَشْقِيَاءِ تُصَيِّرُكَ شَقِيّاً.

وقال آخرٌ ما معناه:

إِنْ كُنْتَ صَلَاحاً أَوْ رُحَاماً فَادْخُلْ إِلَى صُحْبَةِ أَهْلِ الْقَلْبِ نَكُنْ لَوْلاً.

وقال آخرٌ ما معناه:

اتركِ القَالَ واتَّخِذِي الْحَالَ وَاقْنِذِي رَجُلًا كَامِلًا تَكُنْ صَاحِبَ خَالٍ،
وَأَلِئِي الْكِتَابَ وَمَائَةَ وَرَقَةٍ فِي النَّارِ وَاجْعَلِي الْقَلْبَ وَالنَّفْسَ إِلَى صَاحِبِ خَالٍ.

وقال آخرٌ ما معناه:

وَجَدْتُ يَوْمًا فِي الْحَمَامِ ثَرَاباً مَطْيَباً (خوشبو دار) مِنْ يَدِ الْحَبِيبِ،
فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ أَنْتَ وَسُكُّ أَوْ عَشِيرٌ، فَلَمَنِي رَاضٍ فِي طَيْبِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي
كُنْتُ ثَرَاباً خَفِيراً، وَلَكِنْ صَجَبْتُ الْوَرْدَ مَدَّةً فَعَمِلَ جَمَالُ صَاحِبِي عَلَيَّ
وَأَلَا فَاذَا ذَلِكَ الثَّرَابُ الْحَقِيرُ الَّذِي كُنْتُ.

وقال آخر ما معناه :

يعترفُ الشَّمْعُ السَّليْمُ مَنْجَ نَفْسِهِمْ ما إذا اسْتتر في صُدور أَهْلِ
الْقَلْبِ. يا رَبِّ ا لا تَسألُ إِن أَخَيَّتْ هؤلاءِ اللَّائِسِيْنَ الخُرْقَةَ يَجْلِسُونَ
والَيْدُ البِيضاءِ في جُيوبِهِمْ، إِن تَبِعَ حِماسَ الْقَلْبِ فاحْدُمِ الْفُقَرَاءَ، فإن هذا
الجَوْهر لا يوجد في كنوزِ المُلوكِ.

الباب العاشر

أعمال اليوم والليلة

على السَّالِكِ أَنْ يَقُومَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ لِلتَّهَجُّدِ . قَالَ سَيِّدُنَا الصَّدِّيقُ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : مَبْنَى طُيُورِ السَّحَرِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مِنْ أَشْبَابِ نَدَامَتِكَ . رَأَى شَخْصٌ فِي الْمَنَامِ الشَّيْخَ جُنَيْدًا الْبَغْدَادِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ لَهُ جُنَيْدٌ : غَابَتْ جَمِيعُ الْكُشُوفِ وَالْكَرَامَاتِ . مَا تَلَعْتَ إِلَّا ثَوَائِلَ آخِرِ اللَّيْلِ . لِلشَّيْخِ الْخَوَاجَةِ أَبِي سَعِيدٍ أَبِي الْخَيْرِ فِي الشَّهَادَةِ وَبِنَاعِي مَشْهُورٍ مَعْنَاهُ :

فَمَ لَيْلًا فَإِنَّ الْعُشَاقَ يُنَاجُونَ لَيْلًا . يَطِيرُونَ حَوْلَ أَبْوَابِ الْحَبِيبِ وَتَسْتَفِيهِ .

يُغْلَقُ جَمِيعُ الْأَبْوَابِ لَيْلًا إِلَّا بَابَ الْحَبِيبِ الَّذِي يُفْتَحُ لَيْلًا .

بَعْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ يَدْعُو بِالدَّعَاءِ الْمَسْنُونِ .

يُنْقَلَفُ الْجِذَاءُ فَيَلْبِسُ التَّلْعُلُ الْأَيْمَنَ أَوَّلًا ثُمَّ الْأَيْسَرَ ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى الْحَمَامِ ثُمَّ يَقْرَأُ مَعَ قِرَاءَةِ الْأَذْيَعِيَةِ الْمَسْنُونَةِ . (قِرَاءَةُ الْأَذْيَعِيَةِ الْمَسْنُونَةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنَاسِبَةِ مَهْمَةٌ جَدًّا لَا يَتَكَاسَلُ فِيهَا أَبَدًا فَإِنَّهَا تُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ لِلْوُقُوفِ الْفُلْبِيِّ) .

رَوَى عَنِ الْخَوَاجَةِ عُبيدِ اللَّهِ الْأَخْرَارِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ الْوُضُوءِ ثَلَاثًا : اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَذَنْبٍ أَدْنَيْتَهُ . وَالْهَدَفُ مِنْ هَذَا الدَّعَاءِ الثَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ لِمَنَالِ الظَّهَارَةِ الْبَاطِنِيَّةِ مَعَ الظَّهَارَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَبِهَذَا يُسَهِّلُ

حُصُول كَيْفِيَّاتٍ: «أَنْ تَغْبِذَ إِلَهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وَهُوَ أَقْبَضُ الْغَايَاتِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ.

يُصَلِّي بَعْدَ كُلِّ وُضُوءٍ رُكْعَتِي تَحْوِيهِ الْوُضُوءِ. كَانَ سَيِّدُنَا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا.

عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَا بِلَالًا فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، يَمْ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا كَلِمَتُ الْجَنَّةِ؟ قَطْ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي»، فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَذْنْتُ قَطْ إِلَّا صَلَّيْتُ رُكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطْ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رُكْعَتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِهِمَا».

[جامع الأصول ج ٨ ص ٥٧٦]

يُقْرَأُ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى مِنْهُمَا سُورَةُ الْكَافِرِينَ وَفِي الثَّانِيَةِ سُورَةُ الْإِنْخِلَاصِ.

يُصَلِّي صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِكَمَالِ خُسُوعٍ وَخُضُوعٍ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ أَوْ ثَمَانِ رُكْعَاتٍ أَوْ اثْنَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً.

كَانَ الْخَوَاجَةُ أَبُو يُوْسُفَ الْهَمْدَانِي يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ رُكُوعًا مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ رُكُوعٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانِ رُكْعَاتٍ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ يَتَمُّ فِيهَا سُورَةُ يَسَّ، وَيَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ سُورَةَ الْإِنْخِلَاصِ ثَلَاثًا. (وَالشَّيْخُ أَبُو يُوْسُفَ الْهَمْدَانِي هَذَا اسْتَفَادَ مِنْ صُحْبَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، وَالشَّيْخِ الْخَوَاجَةِ مُعِينِ الدِّينِ الْأَخْمِيرِي، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّهُ شَيْخُ الْعُلَمَاءِ لِهَمَّا).

كَانَ الْخَوَاجَةُ عَزِيزَانِ عَلِي الرَّاغِبِي يَقُولُ: تَجْتَمِعُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ يَسَّ فِي التَّهَجُّدِ ثَلَاثَةُ قُلُوبٍ: قَلْبُ اللَّيْلِ أَيْ الْجِزءُ الْآخِرُ مِنْهُ، وَقَلْبُ الْقِرَآنِ

أَيُّ سُورَةِ يَسَّ، وَقَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْقُلُوبِ الثَّلَاثَةِ سَبَبُ قَبُولِ الدُّعَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

كَانَ الْخَوَاجَةُ عُيِيدَ اللَّهُ أَخْرَارَ يَقُولُ: إِنْ فَاتَتْ التَّهَجُّدَ أَحْيَانًا يُغْضِبُهُ قَبْلَ يَضْغِبِ النَّهَارَ، وَالسَّالِكُ الَّذِي لَا يَتَيَقَّنُ بِالْفَيْتَامِ يُعْصَلِي الثَّوَابَ قَبْلَ الثَّوَمِ.

كَانَ الْخَوَاجَةُ بِهَاءِ الدِّينِ تَقْسِمُ الْبُخَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقْرَأُ فِي أَدْعِيَةِ التَّهَجُّدِ أَيْمَانًا مَعْنَاهَا:

جَنَّاتِكَ اللَّهُمَّ مُسْتَعِيدًا بِكَ يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ، جَنَّاتِكَ أَخْوَلُ ثَقُلُ دُنُوبِي جَنَّاتِكَ وَقَدْ جَعَلْتُ دُنُوبِي ظَهْرِي يَضْفَيْنَ. يَا مُعِيذَ الْعَالَمِينَ آتَيْتَ إِلَى بَابِكَ عَاجِزًا مُتَضَرِّعًا. لَا أَقُولُ إِنِّي قَضَيْتُ سَتْرَاتِي فِي طَرِيقِكَ، أَنَا ضَالٌّ جَنَّاتِكَ مَتَوَجِّهًا إِلَى طَرِيقِكَ، جَنَّاتِكَ يَا مَالِكَ الْمُلْكِ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ لَيْسَتْ فِي كُنُوزِكَ وَهِيَ: الْقَدَمُ وَالْاِخْتِيَانُجُ وَالْمَغَايِرَةُ وَالْمَعْصِيَةُ. جَنَّاتِكَ بِقَلْبٍ فَقِيرٍ وَقَلْبٍ مَكْلُومٍ وَالْاِخْتِيَانُجُ وَالْجَذْلَانُ. جَنَّاتِكَ بِهَا كُلُّهَا شَهِدَةُ عَلَى دَعْوَى عَشْفِكَ. فَانْظُرْ إِلَيَّ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ وَانْظُرْ إِلَى بَيْتَايَ شَعْرِي فَإِنِّي جَنَّاتِكَ بِوَجْهِ أَسْوَدَ مِنَ النَّدَمِ.

وَلْيَدْعُ السَّالِكُ أَيْمَانًا بِمَنَاجَاةٍ مَنَسُوبَةٍ إِلَى سَيِّدِنَا الصُّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَ الْقَرَأَةِ مِنَ الدُّعَاءِ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِائَةَ مَرَّةٍ، وَيُصَلِّيُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِائَةَ مَرَّةٍ. سَأَلَ رَجُلٌ شَيْخَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ مُوَلَانَا عَبْدَ الْغُفُورِ الْعَبَّاسِي رَحِمَهُ اللَّهُ مَاذَا نَعْمَلُ أَوَّلًا لِاسْتِغْفَارِ أَوْ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: الْاسْتِغْفَارُ مِثْلَ صَابُونٍ غَسِيلِ الثَّوْبِ، بَيْنَمَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَغُلْبِ الثِّيَابِ، فَهَلْ تَطَيَّبْتَ الثَّوْبَ أَوَّلًا أَوْ تَغْسِلُهَا بِالصَّابُونِ؟ فَأَجَابَ السَّائِلُ: يَا سَيِّدِي الْمُنَاسَبُ أَنْ نَغْسَلَ بِالصَّابُونِ ثُمَّ نَطَيَّبَ بِالطَّيِّبِ فَقَالَ: كَذَلِكَ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ أَوَّلًا بِكَمَالٍ ثُمَّ حَتَّى يَظْهَرَ الْقَلْبُ ثُمَّ نَصَلِّيَ عَلَيْهِ

بمحبته واخترام حتى تنطيب ويدخل طيب حب الرسول ﷺ في عضو عضو.

ويستغل بعد التسبيحات في الذكر والمراقبة أي في دروس أعطاها شيخه وإرائب بتوجه كميل بعد ذلك بجميع الوسوس، وقد وصى الخواجه بهاء الدين نقشبند البخاري رحمه الله للشيخ مولانا محمد يعقوب الشرخي رحمه الله أن اشتغل في الدرس الباطني قبل طلوع الصباح.

يؤدي ركعتي الفجر في البيت فإنه سنة ثم يخرج إلى المسجد ويؤدي صلاة الفجر بجماعة مع التكبيرة الأولى، وليتزم محافظة التكبيرة الأولى على نفسه في القرائن، فإنه شجاع الصلحاء، وكان مشايخ سلسلتنا العالية لا تفوت لهم التكبيرة الأولى شهوراً متواصلة.

بدخل المسجد بعد قراءة الأذعية المسمونة ويشوي الاعتكاف ويستقبح جداً الاشتغال بالتكلم عن أمور الدنيا في المسجد ويصلي كل صلاة كأنها آخر صلاة في الحجة حتى يتألى عزلة كاملة.

يسبح بعد كل صلاة بتسبيحات فاطمية ثم يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» مرة واحدة، ويقرأ آية الكرسي مرة ويذكر عليها بعد الفجر والمغرب «اللهم أجزلي من النار» سبع مرات و: «اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» عشر مرات. كان مرشد العالم رحمه الله تعالى يواظب على هذا العمل.

يقرأ بعدها جزءاً من القرآن الكريم ويقرأ الحفاظ حسب احتياجهم ويتخذ قراءة سورة يس من أعمال يومية.

ويصلي أربع ركعات للإشراق عندما ترتفع الشمس فلز رُمح أو دُمحين وله ثواب حج وعمره. كان الشيخ مولانا محمد يعقوب شرخي

يَقْرَأُ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَوَضَاهُ بِهَا الشَّيْخُ سَيِّدَ الدِّينِ الْبَاقُورِي.

[الرسالة السنوية ص ٣٣]

كَانَ مَشَايِخُ بَخَارَى يُتَوَوَّنُ الْاِسْتِخَارَةَ فِي ثَوَاقِلِ الْاِسْتِشْرَاقِ، ثُمَّ يَتَأَمُّونَ قَلِيلًا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالَ الْيَوْمِ كُلِّهِ، وَكَانُوا يَذَاوُمُونَ عَلَى قِرَاءَةِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَسُورَةِ الْكَافُرُونَ، وَسُورَةِ الْإِحْلَاصِ، وَسُورَةِ الْفَلَقِ، وَسُورَةِ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ. وَيَهْدُونَ ثَوَابَهَا لِلْمَنِيِّ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

ثُمَّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْتَّعْلِيمِ أَوْ التَّعْلَمِ فَلْيَشْتَغِلْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا أَوْ مُوظَّفًا فَلْيَشْتَغِلْ فِي عَمَلِهِ مُرَاعِيًا الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَلْيُكَلِّمْ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَفُوزَ بِالْعَمَلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَجَالُ لَا لِلَّهِمْ نَجْرَةٌ وَلَا يَمُوتُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٧) وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: الْوُقُوفُ الْقَلْبِي أَيْ تَكُونُ الْيَدُ مُشْتَغِلَةً بِالْعَمَلِ وَالْقَلْبُ مُشْغُولٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لِصَلَاةِ الضُّحَى عِنْدَمَا يَزْدَادُ ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ. كَانَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَه عَبْدَ اللَّهِ أَخْرَارَ يُصَلِّي فِي الرُّكْعَةِ مِنَ الضُّحَى سُورَةَ وَالشَّمْسِ وَضَحَّاهَا، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَفِي الثَّالِثَةِ: وَالضُّحَى، وَالرَّابِعَةِ: أَلَمْ تَنْسَخْ.

[أنفاس نفسية ص ١٧]

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى لِمَشَاغِلَ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مُوَاطَنَةِ مَكْتَبِيَّةٍ فَلْيُصَلِّ فِي وَقْتِ الْإِشْرَاقِ رَكْعَتَيْنِ بِنِيَّةِ الْإِشْرَاقِ وَأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِنِيَّةِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَهَذَا الْعَمَلُ أَحْسَنُ وَأَنْسَبُ لَزَمَانِنَا.

إِنْ أُمَكِّنَ بَعْدَ الْعَدَاءِ أَنْ يَقِيلَ فَلْيَقِيلْ، فَإِنَّ الْقِيْلَوَةَ سُنَّةٌ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وبها تيسر المواظبة على التهجد، وعندما زالت الشمس
فليصل أربع ركعات لسته الظهر، وليصل أربع ركعات لصلاة الظهر في
المسجد بجماعة.

كَانَ الْخَوَاجِ عِيْدَ اللَّهِ أَخْرَارَ يَقُولُ: لِيَقْرَأَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَلِمَةً (بَارِ
گشت) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهِيَ: إِلَهِي مَقْصُودِي أَنْتَ وَرَضَاؤُكَ هَبْ لِي خُبْرَكَ
وَمَعْرِفَتَكَ وَالرَّغْبَةَ وَالشُّوقَ إِلَيْكَ.

[الطاس نفسيه ص ٨٤]

يَعْدُ الظُّهْرِ يَسْتَعْلِي فِي أَعْمَالِهِ وَإِنْ كَانَتْ فُرْصَةً، فليقرأ دَلَالِ
الْحَيَاتِ، أَوْ يَرْزَبَ الْبَحْرِ خَسْبَ مَا أُذِنَ لَهُ مِنْهُ، وَيَقْرَأَ الشَّجَرَةَ الشَّرِيفَةَ
مَرَّةً، وَإِنْ كَانَ فِي الْوَقْتِ سَعَةً فَلْيَطْلُعْ كُتُبَ الْحَدِيثِ أَوْ الْفُقهِ أَوْ
التَّصَوُّفِ، وَخَاصَّةً مَكْتُوباتِ الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ، أَوْ الْمَكْتُوباتِ الْمَغْصُومِيَّةِ أَوْ
مَبَيَّنُ مَشَايِخِ السَّلْسَلَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَعَمَلُ بَعْضِ الْمَشَايِخِ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْفَتْحِ
بَعْدَ الظُّهْرِ أَيْضاً.

يَعْدُ صَلَاةُ الْحَضَرِ يَسْتَعْلِي فِي الْأَوْرَادِ وَالْوُجُوهِ. قَالَ الْخَوَاجِ
دُوسْتِ مُحَمَّدِ الْقَنْدَهَارِيِّ: لِيَرَاقِبِ السَّائِلُ عَلَى أَطَائِفِهِ بِالتَّرْتِيبِ الْآتِي:

عَلَى لَطِيفَةِ الْقَلْبِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ٥٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الزَّوْجِ
١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ السِّرِّ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْخَفِيِّ ١٠٠٠
مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْأَخْفَى ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ النَّفْسِ ٢٠٠٠ مَرَّةً،
وَعَلَى لَطِيفَةِ الْقَالِبِ ١٠٠٠ مَرَّةً، يَغْنِي مَجْمُوعُ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ ١٢٠٠٠
مَرَّةً.

يَصَلِّي الْمَغْرِبَ بِجَمَاعَةٍ، ثُمَّ يُؤَدِّي سِتَّ رَكَعَاتٍ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
رُكْعَةً بِسَلَاةِ الْأَوَائِينَ، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَسُورَةَ أَلَمِ السَّجْدَةِ،
وَسُورَةَ الذَّحَاةِ.

ثم يأكل ويشرب ويصلي العشاء بجماعة ويستغفر مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يقرأ سورة الملوك.

كان عمل مُرشد العالم رحمه الله أنه يصلي على النبي ﷺ مرة، وسورة الفاتحة مرة، وآية الكرسي مرة، وسورة الكافرون وسورة الإخلاص والفلق والناس مرة، ثم يصلي على النبي ﷺ ويجعل حوله جصاً ثم ينام ليلاً، وهذا العمل مفيد جداً للحفظ.

على السائل أن يواظب على قراءة آية الكرسي والمعوذتين وتسبيحات فاطمية بعد كل غرض ويصلي صلاة التيسير يوم الجمعة ويحاول اعتكاف العشر الأخير من رمضان. ويحاول قيام ليلة بضع شعبان وليلة القدر، وليلة عيد الفطر، وليلة عيد الأضحى.

ويحاول أن يصوم الأيام البيض أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري، وستاً من شوال، وتسعاً من أول ذي الحجة إلى ناسعه ويوم عاشوراء، والخامس عشر من شعبان، وثمانية من أول شهر رجب وشعبان، وإن كان أغرب فليكثر من صيام الثقل. ويكثر الصيام الصوم يوماً والإفطار يوماً، وصيام الدهر مكره.

وإن كان في ذمته صلوات فائتة أو صيام فليقضها أولاً، وليحفظ الأذعية المسنونة للمناسبات المختلفة، فليدع بها في مواقعها.

ليهتم للصحة الروحية مع الصحة الجسمية. قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». كان مشايخنا ينجلون في الوقت المناسب صباحاً ومساءً.

إن أراد التعديل في الأوزان فليستأذن شيخه.

الباب الحادي عشر

في المعارف والحقائق

مُلْحَوظَةٌ: ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْبَابِ لِإِفَادَةِ السَّالِكِينَ مَعَارِفُ وَحَقَائِقُ أُخِذَتْ مِنْ كُتُبِ التَّصَوُّفِ الْمُعْتَبَرَةِ.

الدُّنْيَا:

ذَكَرَ شَخْصٌ الدُّنْيَا بِشَوْءٍ عَمْدَ زَائِعَةٍ الْبَصَرِيَّةِ فَقَالَتْ: لَا تَأْتِنِي بَعْدَ الْيَوْمِ لِأَنَّكَ تَحِبُّ الدُّنْيَا كَثِيرًا.

مَنْ سَافَرَ فِي الدُّنْيَا الْمَادِيَّةِ تُصَابُ قَدَمُهُ بِالْقُرُوحِ، وَمَنْ سَافَرَ فِي الدُّنْيَا الرُّوحَانِيَّةِ يُصَابُ قَلْبُهُ بِالْغُيُومِ.

اتَّصِلُوا بِالدُّنْيَا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ كَالْحَمَامِ.

طَالِبُ الدُّنْيَا كَشَارِبِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا يَشْرِبُ يَزْدَادُ غَطْشًا.

قَالَ مَلِكٌ لِفَقِيرٍ: اسْأَلْنِي يَا فَقِيرُ مَا تَرِيدُ. فَقَالَ الْفَقِيرُ: مَاذَا أَسْأَلُ عَبْدَ عَبْدِي؟ فَقَالَ الْمَلِكُ: مَاذَا تَعْنِي؟ فَقَالَ الْفَقِيرُ: الدُّنْيَا عَبْدِي وَأَنْتَ عَبْدُ الدُّنْيَا.

قِيلَ لِدَيِّ الثَّوْنِ الْيَمُسْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْجَمَاعَةُ الْفُلَانِيَّةُ مُسْتَعْمِلَةٌ فِي الْفَرْحِ وَالطَّرِبِ وَالْعِصْيَانِ، فَأَدْعُ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا مَنَحْتَ لَهُمُ الْأَفْرَاحَ فِي الدُّنْيَا فَامْنَحْ لَهُمُ الْأَفْرَاحَ فِي الْآخِرَةِ.

الدُّنْيَا حَقِيقَتُهَا كَمَا يُعْطَى رُبَّنْ بَوْرَقِ الْخُضَةِ أَوْ كَعَجُوزِ الْأَيْسِثِ ثِيَابًا جَمِيلَةً.

لَوْ قَامَ النَّاسُ لِتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَلَا تَفْجَبْ أَفَلَا يَقُومُ النَّاسُ لِلْحَيَّةِ
وَالْبَعُزْبِ.

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مَعْرِفَةَ تَدْبِيرِ أَحَدٍ، فَانْظُرْ إِلَى دُيَّاهِ. إِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا
صَحِيحَةً فَالَّذِينَ صَحِيحٌ.

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ خَالِيًا عَنِ الْغَيْرِ، وَالتَّطَنُّ خَالِيًا عَنِ الْحَرَامِ، فَكُلُّ
اسْمٍ اسْمٌ أَعْظَمُ.

قَالَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ: تَرَعْرَعْتُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَكِنْ لَمْ
أَجِدْ شَيْئًا أَكْثَرَ نَفْعًا مِنْ ضَوْءِ الْقَلْبِ.

إِنْ كَانَ الْقَلْبُ أَسْوَدَ فَلَا يَتَمَقَّعُ الْأَعْيُنُ اللَّامِعَةُ شَيْئًا.
يُفْسَدُ بَيْتٌ لَا زِينَةَ فِيهِ، كَذَلِكَ يُفْسَدُ قَلْبٌ لَا عَمَّ فِيهِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْقَلْبُ كَالْقَلْبَرِ وَاللِّسَانُ كَالْمِلْعَقَةِ. وَلَا تُخْرِجُ
الْمِلْعَقَةُ إِلَّا مَا فِي الْقَلْبِ.

سَأَلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: عِتَاءُ الْقَلْبِ.
فَيُنَبِّئُنِي أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ عَيْنًا.

لَا يَكُونُ فِي سَوَاقِ الْقِيَامَةِ سِلْعَةً أَثَمٌ مِنْ تَطْيِيبِ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ.

عِبَادَاتُ:

شَيْشَانُ كَانَ عِبَادَةً فِيمَا مَضَى وَأَضْبَحَهَا الْيَوْمَ عَادَةً: التَّكَاثُرُ
وَالطَّعَامُ.

سَبَبُ عَدَمِ الْعِلْمَانِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ الْمَعَاصِي. كَمَا لَوْ أَنَّ عَامِلًا فِي
مَضْنَعٍ جَلَدٍ يَذْهَبُ إِلَى دُكَّانٍ عِطَارٍ يَضِيقُ نَفْسَهُ.

أَوَّلُ حُضُورٍ فِي الصَّلَاةِ أَنْ يُصَلِّيَ بِنِيَّةِ الْمَغْفِرَةِ.
أَخْفَى بِقَالَ صِيَامُهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. رُغِمَ أَغْلَهُ أَنَّهُ تَغَدَّى فِي

الدُّكَّانَ، وَزَعَمَ أَهْلُ الدُّكَّانِ أَنَّهُ أَكَلَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ الْإِنْيَانِ. لَمْ يُخَيَّرْ أَحَدًا بِصِيَامِهِ. هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ.

عِبَادَةُ لَا تُعْطَى لَذَّةٌ فِي الدُّنْيَا مَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهَا فِي الْآخِرَةِ؟
ذَهَابُكَ إِلَى الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةٍ أُخْرَى غَلَامَةٌ قَبُولِ الصَّلَاةِ الْأُولَى.
وَرُودُ الْخَيَالَاتِ الْمَحْمُودَةِ فِي الصَّلَاةِ كَعِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَقْبَرِ
وَالْخَشَرِ وَالْجَنَّةِ لَا يُتَأَنَّى الْخُشُوعُ، كَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقِمْ صُفُوفَ
الْجِهَادِ فِي الصَّلَاةِ.

قَالَ الشَّيْخُ النَّاتُوتُوِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْخَجَرُ الْأَسْوَدُ بِمِقْيَاسٍ فَإِنْ
ازْدَادَتْ الْحَصَنَاتُ بَعْدَ الْخَجْرِ فَخَيْرٌ وَإِنْ غَلَبَ الشَّرُّ فَفَسَادٌ وَخَلَاكٌ.

يَضَعُ الْإِنْسَانُ فِي الصَّلَاةِ أَشْرَفَ الْأَعْضَاءِ (الْوَجْهَ) عَلَى أَحْسَنِ
الْأَشْيَاءِ (الْأَرْضِ) وَمِنْ ثَمَّ يُقَالُ: الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِينَ.

التَّوْبَةُ:

الْإِثْمُ بِدَايَتِهِ تَجَنَّبِ الْعَنَكُبُوتِ، وَنَهَايَتُهُ كَمَرَسَى الشَّقَى وَالْبَاجِرَةِ.
مَنْ تَدِمَ عَلَى الْإِثْمِ فَهُوَ وَلِيٌّ، وَمَنْ لَا يُتَالِي بِالْإِثْمِ فَهُوَ إِنْسَانٌ، وَعَنْ
يُفْرَحُ عَلَى الْآثَامِ فَهُوَ الشَّيْطَانُ.

لَا تُنْظَرُوا إِلَى الْإِثْمِ مَا أَضْعَفَهُ، بَلِ انْظُرُوا إِلَى عِظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
الَّذِي تُعْصِرُونَهُ.

لَوْ تَغْلِقُونَ الْأَبْوَابَ لِإِخْفَاءِ الْمُعَاصِي لَبَقِيَ الصَّدَقُ خَارِجًا.
لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ طَرِيقَانِ: الْأُولَى: الْعِصْمَةُ قَبْلَ
الْمُعْصِيَةِ، وَالْأُخْرَى: تَوْفِيقُ التَّوْبَةِ بَعْدَ الذَّنْبِ.

ذَنْبٌ يُسَبِّحُكُمْ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تُفَرِّحُكُمْ.

غَلَامَةُ صِدْقِ التَّوْبَةِ أَلَّا يَتَّهَمَ بِتِلْكَ الْمَعْصِيَةِ.

لا يوجد شخص ترك شيئاً مكرهاً ولم ينل شيئاً عزيزاً.
 قال إبراهيم النخعي: الإخلاص أن يخفي الإنسان الحسنات كما
 يخفي السيئات.
 ارتكأب ذنب بنية أن يترك بعد المباشرة مرة أو مرتين خطأ كبيراً.
 كما أن الشجر لا يستقل ثمره كذلك الإنسان لا يستقل أمانه.
 على الواعظ أن يذكر الناس بآلاء الله تعالى حتى يشكروا، ويذكرهم
 بذنوبهم ليؤنبوا، ويذكرهم عداوة النفس والشيطان حتى يجتنبوا.
 تخفي في النفس جميع الذنوب كما تخفي الثار في الكبريت.
 تستعمل ناز الآثام بمجرد حكمة.

الشيخ والمريد:

سُكُوتُ الْمُزْمَدِ أَتْفَعُ لِلطَّلَبِ الصَّادِقِ مِنْ تَطَقُّعِهِ.

سُكُوتُ الْمُزْمَدِ أَتْفَعُ لِلطَّلَبِ الصَّادِقِ مِنْ تَطَقُّعِهِ.

تطبخ - يأتي وقت تستد قوته إن أنزلوها فيها وإلا تخف قوته.
 يقال تغاوت عدد المریدین لشيخین كسائین: أحدهما صاحب
 أولاد والثاني عقيم، ولكن الرجولية سواء.
 يأخذ المريد الفیض من الشيخ كما يأخذ الناس العسل من النحل.
 ينبغي للمشيخ أن يوصي بشيئين: الأول: إصلاح الأخلاق،
 والثاني: تحصيل العلم بقدر الحاجة.
 يذكرو عند نظر السوء أنه لو كان الشيخ ينظر لا يفعل، فكذلك
 يستحي من الله.

قال غافل لشيخ: مریدك يذكر مرائياً فقال: عنده مِرَاجٌ ضعیف
 فيرجى له المغفرة وما عندك مثله أيضاً.

مَنْ حَافِظٌ عَلَى الْأَوْزَادِ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ. طَمْبَائِيَّةُ الْقَلْبِ
أَمَتْهُ نَأْيُهُ بِدُونِ مَشَقَّةٍ.

عَلَى السَّالِكِ أَنْ يَكْتَفِي عَلَى قَضَاءِ ضُرُورَاتِهِ وَلَا يَتَّبِعِ اللَّذَاتِ.
فَمَنْ وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ بَاتِيَ زَوْجَتَهُ، وَلَيْقُضِ حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَاللَّهُ
الْمَوْفِقُ.

الْمُجَذُّوبُ وَإِنْ كَانَ مَقْبُولًا لَكِنَّهُ نَاقِصٌ وَلَيْسَ بِكَامِلٍ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ».

[شرح السنة ج ١ ص ٣٥٦]

فَالشَّيْخُ الرَّوْحَانِيُّ كَالْوَالِدِ وَزَوْجَتَهُ كَالْأُمِّ.

قَالَ الشَّيْخُ أَمْدَادُ اللَّهِ الْمُهَاجِرُ الْمَكِّيُّ: أَبَايُ كُلُّ شَخْصٍ يَرْغَبُ فِي
الْبَهِيَّةِ. لَعَلَّهُ يَرَى شَيْخَهُ يَوْمَ الْغِيَامَةِ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى جَهَنَّمَ، فِيرْحَمُهُ الْمُرِيدُ
قَلْعِي يُغْفِرُ لِي بِرَحْمَتِهِ.

قَدَّمَ رَجُلٌ هَدِيَّةً إِلَى الشَّيْخِ وَطَلَبَ مِنْهُ الدُّعَاءَ، فَقَالَ الشَّيْخُ:
أَرْجِعُوا الْهَدِيَّةَ لَيْسَ هَذَا مَحَلٌّ يَتَّبِعُ الْأَدْعِيَةَ.

عِنْدَ خِدْمَةِ الشَّيْخِ يَتَوَيَّ الْعَمَلُ بِالسُّنَّةِ إِذْ هِيَ ثَابِتَةٌ بِالْأَخَادِيثِ.
وَلَكِنْ لَمْ يَثْبُتْ دَهْنُ الرَّأْسِ بِالرُّوَايَاتِ فَيَنْبَغِي نِيَّةُ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ.

لِيَخْشَبَ الشَّيْخُ الْمُرِيدَ الْآثِمَ كَوَجْهِ جَمِيلَةٍ أَضْيَاةٍ جَيِّرٍ أَسْوَدَ لَو
اِغْتَسَلَتْ ظَهْرُ وَجْهِهُ مُقْمِرٌ.

الْعَارِفُ بِالْحَقِّ يَرَاهِي الشُّؤُونَ وَالتَّجَلِّيَاتِ لَمَّا وَجَدَ الشَّيْخَ ﷺ غَلِيَةً
نَجَلِيَّاتِ الْمَحْبُوبِيَّةِ وَآى أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يَفْخَرَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ
تَهْلَكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ الْيَوْمَ لَا تُغَيِّدُ».

[سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٧]

رَأَى أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِبُّ أَنْ يَرَى مِنْهُ الصَّبْرَ، فَلَمْ

يدع للشقاء. ولما انكشف له أن الله يجب إظهار العبدية قال: ﴿أَوْ مَسَىٰ
الْأَشْيَاطُ بِنَفْسِي وَعَذَابُ﴾: (ص: 141).

ليكن الشيخ لساناً والمريد أذناً، ويتبع للمشايع ألا يطلعوا عامة
المريدين بأمور بينهم فإنه مضر وليس بنافع.
القائي لا يرد كالبالغ لا يرجع إلى الصبي، والثمر الثايب لا يعود لنا.

التقوى:

التقوى: أن لا يأخذ أحد برقيبك يوم القيامة.
التقوى: أن يجسد متمنيات القلب فيوضع في العلق ويعرض في
الأسواق فلا يكون ندامة.
ولذلك في زمان استعاذ السلف الصالحون منه مع اتصافهم بالعلم
والتقوى.
وزود الوسوس رخصة لا ينافي التقوى. والجحمة فيه أن يتفطع بها
أساس المعجب. وذلك صريح الإيمان.
تعلق الولاية بالإيمان والتقوى. وهما تعلقان بقلب الإنسان.
التقدم بدون التقوى كجئت متفوحة لا روح فيها.

الذكر والمراقبة:

السالك يطمئن بالمراقبة كما يطمئن الولد في حجر أمه.
يخفر البئر فيخرج الرمل أولاً ثم الماء. كذلك المبتدئ يرد له
الوسوس أولاً في المراقبة ثم يحصل الاطمئنان والعزلة.
السالك كالثائم يعرف بعد اليقظة أن المحبوب الحقيقي عنده.
سكر الذكر يخفف حيال الوجود.
الأفضل عند سماع الأذان ترك الذكر والرد على المؤذن.

إِنْ لَمْ يَطْمَئِنِّ فِي الْمُرَاقَبَةِ فَلْيُرَاقِبْ يَوْمًا وَلْيَتْرِكْ يَوْمًا.

الدَّعَاءُ :

الدَّعَاءُ الْحَقِيقِيُّ مَا يُخْرِجُ مِنْ جَمِيعِ أَعْضَاءِ الْجِسْمِ .

كَانَ الشَّيْخُ عُثْمَانُ الْخَيْرِيُّ يَأْذِي يُعْطِي الْمَالَ لِلْمُسْتَرِينَ مُقَابِلَ الْعُمَلَةِ الْمَرْيُفَةِ ، وَدَعَا عِنْدَ الْمَوْتِ وَقَالَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي قَبِلْتُ مِنَ النَّاسِ الْعُمَلَةَ الْمَرْيُفَةَ ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ مِنِّي الْأَعْمَالَ الْمَرْيُفَةَ ، فَتَقَبَّلَ اللَّهُ دُعَاءَهُ) .

كَانَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ الْخَطِيبُ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا يَكُنْ عِنْدِي أَحَدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ لَا قَرِيبَ وَلَا أَجَنِّبَ وَلَا مُلْكُ الْمَوْتِ ، أَكُونُ أَنَا وَأَنْتَ فَقَطْ .

الدَّعَاءُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ يَرُدُّ الْبَلَاءَ وَيُبْعِدُ الْفِتْرَةَ لَا يُزِيلُ الْمُصِيبَةَ وَلَكِنْ يُخَفِّفُهَا .

لَوْ تَدْعُو عِنْدَ شَاطِئِ الْبَحْرِ بِالسُّقُوفِ الْكَامِلِ تَأْتِيكَ الْأَمْوَاجُ بِالْأَضْدَاءِ الْمَلِيئَةِ بِاللَّالِئِ .

كَانَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَدْعُو بِهَذَا الدَّعَاءُ :

اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ تُغْفِرْ لِي فَأَمْلَأْ مِنِّي جَهَنَّمَ وَاعْفِرْ لِنَسَائِرِ النَّاسِ .

مِنْ فَرَائِدِ الدَّعَاءِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُكَ أَنْ تَجْعَلَنِي صَالِحًا فَيُعَذَّرُ .

عَلَّاجُ الْحَسَنِ أَنْ يَدْعُو لِلْمُحْسِنِينَ أَنْ تُرْفَعَ دَرَجَاتُهُ .

الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ :

الْإِخْلَاصُ لَا يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ خِزَاءَ أَعْمَالِهِ .

مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَمَثَلِ الْمَيَّاقُوتِ الْأَحْمَرِ يَجْعَلُ غَيْرَهُ ذَهَبًا وَيَبْقَى هُوَ خَجَرًا .

مَثَلُ عَالِمٍ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ مَثَلُ مَرِيضٍ عِنْدَهُ دَوَاءٌ وَلَا يَتَنَاوَلُهُ،
كَمَا أَنَّ السَّرَاجَ لَا يَضِيءُ بِدُونِ إِشْعَالٍ، كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يَنْفَعُ بِدُونِ
الْعَمَلِ.

عَالِمٌ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ كَوَلَعَقَةٍ فِي أَطْعَمَةٍ لَا تَعْرِفُ لِذَنَةِ .
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَازْدِيَادَهُ غَيْرَ مُفِيدٍ مَا لَمْ يَزِدْهُ مَخَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى .
الْحِجَّةُ بِأَيْدِينَا وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَيْنَا أَنْ نُسْتَغْوِلَ مَا فِي
أَيْدِينَا .

الْإِنْسَانُ الْمُبْتَغِطُ شَرٌّ مِنَ الْمَيِّتِ لِأَنَّ الْمَيِّتَ يَشْغُلُ مَكَانًا قَلِيلًا،
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو بَرْزَيْدٍ الْبِسْطَامِيُّ: إِنِّي جَاءَ حَدَّثَ نَفْسِي ثَلَاثِينَ عَامًا فَلَمْ
أَرُ شَيْئًا أَشَقَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ .

اسْتَشْفَعَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ شَيْخًا لِقَضَاءِ شِيرَازَ، فَكَتَبَ فِي خُطَابِ
الْشُّفَاعَةِ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ ضَالِحٌ غَالِبٌ فَاضِلٌ يُرِيدُ مَكَانَ سَجَادَةٍ فِي جَهَنَّمَ .
كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ لِلْخَلْقِ رِيَاءٌ كَذَلِكَ تَرْكُ الْعَمَلِ لِلْخَلْقِ رِيَاءٌ .

لَا يَجُوزُ التَّنَقُّدُ عَلَى الْعَالِمِ السَّيِّئِ وَالْعَمَلِ لِأَنَّهُ يَذْعِبُ الْعِلْمَ دُونَ
الْعَمَلِ .

قَالَ عَمْرُو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَتَّبِعُ فِي أَسْوَاقِنَا إِلَّا مَنْ يَكُونُ فَقِيهًا .
سُبْحَانَ اللَّهِ! سَجَلُ كُلِّ الدُّوَلَةِ مَدْرَسَةٌ .

لِلْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ:

تَسْرُ تَمَرُّدُ النَّفْسِ دَاخِلٌ فِي إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .
الْمَرَضُ الرُّوحَانِيُّ الْمُنْتَشِرُ الْيَوْمَ: ﴿ يَكُنْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْفِكَ قُلُوبُهُ إِنَّهُ
لَدُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصاص: ٧٩] .

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ أَكْثَرَ

كرامة للصحابية رضي الله عنهم أجمعين، أن جُنْدَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ رضي الله عنهم عَمَرَ بَحْرَ دَجَلَةَ وَلَكِنْ أَكْثَرَ كَرَامَةِ لَدَى الْمُحَقِّقِينَ أَنَّ خِزَانَتِنِ الْقَيْصَرِ وَالْكَسْرَى سَأَلَتْ قَدَامَهُمْ فَمَسَحُوا فِيهَا مُحَافِظِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

لا خِصْرَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى النُّفُسِ بِنْدِي وَالْجِشْتِي، قَالَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ ءَابَاءَهُ إِيزَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٢٣٨]، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَبِعًا لِشَرِيعَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ﴾ [آية، [التوبة: ٢٤] بَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الصَّبَرَ يَنْصَرِفُ عَنِ الْأَذْنَى عِنْدَ حُضُورِ الْأَعْلَى.

يُسْرِعُ النَّبُضُ عِنْدَ ذِكْرِ الْحَبِيبِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

أَشَدُّ كِتَابَةِ الْحَسَنَاتِ إِلَى نَفْسِهِ. نَقْدِي بِنَفْسِنَا عَلَى هَذَا الْإِكْرَامِ. لَوْ سَلِمَتْ بَعْضَةُ بَغْيَرِ ذَنْبٍ يُجْزَى بِأَحْسَنِ مِنْهَا. يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَسْخَرُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ تُهَيِّئُ نَأْتٍ يَخْتَرِمُهَا أَوْ يُنْهَكُهَا﴾ [البقرة: ٢١٠].

سَأَلَ شَخْصُ الشَّيْخِ أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ وَقَالَ: لِمَ إِذَا تُكْنِي عَلَى الْجُوعِ كَثِيرًا؟ فَقَالَ: لَوْ أَصَابَ فِرْعَوْنَ جُوعٌ لَمَا قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [الأنعام: ٢٤].

وَقَدْ مَتَّحَ الدَّرْسَ النَّظَامِيَّ لِلْعُلَمَاءِ ثَمَانِيَةَ أَعْوَامٍ. وَالشَّاهِدُ لَهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمِدَ لِحُدُودِ شُعَيْبِ ثَمَانِي سَنِينَ. وَلَكِنْ لِلتَّخَصُّصِ فِي الْحَدِيثِ أَوْ الْفِقْهِ ﴿وَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عَمَلِكَ﴾ [التفسير: ٢٧].

بَحُورٌ بِسَبْتِ الْأَوْلَادِ إِلَى أَبِي الْأُمِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِسَّا كُلٌّ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٤﴾ (الأنعام: ١٨٤، ١٨٥).

ومعلوم أن عيسى ابن مريم لم يكن له والد.

ثُمَّ رُبَّ سُرُجٍ بَغِضِ السَّلَفِ يَكُونُ أَكْثَرُ مِنْ ثَقَفَةِ طَعَامِهِمْ.

ثَنِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْعُلَمَاءِ غَيْرِ الْعَامِلِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعْدَ فُرْقَةٍ مِّنَ الْوَدَّيْنِ أَوْثَرُوا الرُّكُوبَ فَكَتَبَ اللَّهُ وَرَأَاهُ ظُهُورُهُمْ﴾ (البقرة: ١٦١).

سُئِلَ الْإِمَامُ بِأَقْرَبُ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) فَأَجَابَ: كُلُّ مَنْ شَغَلَكَ عَنْ مُطَالَعَةِ الْحَقِّ فَهُوَ طَاغُوتُكَ.

قَالَ الشَّيْخُ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَوْنِ فِي قَلْبٍ لَيْسَ فِيهِ غُبَارُ التَّفَاقِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: السَّكُونُ حَرَامٌ عَلَى قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ.

الْعَبْدُ شَانَهُ: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ (النمل: ٤٤) وَالْمَغْبُودُ مِنْ شَيْئَانِهِ: ﴿يَتَعَبَّدُونَ لَهُ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (الزخرف: ٦٨).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ: مِنَ الْمُحِبَّةِ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْمُحِبُّ مَا يُعْطَى هُوَ، وَأَنْ يَسْتَكْتِرَ الْمُحِبُّ مَا يُعْطِيهِ الْمُحِبُّوبُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْعُ الْأَنْبِيَاءِ قَلِيلٌ﴾ (الشع: ٧٧)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ كَبِيرٌ﴾ (٧٥) خَرَابٌ: ٣٥ دَلِيلٌ عَلَى مُحِبَّةِ اللَّهِ لِخَلَائِقِهِ.

الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (طه: ١١).

حَسَنُ الصَّوَبِ:

كَانَ الشَّيْخُ مَبِينَا يَدْرُسُ شَرْحَ الْوَقَايَةِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى كِتَابِ الرُّكَوَةِ تَرَكَ الدِّرَاسَةَ، فَمَسَّ الْأَسْتَاذَ لِمَاذَا تَرَكْتَ الدِّرَاسَةَ؟ فَقَالَ: الْمَقْصُودُ مِنْ

الْعِلْمَ الْعَمَلُ، وَالصُّومُ وَالصَّلَاةُ قَرْضَانِ، فَعِلْمُهُمَا قَرْضٌ، وَعِنْدَمَا تُقْرَضُ
الرُّكَاةُ اتَّعَلَّمْ مَسَائِلَهَا. سُبْحَانَ اللَّهِ! كَمَا أَنَّ السُّلُفَ يَعْمَلُونَ بِكُلِّ مَا
يَتَعَلَّمُونَ.

قَالَ شَخْصٌ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ عَزَّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ: قَبْلَ يَدَيِ
السُّلْطَانِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرْضَى أَنْ يُقْبَلَ السُّلْطَانُ يَدَيَّ، فَضْلاً عَنْ أَنْ
أَقْبَلَ أَنَا يَدَهُ.

قَدَّمَ إِلَى الْوَيْزَرِ مَظْهَرَ جَانِ جَانَانَ سُلْطَانَ الْوَقْتِ عِفَّاراً كَبِيراً فَقَالَ:
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ عَنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا: ﴿مَنْعَ أَفْدَانِيَّ قَبِيلٌ﴾ (النساء: ٧٧) وَأَعْطَيْتِ
شَيْئاً قَلِيلاً مِنْ عِذَا الْقَلِيلِ، ثُمَّ تَعْطِينِي قَلِيلاً جِداً مِنْ هَذَا الْقَلِيلِ فَأَنَا
أَسْتَحْيِي مِنْ قَبُولِ مِثْلِ هَذَا.

جَلَسَ شَيْخٌ فَدَامَ أَمِيرٌ بِأَمِطاً رَجُلَيْهِ. قَالَ الْأَمِيرُ: أَعْطُوا لَهُ هَمِياناً
مَلِيئاً بِالْمَنَانِيرِ. فَقَالَ: مَنْ يَسْطُ رَجُلَيْهِ يَقْبِضُ يَدَيْهِ.

بُنِيَ عِنْدَ اسْتِخْدَامِ الطَّيِّبِ (رِضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى)، فَقَدْ قِيلَ: مَنْ تَطَيَّبَ
لِلَّهِ فَلَهُ أَجْرٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ الْبَرُّ أَكْفَرُوا إِذَا مَسَّهُمْ كَلْبٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٠١). فِيهِ سِلْوَانٌ عَظِيمٌ لِلسَّالِكِينَ.

نَادَى بَانِعُ الْقِشَاءِ: الْخِيَارُ الْعَشْرَةُ بِدَانِي، فَصَرَخَ الشَّيْخُ الشَّيْلِي
وَقَالَ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ قِيَمَةُ عَشْرَةِ خِيَارَاتٍ فَمَا ثَمَنُنَا فَعِنِ الْأَشْرَارُ.

قَالَ الشَّيْخُ جُنَيْدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ الْأَخْوَالِ وَالْمَوَاجِيهِ: بَلَدُ
خَيَالَاتٍ تَرْبَى بِهَا أَطْفَالُ الصُّرُفَةِ.

صَدَرَ عَنْ لِسَانِ صَحَابِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَثَبَّتْ، فَقَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نَذاً، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَدَهُ».

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ الْكُفْرُ كَانَ يُدْمِنُ﴾ (الحجر: ٩١).

في الجزء الأول ذَكَرَ جُفَاءَ الْكِتَابِ، وفي الجزء الثاني أَمَرَ الْقِرَاءَةَ بِالْفَهْمِ. فَمِنْ الْخَطَا أَنْ يُقَالَ إِنَّ الْقِرَاءَةَ بِدُونِ الْفَهْمِ غَيْرُ مُفِيدٍ.

يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْهَلَ لِلْعَبْدِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِصَحْصَحِكُمْ الْيُسْرَ﴾ [البقرة : ١٨٥].

تَوْجِيهُ عَجِيبٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الحجرات : ١٦] أَيْ لَا تَحْسَبُوا عِبَادَتَكُمْ كَامِلَةً حَتَّى تَفْتَحِرُوا وَلَا نَاقِصَةً جَدًّا حَتَّى تَطْنُوها مُهْمَلَةً.

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَدَمُ اِطْلَاعِ الْعَبْدِ بِمَا سَيَأْتِي عَدَاً. قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ أَقْبَعَ الْحَقُّ أَفْوَاهَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون : ٤٧].

ابْنُ تَيْمِيَّةٍ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ التَّوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِوَجْدٍ بِسِنَاعِ بَيْتٍ، فَسَأَلَ النَّاسَ جَنِيحاً : لِمَاذَا لَا يُخَذُّ لَكَ أَحْوَالٌ؟ فَقَالَ : ﴿وَقَرَى الْقُرْآنَ فَفَسَّاهُ جَانِحاً﴾ [النمل : ٢٨٨].

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَكَانَتْ أَنْهَارٌ يَنْفِرُونَ﴾ [الرعد : ٢١٧]. يُوجَدُ فِيهِ مِثَالٌ لِلْسَّلَابِلِ الْأَزْبِيعِ.

يَكْفِي فِي الْمَهَنَاتِ التَّشَاوُرُ بِوَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ. قَالَ تَعَالَى : ﴿أَنْ تَقُومُوا فَوْقَهُنَّ وَأَنْتُمْ تُنْفَعُونَ﴾ [النمل : ١٦].

يَزُولُ الْفَخْرُ بِالْعِلْمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا نَنْذِرْهُنَّ بِآيَاتِنَا إِلَيْنَك﴾ [الإسراء : ٨٦]. كَيْفَ يَفْخَرُ بِالْعِلْمِ أَوْ الْعَمَلِ مَنْ يُذَرِّكُ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ؟

يُسْتَدَلُّ عَلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْجَرِيدَةِ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَقَفَّدُ أَصْحَابَهُ.

إِذَا خَضِرَ الْقَشَاءُ وَالْعِشَاءُ فَابْدَأُوا بِالْعَشَاءِ.

بِجَوْرِ كَسْبِ الدُّنْيَا وَالْمَنْهِي حُبِّ الدُّنْيَا. بَلْ مِنْ كَمَالِ الرُّحْمَةِ أَنَّهُ

نَهَى عَنْ جَعْلِ الدُّنْيَا أَحَبَّ حَيْثُ قَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدُّنْيَا فليُؤْتِكُمْ وَهِيَ مَكْنُونَةٌ﴾
 (الأنبياء: ١٥٤).

يُجَاوِزُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّرَاطَ فَيَقُولُ جَهَنَّمُ: يَا مُؤْمِنُ أَسْرِعْ فَإِنَّ نُورَكَ
 أَضْفَأُ نَارِي.

إِذَا رَأَى أَهْلَ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجُورَ الْفُقَرَاءِ يَقُولُونَ: «يَا لَيْتَ
 جُلُودُنَا قُرِصَتْ بِالْمَقَارِضِ فُعْطِيَ مِثْلُ مَا أُعْطُوا».

لَوْ يَأْتِي يَوْمًا تَدَاءُ: إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَيَأْتِي غَدًا تَدَاءُ: إِنَّكَ مِنْ
 أَهْلِ النَّارِ، يَجِبُ أَنْ لَا يَفْغَ أَيُّ تَفَاوُتٍ فِي الْعِبَادَاتِ.

الضَّبْرُ عَلَى كَلَامِ الْجُهَالِ زَكَاةُ الْعَقْلِ.

عَدُوٌّ مَنْ يَمْرُضُ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ أَكْثَرُ مِنْ عَدُوٍّ مَنْ يَمْرُضُ جُوعًا وَفَاقَةً.
 مَنْ يَغْمَلُ بِالصَّدَقِ يَقَعُ كُلُّ قَدَمٍ مِنْهُ عَلَى صَدْرِ الشَّيْطَانِ.

الْعَجَبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْطُرُ يَدَهُ أَمَامَ الدُّنْيَا وَيَشْكُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
 يَقْدِرُ قُوَّةَ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ عِنْدَمَا يُحَاوِلُ تَرْكَهَا.

ثَنَالُ الْجَنَّةِ بِنَصْفِ مَا يَشْتَرِي بِهِ النَّاسُ جَهَنَّمَ.
 يَجِبُ الْمَعْدَرَةُ لِلَاغْتِرَالِ مِنْ أَحَدٍ. وَلَا تُنَسَّوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.

تَمَرَاهُ الْمُخَاطَبِ لَيْسَ بِغَدْرِ لِفَرْكِ التَّوْبِ يَدُنْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
 ﴿أَنْتَصِرُ بِكُمْ إِلَى الْأَرْضِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ثُمَّ أَخْلُفُكُمْ﴾ (الزحرف: ٢٥).

الْإِنَّمَا مَا خَاكَ فِي صَدْرِكَ.

حَقِيقَةُ مَكَّةَ تَجَلِي الْأُلُوهِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ الْمَدِينَةِ تَجَلِي الْعَبْدِيَّةِ، وَحَقِيقَةُ
 عَرَفَاتٍ أَهَمِّيَّةُ الْحَضَرِ.

لَا تُؤْمِرُكَ إِلَّا الْإِلَهُ، وَلَا تَنْهَىكَ إِلَّا الْإِلَهُ، وَلَا تَخْشَى إِلَّا اللَّهَ، خُفِّفْ أَلَمَ

الْمُؤْمِنِ فِي جَهَنَّمَ.

المشورات :

تَجْتَمِعُ فِي الْحَقِيقَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ الْحُرُ وَالْجُمُورُ وَالشُّرَبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَمَلٌ وَاجِبٌ مُعَرَّضٌ فِي وَقْتٍ وَمُبَاحٌ فِي وَقْتٍ آخَرَ .
فَالنَّظَرُ إِلَى الْمَقَادِيرِ قَبْلَ التَّكْلِيفِ حَرَامٌ ، وَيَعَدُّ التَّكْلَافُ قُرْبَةً لِأَنَّهُا أَصْبَحَتْ رُوحَةً .
النَّفْيُ عَنْ إِسْبَالِ الْإِزَارِ أَشَدُّ تَأْكِيداً مِنَ الْأَمْرِ بِإِرْخَاءِ اللَّحْيَةِ .

مِثَالُ عَدَمِ التَّأْثِيرِ بِاللِّسَانِ كَرَجُلٍ مِنَ الْعَوَامِّ يَأْمُرُ الشَّرْطِيَّ بِالْعَزْلِ لَوْ
أَمَرَهُ مَائَةٌ مَرَّةً لَا يُقِيدُ ، بَلْ يُعَاقِبُهُ الشَّرْطِيَّ . وَلَوْ أَمَرَهُ الْوَزِيرُ مَرَّةً يَنْعَزِلُ ،
فَانْتَهَوْا عَنِ اللَّهِ مَقَاماً ثُمَّ مَا يَخْرُجُ مِنَ اللِّسَانِ كَانَ مَوْثِقاً .

ضَرَبَ الشَّاهُ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثِينَ الْأَرْبَعِ مِثَالاً أَرْبَعَةَ
أَنْهَارٍ هَكَذَا :

تَهْزُ الْمَاءُ نِسْبَةً سَهَرُورِدِيَّةً .

وَتَهْزُ اللَّبَنُ نِسْبَةً نَقْشَبِنْدِيَّةً .

وَتَهْزُ الْخَمْرُ نِسْبَةً جَشْنِيَّةً .

وَتَهْزُ الْغَسَلُ نِسْبَةً قَادِرِيَّةً .

الْعُمْدَةُ فِي الطَّبِّ الْجِسْمَانِيِّ الْمَعْدَةُ وَفِي الطَّبِّ الرُّوحَانِيِّ الدِّمَاغُ .

أَنْ تَدْرُسَ الْإِنْكِلِيزِيَّةَ وَتَتَدَبَّرَ حَيْثُ مِنْ أَنْ تُدْرُسَ الْعَرَبِيَّةَ وَتَلْحَذَ .

حَقِيقَةُ الصَّبْرِ أَنْ تَحْمَلَ الْمَصِيبَةَ الصَّغِيرَةَ لِلرَّاحَةِ الْكَبِيرَةِ بِسَيْرٍ .

السَّرِيعَةُ تَحْرِيطُ الْإِنْسَانَ لِلْأَغْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ ، وَالطَّرِيقَةُ تَعْرِيطُ
الْأَغْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ لِلْإِنْسَانِ .

مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فِي حَبَابِهِ يَكُونُ حَامِلَ الذِّكْرِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَمَنْ حَازَلَ
إِحْفَاءَ نَفْسِهِ يَكُونُ مَعْرُوفاً بَعْدَ وَفَاتِهِ .

الطُّلُوهُ الْمُتَخَلِّلُ فِي مُدَّةِ الْخَيْضِ خَيْضٌ، كَذَلِكَ صِدْقُ الْكَذَّابِ يُعْتَبَرُ كَذِبًا.

مِنْ الْمَجْزِبِ أَنَّ الطُّفْلَ الَّذِي يُحْفَظُ سُورَةُ يُوسُفَ أَوَّلًا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ سَرِيعًا.

أَثَرُ دُعَاءِ الْمُرْشِدِ قَوِيٌّ جَدًّا. آمَنَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَلَكِنَّهُ أَكْثَرَ الصُّحَابَةِ بِرَوَايَةِ لِقْوَةِ سِجْفُطِهِ بِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ. فَضَاءُ الشُّهُورِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ، كَذَلِكَ الْغَضَبُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ حَرَامٌ.

لَقَّيْنَا الشَّيْخَ أَبَا سَعِيدٍ أَبَا الْخَيْرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَذُّوْهُ لَهُ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، فَقَالَ الْعَدُوُّ: وَالْقُدْرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَقَالَ الشَّيْخُ: أَجِيبْ أَنْ أَنْظَرَ أَنْ آتِي وَجْهَ أَصَابَةِ سَوَادٍ؟

مَاذَا يَكُونُ بِرَوَايَةِ كَلَامِ الْأَكَابِرِ فَقَطُّ؟ انْظُرْ كَيْفَ يَنْطَلِقُ الْبَهَائَاءُ مِثْلَ الْإِنْسَانِ تَمَامًا هُوَ يُصَيِّحُ إِنْسَانًا؟ كَلَّا.

الصَّبْرُ الْحَقِيقِيُّ أَنْ يَعُدَّ إِصَابَةُ الْبَلَاءِ كَانْتِهَائِهِ.

الْعَاقِلُ مَنْ يَقُولُ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ إِصَابَةِ الْبَلَاءِ مَا يَفْعَلُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.

لَوْ تَجَمَّلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ مُضْغَةً وَتَضَعُونَهُ فِي فَمِ الضَّيِّفِ لَا يَزْدَى حَقُّ الضَّيِّفَةِ.

اتَّقِعُوا بِوَضَّاحِ الصَّدْقِ مِمَّا رَأَيْتُمُوهُ مُضْمِنًا وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى حَامِلِهِ.

وَلَا ذِكْرَ كُلِّ مَوْلُودٍ قَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْأَسْ مِنَ الْعِبَادِ.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُلْفَعُوا مُسْلِمًا فَلَا تَضْرِبُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُسَيِّزُوا فَلَا تُخَيِّرُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمُوا عَلَيْهِ خَيْرًا فَلَا تُغَابُوهُ.

لَيْسَ مِنْ مُسْلِمَاتِ الْهَلَسَةِ فَقَطْ ، بَلْ مِنْ مُسْلِمَاتِ الْأَخْلَاقِيَّاتِ
أَيْضاً . إِنَّ الْخَطَّ الْمُسْتَقِيمَ أَقْلُ الْخُطُوطِ مَسَافَةً .

خَطًّا لَمُتَحَةً خِلَالَ مُدَّةِ مِائَةِ سَنَةٍ يُحَوِّلُ جِهَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى
الْمَغْرِبِ .

لَا تُخَجِّبُوا الْوُجْهَ بَعْدَ الْخَطِّ بِإِزَارٍ حِيلَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ الْإِزَارُ أَكْثَرُ وَتَسْخَا
مِنَ الْوُجْهِ .

لَا تَتَّخِذُوا اللَّحِيمَ صَدِيقًا . فَإِنَّ الْفَحْمَ الْحَارَّ يُحْرِقُ الْيَدَ ، وَالْفَحْمَ
الْبَارِدَ يَسْوَدُّ الْوُجْهَ .

عِنْدَمَا يَشْبَعُ الْبَطْنُ تُصَابُ جَمِيعُ الْأَعْضَاءِ بِجُوعِ الشَّهْوَةِ .
الذِّبَابُ أَخْرَضَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْعَنْتَكُبُوتُ أَقْنَعَهَا ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى
الذِّبَابَ عَلَمًا لِلْعَنْتَكُبُوتِ .

لَوْ كَانَتْ وَسَاوِسُ الْإِنْسَانِ حُجَّةً شَرْعِيَّةً لَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الزُّمَامِ
مُتَبَاغِبًا .

اِنْتَفِظْ مُطَاهِرٌ مَا لَمْ يُرْفَعْ .
وَعَفَّ عَمْدُ اللَّهِ بِنِ الْمُبَارِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْ اِثْرَكُوا نَظَرَ سَوْءٍ تَوَفَّقُوا
خُشُوعًا وَاتْرَكُوا الْفَحْشَى تَعَطُّوا حِكْمَةً .
قَالَ شَيْخٌ لَشَابٍ وَكَانَ يَفْحَشُ فِي كَلَامِهِ : اِنْفِظْ إِلَهِي مَا نَرَسَلُ بِهِ
رِسَالَةَ إِلَهِي تَعَالَى ؟

لَوْ كَانِ الْكِبَرُ عَلَمًا لَكَانَ فِيهِ مُتَعَزِّجُونَ .
رِضَاكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَامَةٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَاضٍ عَنْكَ .
الَّذِي يَسْتَفِيدُ وَيَشْكُرُ لَهُ يُوَدِّي أَوَّلَ جُزْءٍ مِنَ الدِّينِ .
اِنْفِشُوا مَتَوَاضِعِينَ وَإِلَّا تَزَلُّوا وَتَسْقُطُوا .

الْمَكْرُ كِبَاطَانِيَّةٌ صَغِيرَةٌ إِنْ تُدْعَلُوا بِهَا الرَّأْسُ تَنْكَشِفُ الْقَدَمُ.

دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ: رَبِّ كَفِّ عَنِّي لِسَانَ الْخَلْقِ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ فَأَعْلَهُ فَعَلْتَهُ لِنَفْسِي.

﴿كُلُوا وَاقْرَأُوا﴾ (البقرة: ٦٠) حق. ولكن «كُلُوا نَاكُلُوا» (معناه: كُلُوا إِلَى الْخُلُجَّةِ) باطل.

لَوْ لَمْ تَكُنْ حَاجَةً الْبَطْنِ لَمْ يَقْعَ حَيَوَانٌ فِي الشَّيْخَةِ.

شَجَرُهُ صَدْلٌ تَطْيِبُ نَضْلُ فَأَسِي يَقْطَعُهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْمَجْدُودُ: لَمْ تَبْقَ أَمْنِيَّةٌ سِوَى اتِّبَاعِ الشُّيْخِ.

الْبَرَكَةُ فِي هَدِيَّةٍ وَصَلَتْ بِدَوْنِ إِشْرَافِ الثُّنَى.

لِبَلْبَاسٍ ثَلَاثُ ذَوَاجِبٍ: الْأُولَى لِبَاسٌ رَاحِيٌّ وَهُوَ وَاجِبٌ، وَالثَّانِيَّةُ

لِبَاسٌ زِينَةٌ وَهُوَ جَائِزٌ، وَالثَّالِثَةُ لِبَاسٌ دِيَارٌ وَهُوَ مَمْنُوعٌ.

مَعَادَةُ عَظِيمَةٌ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَوْخِداً وَمَوْدِياً أَوْ يَكُونَ مَوْذِياً

وَمَوْخِداً.

الشَّاهُ شُجَاعٌ الذِّينَ الْكَرْمَانِي أَحْيَا اللَّيَالِي أَرْبَعِينَ غَاماً. نَامَ بَوْمًا

فَرَأَى اللَّهَ تَعَالَى فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَلْتَمَسْتُكَ فِي الْبَقْلَةِ وَلَكِنْ

وَجَدْتُكَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: بِبَرَكَةِ يَفْظُرِكَ وَجَدْتَنِي فِي مَنَامِكَ.

لَوْ وَضَعْتَ بَيْضَ الْإِوَرِّ تَحْتَ الدَّجَاجِ يُنْسِبُ الْفَرْخُ إِلَى الدَّجَاجِ

وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ. كَذَلِكَ الْمُرِيدُ يَتَقَدَّمُ مَا يَتَقَدَّمُ وَلَكِنَّهُ وَلَدٌ رَوْحَانِي

لَشَيْخِهِ.

يَجُوزُ الْعِقَابُ عَلَى الْخَطَا كَمَا أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ بِالْجَمَاعِ فِي الْحَبِصِ.

حَقِيقَةُ التَّوَسُّلِ أَنْ يَقُولَ الْغَيْدُ: اللَّهُمَّ إِنْ فَلَانًا مَقْبُولٌ عِنْدَكَ وَأَنَا

أَحْيَاهُ فَأَرْحَمْنِي بِبَرَكَةِ هَذَا الْحَبِصِ فِي اللَّهِ.

إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعِ الْعَمَلَ بِالْأَفْضَلِ فَلَا تَحْسُنِ الْعَمَلَ بِالسَّابِقِ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعِ أَنْ تَقُومَ لِلتَّهَنُّدِ فَصَلِّ قَبْلَ النَّوْمِ .

يَا صَدِيقِي إِنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى بَيْتِكَ الْحَقِيقِيِّ وَلَكِنْ بِيْطَرٍ ، الْحَيَوَانُ أَبْضًا يُسْرِعُ إِلَى الْبَيْتِ الْأَصْلِيِّ .

وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ كَيْسَلِكَ الْكَهْرِبَاءَ خُذْهُ لِلتَّقْرِيبِ أَوْ لِلتَّبْعِيَّةِ يَمْسِكُكَ .

حُبُّ الزَّوْجَةِ إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَبًا لِلْعُقْلَةِ عَنِ الدِّينِ فَمَحْمُودٌ بَلْ هُوَ مَقْذُوبٌ .

أَرَضَى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيْفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ : لَوْ نَادَاكَ أَحَدٌ مِنْ وَرَائِكَ فَلَا تُجِبْهُ . مِنَ الْوَرَاءِ تُنَادِي الْحَيَوَانَاتُ .

اسْتَنْتَابَ الشَّيْخُ عليه السلام امْرَأَةً مِنَ الثُّوَجِ فَقَالَتْ : يَبْقَى عَلَيَّ ذَيْنِ نَوْحَةٍ ، سَأُتَوَّبُ بَعْدَ آدَاءِ الدِّينِ . فَقَالَ : نَعَمْ فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ مِنَ الطَّرِيقِ ، هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ .

لَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ يُؤْذِي غَيْرَكَ . هَذَا يُضْفُفُ السُّلُوكَ .

سَأَلَ الْمُرِيدُونَ الْمُنْصُورَ الْحَلَّاجَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّبَ مَا الْفَرَقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ يَرْمُونَكَ بِالْعِجْجَارَةِ ؟ فَقَالَ الْمُنْصُورُ : لَكُمْ أَجْرٌ وَلَهُمْ أَجْرَانِ أَنْتُمْ تُخَسِّنُونَ فِي الظَّنِّ وَهُمْ يُرَاعُونَ الشَّرِيعَةَ ، وَحُسْنُ الظَّنِّ فَرْعٌ وَالشَّرِيعَةُ أَصْلٌ .

حُبُّ الشَّيْخِ لَيْسَ دَاخِلًا فِي حُبِّ غَيْرِ اللَّهِ .

رَأَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَمَرَ فَقَالَ : هَذَا رَبِّي . هَذَا فِي الظَّاهِرِ شَرِكٌ ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ إِبْطَالُ الشَّرِكِ .

قَالَ الْإِمَامُ بَاقِرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : مَوْتُ الْقَلْبِ بَلْغًا مِنَ الشُّهُوتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْأَحْيَاءُ بِهِمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِتَدْبِيرِ .

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ النِّعْمَةَ تُسَلِّبْ مِنْهُ النِّعْمَةَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

إِنْ وَجَدْتَ الْعَجَبَ بِالْعِظَةِ فَعِظْ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنَ الْمَكْتُوبِ حَتَّى يَقُولَ
النَّاسُ : هَذَا عَاجِزٌ يَخْطُبُ مِنَ الْمَكْتُوبِ .

الْجَفْدُ أَنْ يَكْتُمَ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ سُوءًا لغيره بِاخْتِيَارِهِ وَيَدْبُرُ لِإِيذَانِهِ
وَأَنْ أَصَابَكَ عَنْ أَحَدٍ سَيِّئَةٌ حَتَّى لَا تَحِبَّ لِفَاعِهِ فَهَذَا انْقِبَاضٌ . وَعِلَاجُهُ أَنْ
يَدْعُو لَهُ فِي غَيْبَتِهِ :

النَّظَرُ عَلَى قَلَةِ مَالِ الدُّنْيَا عِلَامَةٌ حُبِّ الدُّنْيَا .

مِثَالُ الْمُتَبَاهِيَيْنِ فِي الثَّمَالِ كَحَامِلِي نَجَاسَةٍ يَتَبَاهَوْنَ فِي سَلْتِي نَجَاسَتِهِ .

عِنْدَمَا كَانَ أَحَدٌ يَشْكُو الْفَاقَةَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَدْهَمِ قَالَ : لَا
تَقْرِفُونَ قِيَمَةَ الْفَاقَةِ . سَلُّوْنَا عَنْهَا . اشْتَرَيْتَاهَا بِدَوْلَةٍ .

طَرِيقُ تَخْفِيفِ حُبِّ الْمَرْأَةِ لِلْجَلِيَّةِ وَالْمَلَائِسِ أَنْ تَلْبَسَ فِي الْبَيْتِ
مَلَائِسَ طَنِيَّةٍ . وَعِنْدَمَا تَذْهَبُ إِلَى بَيْتٍ آخَرَ تَلْبَسُ ثِيَابًا بِذِلَّةٍ .

أَلْهِمِ ابْنَ عَطَاءَ الْإِسْكَانْدَرِيَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنِّي رَزَاقٌ حَتَّى لَوْ تَدْعُو
أَنْ لَا أَرْزُقَكَ لَأَرْزُقَكَ ، فَعِنْدَمَا تَسْأَلُنِي لِلزُّزْقِ بِأَكْيَا فَكَيْفَ لَا أُعْطِيكَ .

ضَافَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ فَعَمِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ أَوَّلًا
وَيَدَا الْأَكْلَ حَتَّى يَأْتِيَ الضَّعِيفُ .

الْقَارِئُ بَيْنَ مَاءِ الثَّوَرِ وَمَاءِ الْعَيْنِ الْحُبِّ وَالْخَمَاسِ .

يَسَازِنَا الشَّرْقِيَّاتُ عَامَةً عَائِشَاتُ الْأَزْوَاجِ وَقَاصِرَاتُ الطَّرْفِ . النِّسَاءُ
تَحْتَ الرُّجَالِ طَبْعًا ، وَالرُّجُلُ تَحْتَ الْمَرْأَةِ حُبًّا .

إِنْ كَانَ الشَّيْخُ مِرَاجَ السَّحَرِ فَالشَّابُّ مِرَاجَ الْمَسَاءِ .

الْهَدَفُ مِنْ تَرْجِيحِ حُقُوقِ الْعِبَادِ عَلَى حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى تَعْلِيمٌ

الْإِيثَارُ .

مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَهْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أُسْرَهُمَا. وَفِيهِ إِظْهَارُ كَمَالِ
الْعَجْزِ وَإِظْهَارُ كَمَالِ الْعِبَادَةِ.

اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ الشَّيْخَ الْحَاجَّ أَهْدَادَ اللَّهِ الْمُهَاجِرَ الْمَكِّيَّ لِلْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ
الْمُكْرَمَةِ فَقَالَ: إِنْ تَسْكُنَ بِالْهِنْدِ وَقَلْبُكَ مَغْلُوقٌ بِمَكَّةَ خَيْرٌ وَأَسْسَنُ مِنْ أَنْ
تَسْكُنَ بِمَكَّةَ وَقَلْبُكَ مَغْلُوقٌ بِالْهِنْدِ.

يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمَعَ الشُّجَاعَةُ وَالنَّدِيرُ، الْأَسَدُ مَا أُشْجَعَهُ وَلِكَيْلَ يَصِيدُ
مُخْتَفِياً.

الْعَوَامُ تَزْعُمُ الشَّرْكَ ثَوْسَلاً وَالْعُلَمَاءُ (الْمُتَشَدِّدُونَ) يَزْعُمُونَ الثَّوْسَ لَ
شِرْكَاً.

الْحَرَمُ كَالرَّجَمِ يَكْبُرُ الْوَلَدُ فَيَزِدَاذِ الرَّجَمِ كَذَلِكَ يَتَسَّعُ الْحَرَمُ عِنْدَ
ازْدِيَادِ الْخُجَّاجِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي وَإِنْ غَضَيْتُكَ لَكِنْ لَا أَفْطُ مِنْ رَحْمَتِكَ. دَفَعَنِي إِلَيْكَ
خِيَانَةُ الدُّنْيَا، وَتَبَتَّنِي عَلَيَّ بِطُغْيِكَ وَكَرَمِكَ عَلَى بَابِكَ.

اللَّهُمَّ لِمَ تَقْلِلُ كَرَمَكَ فَكَيْفَ يُرْجَى غَيْرُكَ؟ وَلِمَ تَغَيِّرُ عَادَتَكَ فَكَيْفَ
يُسْأَلُ غَيْرُكَ؟

اللَّهُمَّ مَنْ وَجَدَكَ فَمَاذَا لَمْ يَجِدْ؟ وَمَنْ لَمْ يَجِدْكَ فَمَاذَا وَجَدَ؟

اللَّهُمَّ وَتَقْتَنِي جِبَالُ شَهْوَةِ نَفْسِي الْقَوِيَّةِ، فَكُنْ مُعِينِي وَالْمُضَرَّنِي
وَالْمُضَرَّ مِنْ تَجْعِي.

اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الشُّكِّ وَالشَّرْكِ وَالتَّفَاقِي قَبْلَ تَوَلِّي فِي الْقَبْرِ.
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى هَوَى النَّفْسِ وَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَذَاقْ عَلَى طَاعَتِكَ وَلَكِنْ لَمْ تَخْرِجْ حَبَّ
الطَّاعَةِ مِنْ قَلْبِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي عَمِلْتُ طَاعَاتٍ كَثِيرَةً، وَأَتَقَنْتُ أَعْمَالاً كَثِيرَةً. وَلَكِنْ عَدَلْتُ قَضَى عَلَى اعْتِمَادِي بِهَا، لَا بَلْ صَرَفَنِي فَضْلُكَ عَنِ الثَّقَةِ بِهَا.

اللَّهُمَّ مَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ سَيِّئَاتٍ، فَكَيْفَ لَا تُكُونُ سَيِّئَاتُهُ سَيِّئَاتٍ. وَمَنْ كَانَتْ عُلُومُهُ وَمَعَارِفُهُ دَعَاوِي صَرَفَةً، فَكَيْفَ لَا تُكُونُ دَعَاوَاهُ دَعَاوِي مَحْضَةً.

اللَّهُمَّ كُلَّمَا خَرَسَ سَوْنِي لِسَانِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ، وَكُلَّمَا أَقْنَطَنِي أَعْمَالِي أَرْجَأَنِي إِحْسَانُكَ.

اللَّهُمَّ كَمْ تَرَأَفَ بِي مَعَ عَدَمِ تَفَكُّرِي لِلْعَاقِبَةِ، وَكَمْ تَرَحَّمَنِي مَعَ قُبْحِ أَعْمَالِي.

اللَّهُمَّ إِذَا لَمْ يُخَفَ عَلَيْكَ حَالِي، فَكَيْفَ أَسْكُوكَ؟ اللَّهُمَّ إِذَا كُنْتُ وَكَيْلِي فَلَا تُكَلِّمَنِي إِلَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ. وَإِذَا كُنْتُ نَاصِرِي فَلَا تُخْزِنِي، وَإِذَا كُنْتُ بِي رَحِيماً فَفَنِي خُسْرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَكْرَمْتَنِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي، فَهَلْ تَخْزِينِي مِنْ كَرَمِكَ بَعْدَ ظُهُورِ ضَعْفِي؟

اللَّهُمَّ مَنِي مَا يَلِيقُ لَوْحِي، وَمَنْكَ مَا يَلِيقُ كَرَمِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي مُخْتَاجٌ فَخِيرٌ إِلَيْكَ عِنْدَ غِنَائِي، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ مُخْتَاجاً عِنْدَ فَقْرِي؟

مَنْ لَمْ يُقَدِّرِ اللُّعْمَ حِينَ وُجُودِهَا فَسَيَقْدُرُهَا بَعْدَ فَقْدِهَا.

مَنْ لَمْ يُقْبِلْ إِلَى اللَّهِ بِإِحْسَانِهِ فَسَيُؤْتِي بِهِ إِلَيْهِ مَرْثَقاً بِسَلَاسِلِ الْبَلَاءِ.

كُلُّ كَلَامٍ يَضُدُّ مِنْ أَيِّ مُتَكَلِّمٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لِبَاسٌ نُورَانِيٌّ أَوْ مُظْلِمٌ مِنْ جَانِبٍ مَنْ ضَدَّرَ مِنْهُ.

عَدَمُ الثَّائِبِ عَلَى قُتْدَانِ الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ التَّقَدُّمِ إِلَى الطَّاعَةِ عِلَامَةٌ
الْوُقُوعِ فِي الْخَلْبِيعَةِ .

إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُعْرِفَ مَا مَنْزِلَتُكَ عِنْدَهُ ، فَانْظُرْ فِي أَيْ شَيْءٍ
شَغَلَتْكَ ؟

مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةَ عَمَلِهِ لَذَّةً وَحَلَاوَةً فِي الدُّنْيَا فَهُوَ عِلَامَةٌ قَبُولِهِ فِي
الْآخِرَةِ .

مَنْ كَانَ بِدَايَةِ سُلُوكِهِ مَنْوَرًا بِالتَّزَامِ الْأَوْزَادِ ، فَتَبَيَّنَ انْتِهَاءُ سُلُوكِهِ
مُضِيًّا بِالْأَثْوَارِ وَالْمَعَارِفِ .

مَنْ رَأَيْتَهُ مُجِيبًا عَنْ كُلِّ سَوَالٍ وَمُبْدِيًا لِكُلِّ مُشَاهِدٍ وَمُبِينًا لِكُلِّ عِلْمٍ
فَاعْرِفْ أَنَّهُ جَاهِلٌ .

الْعَارِفُ مَنْ لَا يَزَالُ اضْطَرَّاهُ ، وَمَنْ لَا يَطْمَئِنُّ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .
رَفَعَ بَصْرَكَ إِلَى بَقَاءِ الْغَيْرِ وَنَوَحَتْكَ عِنْدَ قُتْدَرِ مَا سِوَاهُ ، ذَلِيلٌ عَلَى
عَدَمِ وَضُوحِكَ إِلَيْهِ .

أَنْتَ تَابِعٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ مَا لَمْ تُشَاهِدِ الْخَالِقَ فِيهِ ، وَإِذَا شَاهَدْتَهُ
فَالْمَخْلُوقَاتُ تَابِعَةٌ لَكَ .

عَجِيبٌ شَدِيدٌ أَنْكَ تَفْرُجُ مِمَّنْ لَا تَغِيبُ عَنْهُ وَتَطْلُبُ مَا لَا تَصَاحِبُهُ :
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعَسَى أَلُتْسَرُ وَلَكِنَّ تَعَسَى الْقُلُوبُ أَلَّتْ فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ الْبُتْ فِي رَأْيِكَ
وَالْبُتْ فِي عَجْزِكَ يَنْصُرُكَ بِقُدْرَتِهِ ، وَالْبُتْ فِي ضَعْفِكَ يُسَاعِدُكَ بِقُوَّتِهِ .
خَرَمَ عَلَيْكَ دَعْوَى شَيْءٍ هُوَ لَغَيْرِكَ وَلَيْسَ لَكَ ، فَهَلْ أَبَاحَ لَكَ
دَعْوَى كُنَالَتِكَ لَكَ وَاللَّهُ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِ .

افْرِغْ قَلْبَكَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَمْلَأَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ .

قَدْ يُعْطَى لَكَ فِي لَيْلَةِ الْفَيْضِ الْمُطْلِمَةِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مَا لَا تَجِدُهُ فِي نَهَارِ الْبَسْطِ الْمُضِيِّ.

بِدَايَةُ السَّالِكِ مَرَأةُ نَهَائِهِ وَمَنْظَرُهُ، فَمَنْ كَانَتْ بَدَايَتُهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ نَهَائَتُهُ إِلَيْهِ.

مَنْ بَوْرِكَ فِي عُمْرِهِ يَجِدُ فِي رَمَنْ قَلِيلٍ مِنَ الْأَطَافِ لِلَّهِ وَإِحْسَانِهِ مَا لَا يُحِيطُهُ الْعِبَارَةُ وَالْبَيَانُ وَلَا تَبْلُغُهَا الْإِشَارَةُ.

السُّتْرُ نَوْعَانِ: سِتْرٌ مِنْ صُدُورِ ذَنْبٍ، وَسِتْرٌ لِلذَّنْبِ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَ صُدُورِهِ.

الْعُلُومُ وَالْحَقَائِقُ مَجْمَعَةٌ وَثَقَتِ الشَّجَلِيُّ وَالْتَفَصِيلُ بَعْدَ الْجَفِظِ وَالْوَضْعِ. ﴿لَا تُهْرِكْ يَدَهُ إِسْأَلَهُ لِيَتَمَلَّ يَدَهُ﴾ [الغاية: ١٦].

وَرُودُ الْمُنْصَرَةِ الْإِلَهِيَةِ بِقَدْرِ الْكَفَاءَةِ وَالْقَبُولِ، وَضَوْءُ الْأَنْوَارِ بِقَدْرِ ضَفَاءِ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةِ.

الْوَرْدُ يُطْلَبُهُ مِنْكَ مَوْلَاكَ، وَالْوَارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ مِنْهُ فَإِيَّ نَسِيهِ بَيْنَ مَطْلُوبِكَ وَمَطْلُوبِهِ.

اتَّقِ إِحْسَانَ الْقَوْلَى وَعِضْيَانِكَ لَا تَذَرِي لَعْنَهُ اسْتِذْجَاجَ لَكَ مِنْهُ، وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّطْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨٢].

لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ مَنْ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا تَوَاضَعَ يَطْلُبُهُ أَعْلَى وَأَوَّلَى، بَلِ التَّوَاضَعُ مَنْ إِذَا تَوَاضَعَ يَطْلُبُهُ أَدْوَنُ وَأَخْسَرُ.

مَا نِيَّاسٌ مِنْهُ أَنْتَ مِنْهُ حُرٌّ، وَمَا تُطْعِمُهُ أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ.

صَاحِبُكَ حَقِيقَةٌ مَنْ يُصَاحِبُكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ عُيُوبِكَ وَلَيْسَ إِلَهًا سِوَى مَوْلَاكَ الْكَرِيمِ.

قَدْ تَكُونُ عَاصِيًا وَيُزِيكُ صُغْبَةً مَنْ هُوَ أَغْصَى مِنْكَ صَالِحًا.

لَا تُجَالِسُ مَنْ لَا يَحْكُمُ خَالَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَهْدِيكَ كَلَامُهُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ فَلَا تَغْفُلْ عَنْ مَوْلَاكَ الَّذِي
نَاصِيَتُكَ بِيَدِهِ.

لَا يَتَمَنَّاهُ طَاعَتُكَ وَلَا يَضُرُّهُ عَصِيَانُكَ، أَمَرَكَ بِالطَّاعَةِ وَنَهَاكَ عَنِ
الْمَعْصِيَةِ لِيَتَعَوَّذَ النَّفْعُ إِلَيْكَ.

لَمَّا وَجَدَ عِبَادَهُ مُتَطَلِّعِينَ إِلَى ظُهُورِ الْعَنَاءِ وَالْإِقْبَالِ،
قَالَ: ﴿يَقْتَضِ بِرَحْمَتِهِ مِنْ بِنَاءٍ﴾ (الكمثرى: ١٧٤)، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَوْ
تَرَكُوا يَهْدُوا أَنَّهُ هُوَ أَضَلُّ الرَّحْمَةِ يَنْتَرِكُونَ الْأَعْمَالَ مُعْتَمِدِينَ عَلَى التَّقْدِيرِ
الْأَزَلِيِّ، قَالَ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦).

مَنْ عَظَمَكَ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يُثْنِي عَلَى سِتْرِ رَبِّكَ.

إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ فَضْلَهُ وَإِحْسَانَهُ أَوْجَدَ فِيكَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ
وَأَضَافَهَا إِلَيْكَ وَثَمَّ الْقَدَحَ.

لَمَّا جَعَلَكَ رَاغِباً مِنْ غَيْرِهِ وَتَالِفاً عَنْهُ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ
الْأُنْسِ وَالْحُبِّ لِلَّهِ.

بِذَلِكَ لَكَ أَوَّلُ نِعْمَةِ الْإِسْحَادِ، وَثَانِيًا أَقْضَى عَلَيْكَ نِعْمَةُ الْبَقَاءِ
الطَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ كُلَّ لَحْظَةٍ مُتَوَاصِلًا.

الْعُبُودِيَّةُ.

إِعْطَاءُ الْخَلْقِ لَكَ حِرْمَانًا وَمَنْعَ اللَّهِ مِنْكَ أَيْضاً إِحْسَانًا.

لَا يُنْتَفَعُ مِنْكَ إِلَّا لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ يُضَرِّكَ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي جُحْمَةَ اللَّهِ
وَلُطْفَهُ فِي الْمَنْعِ مِنْكَ.

إِذَا أَعْطَاكَ فَارَاكَ جُودَهُ وَكَرَمَهُ ، وَإِذَا مَنَّكَ فَارَاكَ قَهْرَهُ وَعَظَمَتَهُ . فَهُوَ
يُحَسِّنُ إِلَيْكَ بِمَعْرِفَتِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَمُقْبِلٌ إِلَيْكَ بِلَطْفِهِ وَكَرَمِهِ .

جَعَلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ مَحَلًّا لِجَزَاءِ أَعْمَالِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرَيْنِ :

أولاً: لَأنَّهُ لَا تَسْعُ الدُّنْيَا مَا يَرِيدُ أَنْ يُعْطِيَكَ . وَثَانِيًا: لِأَنَّهُ أَكْثَمُ
عَذَابُهُمْ وَمَثَلَتُهُمْ مَنْ أَنْ يُعْطُوا جَزَاءَهُمْ فِي ذَاكَ الْقَاءِ .

مَنْ ظَنَّ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَعِثَابَتَهُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْعَبْدِ حَالَ الْمُصِيبَةِ وَالْأَلَمِ ،
فَهِذَا قُصُورُ عَقْلِهِ .

مَا دُمْتَ فِي الدُّنْيَا فَلَا تَعْجَبْ بِأَعْيَارِ الْمَصَائِبِ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تُظْهِرُ
مَا هِيَ لِأَرْزَمِ لَهَا .

إِذَا جَاءَ الصُّبْحُ يَفْكُرُ الْعَاقِلُ مَاذَا سَيَعْمَلُ الْيَوْمَ؟ وَالْعَاقِلُ يَنْتَظِرُ مَاذَا
يُعَاقِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى؟

جُهِدَكَ فِيمَا هُوَ ضَامِنٌ لَكَ وَتَقْصِيرَكَ فِيمَا هُوَ طَالِبٌ مِنْكَ ، ذَلِيلٌ
عَلَى ذَهَابِ نُورِ عَقْلِكَ ، الْهَيْسَمُ الْمُسْتَقْدِمُ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَقِّ جَانِبِ الْقَدْرِ .

لَا تَسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ خَالِكَ الْمُؤَبَّدَةِ مِنَ الْأَشْتِبَالِ
الِدِينِيِّ أَوِ الدُّنْيَوِيِّ ، وَيُسْخِطَكَ فِي حَالَةٍ أُخْرَى لِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَأَسْخَطَكَ بِغَيْرِ
أَنْ يُخْرِجَكَ .

لَا يَكُنِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالذَّعَاءِ حُصُولُ الْعَطَاءِ وَالْمَعْفُوزَةِ . بَلِ
إِظْهَارُ الْعِبُودِيَّةِ وَأَدَاءِ حُقُوقِ الرَّبُوبِيَّةِ .

كَثِيرًا مَا يَسْتَحْيِي الْعَارِفُ مِنْ عَرَضِ الْحَاجَةِ عَلَى مَوْلَاهُ الْكَفِيفَةِ
بِمَشِيئَتِهِ . فَكَيْفَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ عَرَضِ الْحَاجَةِ عَلَى خَلْقِهِ؟

يَذْكُرُ بِالسُّؤَالِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ وَبَيْنَهُ بِالطَّلَبِ مَنْ يَجُوزُ
عَنْ اسْتِغْنَاءِ السَّائِلِ .

ليس الدعاء وسؤال المولى خالاً جيداً ومعتبراً، والحال الطيب أن ترفق حسن أدب.

أيها السالك لا تقدم همتك إلى غير مولاك الكريم، فإن الكريم لا يتجاوز الرجاء.

لا تقطعك عن قبول الدعاء مع التضرع في الدعاء تأخير وفي العطاء، لأنه تكفل بإجابتك في أمر يحبه لك.

لا يخرج من القلب الشهوة النفسانية إلا الخوف المانع، أو الشوق الجاذب.

إذا أحببت أن يفتح لك باب الرجاء، فجاهد إحسان مولاك إليك، وإن أحببت أن يفتح لك باب الخوف، فجاهد الذنوب والمعاصي التي صدرت منك إلى جنابه.

إن وكلت إلى نفسك فلا نهاية لعبوبك، وإن أبدى لك الجود والكرم فلا نهاية لمحاسنك.

وقوع قلبه رجاء العفو عند صدور المعصية علامة الثقة بأعمالك الحسنة.

إذا اشتبه عليك أمران أيهما أولى، فانظر أيهما أشق على النفس فاتبعه، فإن ما هو شاق على النفس يكون حقاً.

حفظ النفس في المعصية بين، وفي الطاعة خفي، وعلاج مريض خفي يكون شافاً.

إذا ألقى مولاك لسان الخلق لينح لست له بأهل فرطب لسانك في ثناء مولاك بما هو أهله.

أجهل الناس من يترك ملاحظة غيوب يعلمها فيه لادعاء الناس فيه المعاصي.

عندما يُمدَّح المؤمنُ الحقيقيُّ فهو يستحيي مِنَ اللَّهِ تعالى على أَنَّهُ
يُمدَّح على وَضْعٍ لَا يُشَاهِدُهُ فِي نَفْسِهِ .

النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْكَ بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ يَظُنُّونَهَا فِيكَ . فَأَدْنَمُ نَفْسَكَ
لِأَجْلِ صِفَاتٍ سَيِّئَةٍ تَجِدُهَا فِي نَفْسِكَ .

ثَبَاتٌ خَلَاوَةٌ وَلَذَلِكَ الشَّهَوَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ذَاةٌ عُضَالٌ .

كَيْفَ تَصُدُّرُ مِنْكَ الْخَوَارِقُ وَأَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ عَادَاتِكَ النَّفْسَانِيَّةِ .

أَصْلُ كُلِّ مَغْصِيَةٍ وَغَفْلَةٍ وَشَهْوَةٍ نَفْسَانِيَّةٍ مُوَافَقَتُكَ لِنَفْسِكَ .

مُلاحَظَةُ عُيُوبِكَ الْبَاطِلَةِ خَيْرٌ مِنَ النَّظَرِ لِتَحْصِيلِ مَا هُوَ غَائِبٌ
وَمُسْتَوْرٍ عَنْكَ .

لَا تَبْسُطْ يَدَكَ لِلْأَخْذِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا إِذَا شَهِدْتَ فِيهِ أَنَّ مَوْلَاكَ
الْحَقِيقِيَّ هُوَ الْمَغْطِيُّ .

خَيْرُ أَوْفَاتِكَ وَأَحْسَنُهَا مَا شَهِدْتَ فِيهِ اخْتِيَابَكَ وَتَرَجُّعُ إِلَى ذَلِّكَ
وِخْرِيكَ .

إِنْ أَوَدْتَ نَزُولَ الْمَوَاهِبِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَيْكَ فَاحْذَرِ لِنَفْسِكَ الْفَقْرَ وَالْفَاقَةَ ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ (التوبة : ٣٥) .

نَزُولُ الْفَاقَاتِ عِيذُ السَّالِكِينَ .

إِنْ أَحْبَبْتَ الْعِزَّةَ الْبَاقِيَةَ فَلَا تَحْذَرِ الْعِزَّةَ الْفَانِيَةَ .

إِنْ تَجَلَّى لَكَ نُورُ الْبَقِيَّةِ ، شَاقَدْتَ خُسُوفَ الْفَنَاءِ عَلَى مَحَاسِنِ
الدُّنْيَا .

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ التَّصَيُّعَةَ الصَّرْفَةَ فَأَذَاقَكَ لَذَّةَ مَصَائِبِ الدُّنْيَا
الَّتِي سَهَّلَ عَلَيْكَ مُقَارَفَةَ الدُّنْيَا .

إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُوفَى هَمُّ الْعَزَلِ فَلَا تَحْذَرِ الْوِلَايَةَ الذَّنْبِيَّةَ الرَّائِلَةَ .

عَمَلٌ يُضَدُّ عَنْ قَلْبٍ تَارِكٍ الدُّنْيَا غَيْرِ قَلِيلٍ ، وَعَمَلٌ يُضَدُّ عَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ حَرِيصٍ عَلَى الدُّنْيَا غَيْرِ كَثِيرٍ .

اللَّهُمَّ سِرَاجَ الْقَلْبِ إِذَا ذَهَبَ ذَهَبَ ضَوْءُ الْقَلْبِ .

لَا تُشْرِكِ الذِّكْرَ لِأَجْلِ عَدَمِ الْحُضُورِ فِي الذِّكْرِ ، لَأَنَّ الْعَقْلَ جَلَالَ الذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعَقْلِ عَنْ نَفْسِ الذِّكْرِ .

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُزَفِّكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذِكْرِ غَفْلَةٍ إِلَى ذِكْرِ تَفْطَلَةٍ ، وَعَنْ ذِكْرِ تَفْطَلَةٍ إِلَى ذِكْرِ حُضُورٍ ، وَعَنْ ذِكْرِ حُضُورٍ إِلَى ذِكْرِ يَغِيبُ فِيهِ جَمِيعُ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِمُبِينٍ ﴾ (فاطر : ١٧) .

لَا يَحُوصُ عَنِ الْعُمْرِ الْمَاضِي ، وَالْعُمْرِ الْعَالِي ثَمِينٌ جَدًّا .

تَأْخِذُكَ الْإِثْبَاتُ بِالْأَهْمَالِ إِلَى الْوَقْتِ الْفَارِغِ مِنْ حُصْنِ نَفْسِكَ .

لَا تَنْتَظِرْ وَقْتَ الْخُلُوعِ عَنِ الْأَعْيَارِ فَإِنَّهُ يُبْعِدُكَ عَنْ خَالِكَ الَّتِي أَقَامَكَ عَلَيْهَا مِنْ مَرَاتِبِكَ إِبَاءً وَالْمُحَافَظَةَ .

لَا يَمُرُّ عَلَيْكَ وَقْتُ قُدْرِ نَفْسٍ إِلَّا يَظْهَرُ فِيكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ .

سُبْحَانَ مَنْ يَجْعَلُ سَبِيلَ الْوُضُوعِ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَا يَجْعَلُهُ سَبِيلًا لِلْوُضُوعِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَبَلِّغْ إِلَى أَوْلِيَائِهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَهُ إِلَى دَائِهِ .

ادْفِنِ نَفْسَكَ فِي أَرْضِ الْحُمُولِ ، فَإِنَّ الْحَبَّ لَمْ يَكْمَلْ نُصُومُهُ حَتَّى يُدْفَنَ فِي الْأَرْضِ .

لَا شَيْءَ أَثْمَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَلَاءٍ يَدْخُلُ مَعَهُ فِي سَاحَةِ مَعْرِفَةِ النِّعْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ .

أَوْجِبْ عَلَيْكَ خِدْمَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَجَعَلَهَا فِي الْحَقِيقَةِ سَبَبًا لِلدُّخُولِ فِي الْحَقِيقَةِ .

لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ فَضُورَ الْعِبَادَةِ فِي أَذَانِهِ وَطَائِفِ عُبُودِيَّتِهِ أَوْجِبْ عَلَيْهِمْ

طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، كَأَنَّهُ سَاقِفُهُمْ بِسَلَامٍ إِلَى طَاعَتِهِ، يَعْجِبُ رَبُّكَ مِنْ عِبَادٍ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مُشْدُودِينَ فِي السَّلَامِ.

عَيْنُ لَكَ الْعِبَادَاتِ بِالْأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ حَتَّى لَا يَمْتَنِعَكَ الْكَسَلُ وَالضَّعْفُ، وَوَسَّعَ فِي الْوَقْتِ حَتَّى يَبْقَى لَكَ وَقْتُ الْاِخْتِيَارِ.

عَلِمَ ضَعْفَكَ وَعَجَزَكَ فَخَفَّفَ عَدَدَ الصَّلَوَاتِ وَعَلِمَ اِحْتِيَاجَكَ إِلَى فَضْلِهِ فَضَاعَفَ ثَوَابَكَ.

الصَّلَاةُ مَطَهْرَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ اذْنَابِ الْاَغْيَارِ، وَقَابِضَةٌ أَبْوَابِ الْاَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ. الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاةِ وَمَوْضِعُ الْمَحَبَّةِ، وَالْاِخْلَاصِ يَفْتَحُ فِيهَا الْقُلُوبَ لِلْاَسْرَارِ وَتَتَلَأَلَأَ نُجُومُ الْاَنْوَارِ.

كَيْفَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ اَعْمَالٍ تُصَدِّقُ بِهَا، أَوْ كَيْفَ تَطْلُبُ جَزَاءَ صِدْقٍ أَهْدِي لَكَ مِنْهُ.

لَيْسَ الْمُسْتَجِبُ مَنْ يَرْجُو مِنَ الْمُخَيُّوبِ مُقَابِلًا أَوْ غَرَضًا.

أَنْتَ عَبْدٌ لِمَا تُحِبُّهُ. وَلَا يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ عَبْدًا لغيره.

كَمَا لَا يُحِبُّ اللَّهُ عَمَلًا مُشْتَرَكًا كَذَلِكَ لَا يُحِبُّ قُلُوبًا مُشْتَرَكًا.

حَبْلُكَ أَنْ يَطْلُبَ النَّاسُ حَوَاضَ اَعْمَالِكَ، وَأَحْوَالَ بَاطِنِكَ عَلاَمَةُ عَدَمِ صِدْقِكَ فِي الْعِبَادَةِ.

أَنْتَ مُخْتَاجٌ إِلَى حُلْمِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ عِبَادَتِهِ، وَطَاعَتِهِ فَوْقَ مَا تَخْتَاجُ إِلَى حُلْمِهِ عِنْدَ الْمُنْغَصِبَةِ وَالْفَسَقِ.

لَا تَطْلُبُ عِوَضًا عَنْ عَمَلٍ أَنْتَ لَهُ قَاعِلٌ حَقِيقِيًّا، كَذَلِكَ عِوَضًا إِنْ قَبِلَهُ وَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِ.

إِذَا طَلَبْتَ الْجَزَاءَ عَلَى عَمَلٍ تُطَالِبُ فِيهِ بِالصَّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ.

يَكْفِي لِلْعَامِلِينَ جَزَاءً مُتَعَجَّلًا مَا يَفْتَحُ خِلَالَ الطَّاعَاتِ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 مِنْ أَبْوَابِ الْإِلَهَامَاتِ وَلَذَلِكَ الْمُتَجَاجِرُ.

وَيْتَا أَجَلَ مَنْ أَنْ يُعَامِلَهُ عَبْدُهُ بِطَاعَتِهِ تَقْدَأَ وَيُؤْخِرُ هُوَ جَزَاءَهُ سَلَفًا
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

لَيْسَ عَمَلٌ أَشَدَّ قُبُولًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ عُثِيْبٍ عَنْ بَصْرِكَ مُشَاهِدَنَهُ
 وَخَيْرٌ فِي نَظْرِكَ وَجُودِهِ.

بِذِيَّةٍ سَيَّرَ حِمَارَ الطَّلَاحُونَ وَنَهَابَتُهُ وَاجِدَةٌ، فَلَا تُسَافِرُ مِنَ الْمَخْلُوقِ
 إِلَى الْمَخْلُوقِ، بَلْ سِيرَ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ.

عَدَمُ الْحُزَنِ عَلَى قَوَائِمِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ وَعَلَى وَقُوعِ الْمَعَاصِي
 وَالسَّيِّئَاتِ، عَلَامَةٌ مَوْتِ الْقَلْبِ.

لَا يُسَيِّئُكَ عَنْ حُصُولِ الْإِسْتِقَامَةِ مَعَ رَبِّكَ ذَنْبٌ صَدَرَ عَنْكَ لَعَلَّهُ آخِرُ
 ذَنْبٍ قُدِّرَ لَكَ.

لَوْ قَابَلَكَ عَدُوُّهُ وَإِنْصَافُهُ فَلَا ذَنْبَ بِصَغِيرٍ، وَلَوْ قَابَلَكَ فَضْلُهُ فَلَا
 مَغْصِبَةَ كَبِيرَةً.

الْقَلْبُ لَا يَضْلَعُ لِأَنَّهُ يَفْهَمُ الْحَقَائِقَ وَالْأَسْرَارَ مَا لَمْ يَتَّبِعْ عَنْ أَغْمَالٍ
 - لَا تَحْتَبِ.

الْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ مَا انْتَشَرَتْ أَشْفَعَتُهُ فِي الصَّدْرِ وَالْقَلْبِ وَكُشِفَتْ عَنِ
 الْقَلْبِ سُورَةُ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ.

الباب الثاني عشر

الأخلاق الحميدة

قد شهد رب الكعبة على الأخلاق الحميدة لسيد الأولين والآخرين
 نبينا محمد ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِقُلٍّ عَظِيمٍ﴾ [القدم: ٤٤] وأمر أمته باتباعه
 بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فَلَا بُدَّ لِلسَّالِكِ مِنَ التَّحَلِّيِ عَنِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ وَالتَّحَلِّيِ بِالْأَخْلَاقِ
 الْجَمِيلَةِ، لِهَذِهِ الْآيَةِ فَضِّلَتِ الْأَخْلَاقُ الْحَمِيدَةُ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى سَائِرِ
 الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ
 خُلُقًا».

[أخرجه أبو داود والترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٥]

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَن تَغْلِيْمَ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مَقْصُودُ الْبَيْعَةِ
 النَّبَوِيَّةِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».
 وَفِي رِوَايَةٍ: «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ».

[أخرجه في الموطأ؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٤]

وَقَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٦ ص ٥٦٣]

وَالْمُؤْمِنُ لَا يُرِيدُ شَرًّا لِأَحَدٍ، فَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْتَفِعَ الْآخَرِينَ مَهْمَا
 أَمَكُنَ فِي الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ، فَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ إِيْصَالُ الرَّاحَةِ إِلَى
 الْخَلْقِ، السَّيِّئَةُ الْخُلُقِ لَا يَرْضَاهُ الْخَالِقُ وَلَا الْمَخْلُوقُ. نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ:
 عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَحْسَنُ خَلْقِكَ؟ فَقَالَ: مَنْ إِذَا

أَصَابَتْ الشُّوْكَ أَحَدًا يَحْزَنُ. فَالْشُّوْكَ الْحَسَنَةُ أَغْطَمَ شَفَاعَةً عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ:

رَوَى عَنْ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ الصُّدِيقَةِ أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ:
 ١ - الصُّدُقُ فِي الْقَوْلِ. ٢ - الصُّدُقُ فِي الْفِعْلِ. ٣ - إِعْطَاءُ السَّائِلِ. ٤ -
 جِزَاءُ الْإِحْسَانِ. ٥ - مِيلَةُ الرَّجْمِ. ٦ - حِفْظُ الْأَمَانَةِ. ٧ - إِعْطَاءُ حَقِّ
 الْجَارِ. ٨ - إِعْطَاءُ حَقِّ الصَّاحِبِ. ٩ - إِعْطَاءُ حَقِّ الضَّئِيفِ. ١٠ - أَصْلُ
 أَصُولِهَا وَمَبْنَى هَذِهِ كُلُّهَا الْحَيَاءُ.

قَالَ شَيْخُ: الْقَلْبِ الْمُنَوَّرُ هُوَ مَا لَيْسَ فِيهِ خَلْقٌ (بِالْفَتْحِ) وَالْقَلْبُ
 الْأَسْوَدُ مَا لَيْسَ فِيهِ خَلْقٌ (بِالضَّم).

جَعَلَتْ الْمَشَايِخُ الْخِصَالَ الْعَشْرَ آتِيَةً عَلَامَاتٍ لِحُسْنِ الْخُلُقِ:

١ - مُقَابَلَةُ النَّاسِ بِطَلَاقِ الْوَجْهِ. ٢ - مُوَاسَاةُ النَّاسِ. ٣ - مُسَاعَدَةُ
 الْفُقَرَاءِ. ٤ - عَدَمُ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ. ٥ - الْإِنْفَاءُ بَيْنَ اتِّبَاعِ
 عُيُوبِ النَّاسِ وَذِكْرِ عُيُوبِهِمْ. ٦ - مُلَاحَظَةُ عُيُوبِ نَفْسِهِ. ٧ - إِنْ لَمْ أَحَدُ
 قَطَلَبِ الثَّوَابِ الْحَسَنِ. ٨ - قَبُولُ مُعْذِرَةِ الْمُذْنِبِ. ٩ - الْاِعْتِدَالُ. ١٠ -
 الْاجْتِنَابُ عَمَّا لَا يَنْبَغِيهِ.

وَعَلَى السَّالِكِ أَلَّا يُوْذِيَ أَحَدًا مِنْهُمَا أَمَكَرَ. أَسْرَأَ الْأَمْرَاضِ دَاءُ
 الْقَلْبِ، وَأَسْوَأُ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ إِذَاءُ الْقُلُوبِ.

أَخْلَاقُ الصَّالِحِينَ:

قَالَ الْخَوَاجَةُ أَبُو الْحَسَنِ الْخَرْقَانِي: مَنْ قَضَى يَوْمًا وَلَيْلَةً مِنْ
 غَيْرِ إِذَاءٍ مَوْسِمٍ، فَكَأَنَّهُ قَضَى ذَلِكَ الْيَوْمَ مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ. يَشْبَعِي لِلْسَّالِكِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْحَسَنَةِ فِي رَدِّ الشُّيْثَةِ مَا أَمَكَرَ.

قال تعالى: ﴿ **ادْفَعْ بِالْيَدِ إِلَى أَحْسَنُ** ﴾ [سورة السجدة: ١٣٤].

أَلَا تَرَى أَنَّ شَجَرَةَ الصَّبْدِلِ تَغْلِبُ فَمَ الْغَالِبِ الَّذِي يَقْلَعُهَا، وَأَوْرَاقُ
الْوَرْدِ نَظِيبُ الْأَيْدِي الَّتِي تَمْسُحُهَا. قال الخواجه نظام الدين أولياء رحمة
الله تعالى: يا حبيب إن وَضَعْتَ أَحَدَ الشُّوكِ فِي طَرِيقِكَ فَلَا تَضَعْ فِي
طَرِيقِ الشُّوكِ وَلَا يَنْشُرْ فِي الْغَالِمِ كُلَّهُ الشُّوكَ فَقَطْ.

فَضَائِلُ حُسْنِ الْخُلُقِ:

قال الخواجه محمد معصوم رحمه الله تعالى في مَكْتُوباتِهِ عَنْ
حُسْنِ الْخُلُقِ: يَا مَنْ فِيهِ آثَارُ الشُّفُقَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ قَلِيلَةٌ جَدًّا،
وَالْأُمُورُ الدَّائِمَةُ الْأَبَدِيَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِهَا، فَالْتَمِذُ مَنْ يَسْتَغِلُّ هَذِهِ الْفُرْصَةَ
وَيَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَيَتَزَوَّدُ لِلْمُسْتَقْبَلِ الطَّوِيلِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَكَ
مُرْجِعاً لِحَوَانِجِ جَمَاعَةٍ، فَعَلَيْكَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِجْتِهَادِ لِقَضَاءِ
حَوَانِجِ الْخُلُقِ، وَاتَّخِذْ خِدْمَةَ عِبَادِ اللَّهِ وَإِمَائِهِ وَسِيْلَةً لِنَيْلِ دَرَجَاتِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاحْصِبِ الْمُعَامَلَةَ الْحَسَنَةَ مَعَ الْخُلُقِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ،
وَحُلَاقَةَ الْوَجْهِ لَهُمْ، وَمُقَابَلَتَهُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْيُسْرِ مَعَهُمْ مَتَباً
لِنَيْلِ رِضَا الْمَوْلَى الْحَفِيفِيِّ جَلَّ سُلْطَانُهُ، وَذُرْعَةً لِلنَّجَاةِ وَتَقْدِمِ
الدرجات. قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْخُلُقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ الْخُلُقِ
إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ».

[رواه البيهقي؛ مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

وَيَذْكُرُ عِدَّةَ أَحَادِيثَ. ذِكْرُ بَعْضِ الْأَحَادِيثِ فِي فَضِيلَةِ قَضَاءِ
حَاجَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَإِرْضَائِهِمْ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَاللِّينِ وَالْإِنْفَاقِ أَوْ الْحُلْمِ
فَتَتَبَرَّهِنَّ تَدْبِيراً كَامِلاً. وَإِنْ بَقِيَ إِشْكَالٌ فَاسْأَلْ عَنْهُ طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَدَبِّرَ.

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ
أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي

حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

[رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والتهذيب ج ٣ ص ٣٨٩]

وفي رواية لمسلم: «وَالْبَلَاءُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ

أَخِيهِ».

[أيضاً ص ٣٩٠]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرُغُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلَئِكَ الْأَمْثُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٠]

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّاهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ يُفَرِّغُهُمْ عَلَيْهَا مَا يَدُلُّوهُ، فَإِذَا مَتَّعُوها تَزَعَّاهُ مِنْهُمْ فَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِهِمْ».

[رواه ابن أبي الدنيا والطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ خَرَجَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْ اغْتِكَافٍ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنْ اغْتِكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَةَ خَنَادِقٍ كُلُّ خَنَادِقٍ أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ الْخَافِئِينَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩١]

«مَنْ مَشَى فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَةِ أَخِيهِ حَتَّى يُشَبِّهَهَا لَهُ أَظْلَمَ اللَّهُ مَرَّةً وَجَلَّ بِخَمْسَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُونَ لَهُ إِنْ كَانَ صَبَاحًا حَتَّى يُمْسِيَ وَإِنْ كَانَ مَسَاءً حَتَّى يُضْهِحَ، وَلَا يَرْفَعُ قَدَمًا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ بِهَا خَطِيئَةً وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان وغيره؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقال أيضاً: «مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ سَبْعِينَ خَسَنَةً وَمَعَاهُ عَنْ سَبْعِينَ سَبْئَةً إِلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ فَارَقَهُ،

فَإِنْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ عَلَى يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَإِنْ هَلَكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٣٩٢]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ لَهُ وَصْلَةٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَبْلَغٍ بَرٍّ، أَوْ تَبْسِيرٍ عَسِيرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمِدٌ دَخَصِيَ الْأَقْدَامُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٣]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِذْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، تَحْسُوتُ عَزْرَتَهُ أَوْ أُمِّيَعَتْ جُوعَتُهُ، أَوْ قُضِيَتْ لَهُ حَاجَتُهُ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْفَرَائِضِ إِذْخَالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُسْلِمِ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٣٩٤]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَدْخَلَ رَجُلٌ عَلَى مُؤْمِنٍ سُرُوراً إِلَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ مَلَكاً يَغْبِطُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُوَخِّدُهُ، فَإِذَا بَصَرَ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ ذَلِكَ السُّرُورُ، فَيَقُولُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا السُّرُورُ الَّذِي أَدْخَلْتَنِي عَلَى فُلَانٍ. أَنَا الْيَوْمُ أُوَسِّسُ وَحِشَتَكَ وَأَتَفَتِكَ جِجْنَكَ وَأَتَبَتِكَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وَأَشْهَدُكَ مَشَاهِدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشْفَعُ لَكَ إِلَى رَبِّكَ وَأُرِيكَ مِثْلَكَ مِنَ الْجَنَّةِ».

[رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ؛ أيضاً ص ٣٩٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسَمِعَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْقَدَمُ وَالْفَرْجُ».

[رواه الترمذي وابن حبان والبيهقي؛ أيضاً ص ٤٠٣]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَالْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ».

[رواه الترمذي والحاكم؛ أيضاً ص ٤١٣]

وقال ﷺ: «إِنَّ الْغَيْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، وَشَرَفِ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةِ فِي جَهَنَّمَ».

[رواه الطبراني؛ أيضاً ص ٤٠٤]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَيَسَّرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنُهَا عَلَى الْبَدَنِ: الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٠٥]

وروي أَنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ من قِبَلٍ وَجْهَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ». ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ يَمِينِهِ، فَقَالَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ»، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، بِعَنِي مِنْ خَلْفِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لَكَ لَا تَفْقَهُ، حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ إِنْ اسْتَطَعْتَ».

[رواه محمد بن نصر المروزي؛ أيضاً ص ٤٠٥، ٤٠٦]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ شُحِقًا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْعِجَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْعِجَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ».

[رواه أبو داود والبيهقي له وابن ماجه والترمذي؛ أيضاً ص ٤٠٦]

وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ: «إِنَّ هَذَا دِينُ أَرْتَضِيهِ لِنَفْسِي، وَلَنْ يَصْلَحَ

إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَالْحُسْنَ الْيُؤْتِي، فَأَكْرِمُوهُ بِمَا مَا ضَمَّخْتُمُوهُ.

[رواه الطبراني، أيضاً ص ٤١٦]

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذَيِّبُ الْخَطِيئَاتِ كَمَا يَذَيِّبُ الْمَاءُ الْحَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ».

[رواه الطبراني، أيضاً ص ٤١٦]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ».

[رواه البخاري وعلم، أيضاً ص ٤١٥]

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَاهُ رِيعِينَ خَلْقِهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُقُوبِ».

[رواه الطبراني، أيضاً ص ٤١٦]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرَمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ يَمُرُّ نَحْرُهُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ نَحْرُهُ عَلَى كُلِّ هَيْئٍ لَيْسَ مَهْلٍ».

[رواه الترمذي، أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصلاة والسلام: «الثَّانِي مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ تَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْخَمْلِ».

[رواه أبو يعلى، أيضاً ص ٤١٨]

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْرِكُ بِالْخَلْمِ دَرَجَةً الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

[رواه أبو الشيخ وابن حبان، أيضاً ص ٤١٨]

وقال عليه الصلاة والسلام: «وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَخْضَبَ قَلْمَهُ».

[رواه الأصبهاني، أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «أَلَا أَلْبِسُكُمْ بِمَا يَشْرَفُ اللَّهُ بِهِ الْبُتَّانَ،

وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «تَحْتَلُمُ عَلَى مَنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتَغْفُو عَنْ مَنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ سَوَّكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».

[رواه الطبراني والبراء؛ أيضاً ص ٤١٩]

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

[رواه البخاري ومسلم، أيضاً ص ٤٢٠]

وقال عليه الصلاة والسلام: «مِنْ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتَ طَلِيقُ الرَّجْعِ».

[رواه ابن أبي الدنيا؛ أيضاً ص ٤٢١]

وقال عليه الصلاة والسلام: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَاؤُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَدَى وَالشُّوْكَ وَالْعَقْلُ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ ذُلِّكَ فِي ذُلِّ أَخِيكَ صَدَقَةٌ».

[رواه الترمذي؛ أيضاً ص ٤٢٢]

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ عُرْفَةَ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، قال أبو مالك الأشعري: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الْفُلْجَانَ، وَنَاتَ قَائِماً وَالنَّاسَ نِيَاماً».

[رواه الطبراني والحاكم؛ أيضاً ص ٤٢٣]

أَخَذْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مِنْ كِتَابِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ، وَهُوَ كِتَابٌ مِنَ الْكُتُبِ الْمَعْتَبَرَةِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَقَدْ نَأَى اللَّهُ تَعَالَى لِلْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَاهَا، يَجِبُ عَلَيْنَا مُقَارَنَةُ صَفَحَةِ أَوْضَاعِنَا بِمَقْهُومِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَالشُّكْرُ عَلَى مَا وَافَقَ الْأَحَادِيثَ، وَمَا لَمْ يُوَافِقْ يَجِبُ أَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِعَجْزٍ وَتَضَرُّعٍ أَنْ يُؤَفِّقَ لِلْعَمَلِ بِهَا، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ تَوْفِيقَ الْعَمَلِ بِهَا فَوَرِئاً فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْرَأَ

بذنبه لا محالة. وهذا الاعتراف نعمة أيضاً من الله عظيمة. معاذ الله أن لا يكون لأحد توفيق العمل، ولا يراه مديناً، إذ ليس لديه من الإسلام إلا قليل. (ثم ذكر بيتاً معناه).

مَنْ وَجَدَهُ فَقَدْ وَجَدَ كَمِزاً كَبِيراً مَنْ لَمْ يَجِدْ فَحَسْبُهُ حُزْنٌ قَوَاتِيهِ

[المكتوبات المصنوعة دفتر الأول المكتوب رقم ١٤٧]

أمثلة نادرة للنصح:

١ - كان نبي الله سليمان عليه السلام يذهب بجنوده إذ مرَّ برادي النمل

ف: «**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَعَكُمْ**» [السل: ١٨]، وقد رضي

الله تعالى بضمجها، فذكر قصتها في القرآن المجيد وسُمي سورة

بسورة النمل، فتأثر لما كان هذا جزاء الله تعالى لشمله، فما بال

جزاء مؤمن نصح لمؤمن. الله أكبر كبيراً.

٢ - يلقى فرث الحيوانات وعذار الإنسان في الحقل، فيعملان هناك عمل

السماد ويعطي به الزرع، فتدبر. إنَّ النجاسة تفيد زرعاً تصحبها، فإن

لم تفيد نحن الناس الذين هم أشرف الخلق، أولسنا نقص وأهون من

القلدر والنجاسة؟

٣ - كان عمر بن عبد العزيز نائماً في ظهيرة الصيف، وكانت جارية تروخ

بمروحة فأخذها النوم فنامت جالسة، فاستيقظ عمر بن عبد العزيز

رحمه الله تعالى فوجدها نائمة، فأخذ المروحة من يدها وبدأ يروخ.

كانت الجارية متعبة فنامت نوماً طويلاً عبيثاً، فلما استيقظت وراة

أمير المؤمنين يروخها تعجبت، فقال: لا تحزني إنك إنسان كما أني

إنسان رأيتك نائمة فأخبيت أن أروخ وأتغني رضا الألو سبحانه

وتعالى.

٤ - كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يبيع الأفوشة في شتائه. أغلق دكانه

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَذُرَكَ الزُّبُونُ نَوْحَ الْقِمَاشِ وَلَوْثَهُ إِدْرَاكًا تَامًا، فَأَعْلَفْتُ
الذُّكَّانَ حَتَّى لَا يَتَخَلَّجَ زُبُونٌ فَيَحْسِبَ الثُّوبَ الرَّخِيصَ ثَمِينًا.

٥ - فَاتَّخَعَ بِضَرِّ سَيِّدِنَا عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهَا قَتْنَحَ وَبُضْرَ دَخَلَ
خَيْمَتَهُ فَرَأَى حَمَامَةً بِأَضْحَى وَأَتَّخَذَتْ عُمُشًا، فَأَذِنَ لِلْعَجُودِ بِالرَّجِيلِ
وَتَرَكَ فِسْطَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَتَأَذَى الْحَمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلْخَيْمَةِ فِي
الْعَرَبِيَّةِ: فِسْطَاطٌ. وَهُنَاكَ مَدِينَةُ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا فِسْطَاطٌ تَسْتَهْدُ
بِعَظْمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - سَمِعْتُ الرَّبَّكَ الرَّحْمَنَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأَةُ الْيَوْمَ الْيَوْمَ»
فَرَأَى كَلْبًا يَنْتَامُ، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبِهِ، فَعَلَّ الْخَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ خَلَلٍ فِي نَوْمِ الْكَلْبِ.

٧ - قَامَ الْخَوَاجَةُ بَاقِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلتَّهْنِجِدِ وَكَانَ الْهَرْدُ شَدِيدًا، فَضَلَّى التَّهْنِجِدَ
وَتَقَدَّمَ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَبَعْدَ هَرَّةٍ جَاءَتْ وَأَقْتَحَمَتِ الْفِرَاشَ،
فَيَاتَ الشَّيْخُ يَتَبَرَّدُ عَلَى السُّجَادَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْهَرَّةِ مِنَ
الْفِرَاشِ.

٨ - خَدَمَ الْخَوَاجَةُ بِهَاءِ الدِّينِ نَقِشْبَنْدُ الْبُخَارِيُّ كَلْبًا جَرِيحًا سَبْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَتَاهُ الْكَلْبُ أَعْقَلَاؤُ اللَّهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلسَّلْسَلَةِ الْعَالِيَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ عَاجِرَةً سَقَتْ كَلْبًا عَطْشَانًا فَفَقَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَصِيحَ الْآخَرِينَ ذُرْعَةً لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ قَعَلَ السَّلَفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُعَامِلَ
الْإِنْسَانِيَّ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامُ سَلَكُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ
الْمُؤَاجَاةِ.

فُضَائِلُ الْأَخْوَءِ الْإِسْلَامِيَّةِ :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ :
« من أضاف الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانته » .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية : « مَقَّلَ الْآخِرِينَ إِذَا التَّقِيَا قَتَلَ الْيَدِينِ تَغْبِيلُ (أَحَدَهُمَا
الْآخَرَى ، وَمَا التَّقَى مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدَهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ
خَيْرًا » .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَخَى أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفَعَهُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ » .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثاً غَرِيباً فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ فَتَجِبَ إِلَيْكَ الْإِيمَانُ وَفِيهِمَا الْكَفَالَةُ ﴾ [النور: ٢٦] قَالَ :
يَشْفَعُهُمْ فِي إِخْوَتِهِمْ فَيُنْجِلُهُمُ الْجَنَّةَ مَعَهُمْ ، وَمِمَّنْ جَاءَ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ
ابْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَهشام بن عروة ، و ابن شبرمة ،
وشريح ، وشريك بن عبد الله ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والشافعي ،
وأحمد بن حنبل ومن وافقهم .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ مَأْتَفٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْتَفُ وَلَا
يُؤْتَفُ » .

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ ؛ عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الْإِسْلَامِ

يَوْمًا مُبَكَّرًا وَذَهَبَ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَأَلَهُ شَخْصٌ فَقَالَ: السَّمَاءُ الْيَوْمَ مُغْبَرَّةٌ
وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يُدْرِكَ الزُّبُونُ نَوْعَ الْقِمَاشِ وَلَوْ أَنَّ إِدْرَاكَ تَامًا، فَأَتْلَقْتُ
الدَّكَّانَ حَتَّى لَا يَنْخَدِعَ زُبُونٌ فَيَحْسِبَ الثُّوبَ الرَّخِصَ ثَمِينًا.

٥ - فَاتَّجَ مِضْرَ سَيْدِنَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَتَحَ مِضْرَ دَخَلَ
حَبِيبَتَهُ فَرَأَى خِمَامَةً بَاضَتْ وَاشْتَذَتْ عَشَاءً، فَأَذِنَ لِلْمُجُنُودِ بِالرَّحِيلِ
وَتَرَكَ فِضْلَاطَهُ قَائِمًا هُنَاكَ حَتَّى لَا تَنَازِيَ الْحِمَامَةُ. وَيُقَالُ لِلْحَبِيبَةِ فِي
الْعَرَبِيَّةِ: فِضْلَاطٌ. وَهُنَاكَ عِدْبَةٌ قَائِمَةٌ حَتَّى الْآنَ اسْمُهَا فِضْلَاطٌ تُشْهَدُ
بِعَظَمَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦ - كَانَ مَوْلَانَا الزُّومِي مَعَ تَلَامِيذِهِ يَمْشِي عَلَى طَرِيقِ ضَيْقٍ بِالْمَرْزُوعَةِ،
فَرَأَى كَلْبًا بَنَامًا، فَوَقَفَ مَعَ جَمَاعَتِهِ هُنَاكَ حَتَّى قَامَ الْكَلْبُ نَفْسَهُ وَذَهَبَ
إِلَى جَانِبٍ، فَعَلَّ الْمَوْلَى هَذَا حَتَّى لَا يَقَعَ أَيُّ حُطْلٍ فِي نَوْمِ الْكَتَابِ.

٧ - قَامَ الْخَوَاجَةُ بَاقِي بِاللَّهِ مَرَّةً لِلْمُتَهَجِّدِ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَصَلَّى التَّهَنُّجَ
وَتَقَدَّمَ إِلَى فِرَاشِهِ لِيَجْلِسَ فِيهِ، وَجَدَ هَرَّةً جَاءَتْ وَاقْتَحَمَتِ الْفِرَاشَ،
فَبَاتَ الشَّيْخُ يَتِمَرَّدُ عَلَى السَّجَادَةِ وَلَمْ تَرْضَ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ الْهَرَّةِ مِنَ
الْفِرَاشِ.

٨ - خَدَمَ الْخَوَاجَةُ بَهَاءُ الدِّينُ نَفْسَ بِنْدِ الْبُخَارِيِّ كَلْبًا جَرِيحًا سَبْعَةَ عَشَرَ
يَوْمًا، فَلَمَّا أَفَاقَ الْكَلْبُ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ حَتَّى أَصْبَحَ
إِمَامًا لِلْمَنَاسِلَةِ الْعَالِيَةِ الْقَشِينِدِيَّةِ.

٩ - فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ غَاهِرَةَ سَقَتِ كَلْبًا عَطِشًا فَفَقَّرَ لَهَا، فَعَلَى
السَّالِكِ أَنْ يَحْسِبَ نَفْسَ الْآخِرِينَ فَرِيعةً لِنَجَاتِهِ، وَقَدْ فَعَلَ السَّلَفُ
الصَّالِحُونَ بِالْحَيَوَانَاتِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ مَا نَرَى، أَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَعَامِلَ
الْإِنْسَانِيَّ مَعَامِلَةً حَسَنَةً، الْإِسْلَامُ سَلَكُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ
الْمَوْاخَاةِ.

فضائل الأخوة الإسلامية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال النبي ﷺ :
« من أزال الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكره أغناه ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وفي رواية : « مثل الأخوين إذا اتقيا مثل اليتيمين تغيبل إحداهما الأخرى ، وما اتقى مؤمنان قط إلا آفاد الله عز وجل أحدهما من صاحبه خيراً ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

روى عن رسول الله ﷺ : « من آخى أخاً في الله عز وجل رفعه الله عز وجل درجة في الجنة لا يتألفا بشيء من عملهما ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٢]

وروي عن رسول الله ﷺ حديثاً غريباً في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُسْتَجِيبُ اللَّهُ دَعَائِهِمْ دَعَاؤُهُمْ وَيُجِيبُهُمْ دَعْوَاهُمْ ﴾ [النسوري: ٢٦] قال : يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ، ومن ماله إلى هذا الطريق ابن المسيب ، والشعبي ، وابن أبي ثبلى ، وهشام بن عروة ، وابن شبرمة ، وشريح ، وشريك بن عبد الله ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ومن وافقهم .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤]

قال رسول الله ﷺ : « المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ».

[مشكاة المصابيح ص ٤٢٥]

قال عليه الصلاة والسلام : « المؤمن كثير بأخيه ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٤ : عوارف المعارف ص ٢٠٧]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أعطي عبد بعد الإسلام

خَيْراً مِنْ أَخِي صَالِحٍ ، وَقَالَ أَيْضاً : إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ وَدّاً مِنْ أَخِيهِ فَلْيَتَمَسَّكَ بِهِ فَقَدْ لَمَّا نَصِيبُ ذَلِكَ .

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٥]

وقد قيل : أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْحُشُوعُ ، ثُمَّ الْوَرَعُ ، ثُمَّ الْأَمَانَةُ ، ثُمَّ الْأَلْفَةُ .

[أيضاً ص ٤١٤]

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ كَلَاماً مَنْظُوماً شعراً :

مَا نَالَتِ النَّفْسُ عَلَى بَغْيِهِ الَّذِي مِنْ وَدَّ صِدِّيقِي أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدَّ أَخِي صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَقْطُوعُ مِنْهُ الْوَتِينُ

[أيضاً ص ٤١٥]

وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي رويناهما ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ تَعَبُّشٍ فِي أَكْتَافِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلَاءِ .

[أيضاً ص ٤١٧]

ورؤينا في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عُمُودٍ مِنْ بَاقُوَّةٍ حَرَامَةٍ ، فَمِنْ رَأْسِ الْعُمُودِ سِتُّونَ أَلْفَ حَبْلَةٍ ، مُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَنْظُرُونَ خُسْنَهُمْ لَا قِلَّ الْجَنَّةِ كَمَا تَنْظُرُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدَّسٌ خُضِرَ مَكْثُورٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ : هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .»

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤١٩ واللفظ له ، عوارف المعارف ص

٢٠٨ ، وإحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٤]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَعَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنهما ، أَنَّ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيمَا يُؤْتَرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «خَفْتُ مَخْبَتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبَتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبَتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَخَفْتُ مَخْبَتِي لِلْمُعْتَابِرِينَ فِيَّ».

[الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨، ١٩ واللفظ له؛ وقوت القلوب

ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا التَّقَوُّوا فَكُتِرَ بَغْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ تَنَحَّاتٍ عَنْهُمْ الْخَطَايَا كَمَا يَتَنَحَّاتُ وَرَقُ الشَّجَرِ فِي الشِّتَاءِ إِذَا يَبَسَ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ إحياء العلوم ج ٢ ص ١٧٥]

وَرَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ مِنْهُمْ كَذَّابٌ وَائْتَانِ سَاحِياً فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠؛ الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٥، ١٦]

وَكَانَ الْفَضِيلُ بْنُ عِمَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَغَيْرُهُ يَقُولُ: «نَظَرُ الْأَخِ إِلَى وَجْهِ أَخِيهِ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ عِبَادَةٌ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٠]

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا رَأَى أَخًا فِي اللَّهِ تَعَالَى فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَارْتَصَدَّ اللَّهُ عَلَى مَذْرَجَتِهِ مَلَكًا فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَجِمٌ تَصِلُهَا، أَوْ لَهُ عَلَيْكَ نِعْمَةٌ تُرَبِّهَا، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢١]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّادٍ عَنِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ

عنهما: لو أنَّ رَجُلًا صَامَ النَّهَارَ لَا يَقْطِرُ، وَقَامَ اللَّيْلَ، وَجَاهَدَ وَلَمْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَلَمْ يُبْغِضْ فِي اللَّهِ مَا نَفَعَهُ ذَلِكَ شَيْئًا.

[عوارف المعارف ص ٢٠٩]

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالُوا: الصَّلَاةُ، قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: الْحَجُّ وَالْجِهَادُ. قَالَ: «حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِهِ». قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَالْبُغْضُ فِيهِ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٢]

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، وَقَالَ مُوسَى بْنُ عُقَيْبَةَ: كُنْتُ أَلْقَى الْأَخَّ مِنْ إِخْوَانِي مَرَّةً فَأَقِيمَ عَاقِلًا بِلِقَائِهِ أَيَّامًا.

[إيضاً ص ٤٢٣]

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: كُنْتُ إِذَا رَجَدْتُ فِي نَفْسِي فِتْرَةً، تَنَظَّرْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ وَاسِعٍ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ إِلَهٌ إِلَّا ثَلَاثٌ: الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ، وَالتَّهَجُّدُ مِنَ اللَّيْلِ، وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ. وَكَانَ الْخَسَنُ وَأَبُو قَلَابَةَ يَقُولَانِ: إِخْوَانُنَا أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِينَا وَأَوْلَادِنَا لِأَنَّ أَهْلِينَا يُذَكِّرُونَنَا الدُّنْيَا وَإِخْوَانُنَا يَذَكِّرُونَنَا الْآخِرَةَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٢٣]

شروط أساسية للأخوة:

يُشْتَرَطُ لِيُفْرَعَ الْمُؤَاحَاةُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ أَوْ لَا التَّجَانُسُ أَيْ التَّمَانُلُ فِي أَخَوَالِهِمَا كَانَ يَكُونَا صَالِحَيْنِ أَوْ مُرِيدَيْنِ لِشَيْخٍ وَاجِدٍ، أَوْ يَكُونَا مِنْ خَمَلَةِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ أَوْ الْبَاطِنِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا تَتَحَقَّقُ الْأَلْفَةُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْأَرْبَعَةِ:

١ - الاتِّحَادُ فِي الْعَزْمِ (كَأَن يَكُونَا سَالِكَيْنِ).

٢ - الْأَشْتِرَاكُ فِي الْحَالِ (كَأَن يَكُونَا دَاخِلَيْنِ فِي مَبْلِسَةٍ وَاجِدَةٍ).

٣ - التَّقَارُبُ فِي الْعِلْمِ (كَأَن يَكُونَا صَاحِبِي نَسَبٍ).

٤ - الْإِتِّفَاقُ فِي الْأَخْلَاقِ (كَأَن يَكُونَا مُتَوَاضِعَيْنِ).

وَإِنْ كَانَ يَنْتَهَمَا اشْتِرَاكٌ فِي الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ تَشْتَدُّ مَوَاحَاتُهُمَا، وَلِذَا قِيلَ: الْجُلُوسُ بِمِثْلِ إِلَى الْجُلُوسِ.

قال أبو طالب: وقد رُويَنا في حديث: «إِنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودٌ مُجْتَمِعَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» إِلَى أَنْ قَالَ: وَفِي هَذَا الْخَبَرِ زِيَادَةٌ؛ وَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مَائَةٌ مُتَأَفِّقٍ، وَفِيهِ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَلَوْ أَنَّ مُتَأَفِّقًا دَخَلَ إِلَى مَجْلِسٍ فِيهِ مَائَةٌ مُؤْمِنٍ، وَفِيهِ مُتَأَفِّقٌ وَاحِدٌ لَجَاءَ حَتَّى يَجْلِسَ إِلَيْهِ. وَقَدْ ذُكِرَ لِهَذَا الْحَدِيثِ سَبَبٌ عَلَى مَا ذُكِّرْنَا وَهُوَ أَنَّ امْرَأَةً عَطَّارَةً كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ مِنْ أُخْدٍ فَقَدِمَتْ امْرَأَةٌ مِنْ مَكَّةَ عَطَّارَةً وَكَانَتْ مَرْأَحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى مَنْ نَزَلَتْ؟» قِيلَ: «عَلَى ثَلَاثَةٍ».

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٢]

وكذلك رُويَنا في حديث المَوَاحَاةِ الَّذِي أَخَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَأَخَى بَيْنَ اثْنَيْنِ شَكْلَيْنِ فِي الْعِلْمِ وَالْحَالِ، أَخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَبَيْنَ عُثْمَانَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُمَا نَظِيرَانِ. وَأَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدُّودِ وَهُمَا شَكْلَانِ فِي الْعِلْمِ وَالزَّهْدِ، وَأَخَى بَيْنَ عَمَّارٍ وَسَعْدِ وَكَانَا نَظِيرَيْنِ، وَأَخَى بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

رُويَ أَنَّ مَعْرُوفًا سَأَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مَخْمُوفٍ: هَذَاكَ الرَّجُلَانِ

إِمَامًا هَذَا الْبَلَدِ فَأَشِيرَ عَلَيَّ أَيُّهُمَا أَصَحُّ؟ فَإِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَتَذَبَّ بِهِ : أَحْمَدُ
أَبْنُ حَنْبَلٍ أَوْ يَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ لَهُ مَعْرُوفٌ : لَا
تُضَحِّبْ أَحَدَهُمَا فَإِنَّ أَحْمَدَ صَاحِبُ حَدِيثٍ، وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِغْفَالٌ
بِالنَّاسِ، فَإِنْ مَسَّحَبْتَهُ ذَهَبَ مَا تَجِدُ فِي قَلْبِكَ مِنْ خَلَاوَةِ الذِّكْرِ وَحُبِّ
الْخَلْوَةِ، وَأَمَّا يَشْرُ فَلَا يَنْفَرُغُ لَكَ وَلَا يُقْبَلُ عَلَيْكَ شُغْلًا بِحَالِهِ، وَلَكِنِ
أَضْحَبَ أَسْوَدُ بْنُ سَالِمٍ فَإِنَّهُ يُضْلِعُ لَكَ وَيَقْبَلُ عَلَيْكَ، فَقَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ
فَانْتَفَعَ بِهِ، وَإِنَّمَا ضَمَمَهُ مَعْرُوفٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْأَسْوَدِ دُونَهُمَا، لِأَنَّهُ
كَانَ أَلْيَقَ بِحَالِهِ وَأَشْبَهَ بِوَضْعِهِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٤]

قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَرَبِ : الصَّاحِبُ كَالرَّثَقَةِ فِي الشُّوبِ إِنْ لَمْ تَكُنْ
مِنْ جِلْدِهِو شَمَاتُهُ.

[أيضاً ص ٤٥٢]

وَيُقَالُ : إِذَا اضْطَحَبَ الثَّانِي بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ وَلَمْ يَنْشَأْ قَلًا فِي الْحَالِ،
فَلَا بَدَّ أَنْ يَنْفَرُغَا. وَفَدَ أَنُشِدْنَا بَعْضَ الْعَرَبِ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ :
وَقَائِلِي لِمَ تَفَرُّقُسُمَا قُلْتُ قَوْلًا فِيهِ انْصَافٌ
لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي قَسَارُفُسُهُ وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَإِلَافٌ

[أيضاً]

الحبيب كيف يكون؟

كَانَ يَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ يَقُولُ : لَا تُخَالِطْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَسَنَ الْخُلُقِ
فَإِنَّهُ لَا يَأْنِي إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا تُخَالِطْ سَيِّئَ الْخُلُقِ فَإِنَّهُ لَا يَأْنِي إِلَّا بِشُرٍّ.

[أيضاً ص ٤٣٥]

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤَاجِي رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ، ثُمَّ دَسْ عَلَيْهِ
مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْكَ فَإِنْ قَالَ خَيْرًا فَأَضْحَبْهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا تُؤَاجِيَنَّ أَحَدًا حَتَّى

ثَبَلُوهُ وَتَقَبَّلُوهُ إِلَيْهِ سِرًّا ثُمَّ جَافَوْهُ وَاسْتَغْضَبُوهُ، وَانْظُرْ فَإِنَّ أَنْفُسِي عَلَيْكَ
عَاجِزَتَيْنِ، وَقِيلَ لِأَبِي يَزِيدَ: مَنْ أَصْحَبُ مِنَ النَّاسِ؟ قَالَ: مَنْ يَعْلَمُ مِنْكَ
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَسْتُرُ عَلَيْكَ مَا يَسْتُرُ اللَّهُ تَعَالَى.

[أيضاً ص ١٣٥]

كَانَ النَّمُودَجُ يَغْلِي لـ: (تَخَلَّفُوا بِاخْلَاقِ اللَّهِ).

كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: لَا تُؤَاخِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيْكَ
فِي أَرْبَعٍ: عِنْدَ غَضَبِهِ وَرِضَاهُ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ وَهَوَاهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ:
لَا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ: يَكْتُمُ سِرَّكَ وَيَسْتُرُ
بِرِّكَ وَيَطْوِي غَيْبَكَ، وَيَكُونُ فِي الثَّوَابِ مَعَكَ وَفِي الرِّغَائِبِ يُؤَدِّرُ.

[أيضاً ص ١٣٦]

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَا تَصْحَبْ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا تَعْلَمُ مِنْهُ
شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِكَ فَيَنْتَفِعَ، أَوْ رَجُلًا تَعْلَمُهُ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ فَيَقْبَلُ مِنْكَ.
وَالثَّالِثُ الْغُرْبُ مِنْهُ. وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ، قَالَ لِي أَسْتَاذِي أَبُو
سُلَيْمَانَ: يَا أَحْمَدُ لَا تَصْحَبْ إِلَّا أَحَدَ رَجُلَيْنِ [وَجَل] تَرْتَفِقُ بِهِ فِي دُنْيَاكَ،
أَوْ رَجُلٍ تَزِيدُ مَعَهُ وَتَنْتَفِعُ بِهِ فِي آخِرَتِكَ.

[أيضاً ص ١٣٧]

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ
خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ.

[أيضاً]

وَأَوْصَى بَعْضُ السَّلَفِ ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بَنِي لَا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إِلَّا
مَنْ إِنْ افْتَقَرْتَ قُرِبَ مِنْكَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ لَمْ يَطْمَعْ فِيكَ، وَإِنْ عَدَّتْ
مَرْبَتُهُ لَمْ يَرْتَفِعْ عَلَيْكَ، وَإِنْ تَذَلَّلَتْ لَهُ صَانِكَ، وَإِنْ اخْتَجَجْتَ لَهُ مَا نَكَتْ،
وَإِنْ اجْتَمَعَتْ مَعَهُ زَانِكَ.

[أيضاً ص ١٥٩]

وقال بعض الأئمة: الناس أَرْبَعَةٌ، فاضْحَبُ ثَلَاثَةٌ وَلَا تَضْحَبُ وَاحِدًا: رَجُلٌ يَذْرِي وَيَذْرِي أَنَّهُ يَذْرِي، فِهَذَا عَالِمٌ فَاتَّبِعُوهُ. وَرَجُلٌ يَذْرِي وَلَا يَذْرِي أَنَّهُ يَذْرِي فِهَذَا نَائِمٌ فَتَبِعُوهُ. وَرَجُلٌ لَا يَذْرِي وَيَذْرِي أَنَّهُ لَا يَذْرِي فِهَذَا جَاهِلٌ فَعَلِمُوهُ، وَرَجُلٌ لَا يَذْرِي وَلَا يَذْرِي أَنَّهُ لَا يَذْرِي فِهَذَا مُتَأَفِّقٌ فَاجْتَنِبُوهُ.

[أيضاً ص ١٥٤]

وكان أبو مهران يقول: أَخْرُجْ مِنْ مَنْزِلِي فَاثْنِ ثَلَاثَةَ: إِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي، فَهُوَ يَوْمٌ فَادَيْتِي أَتَعَلَّمَ مِنْهُ، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ مِثْلِي فَهُوَ يَوْمٌ مُذَاكَرَتِي، وَإِنْ لَقِيتُ مَنْ هُوَ دُونِي فَهُوَ يَوْمٌ مَثْوِي أَعْلَمُهُ فَأَخْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ.

وقال أبو جعفر محمد بن علي لابنه جعفر بن محمد: لَا تَضْحَبَنَّ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً، وَاضْحَبْ مَنْ شِئْتَ: الْكَذَّابُ فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ وَهُوَ مِثْلُ السَّرَابِ يَقْرُبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ وَيَبْعَدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَالْأَخْمَقُ فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ، وَالْبَخِيلُ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ بِكَ أَخْرَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَالْمَجَانُّ فَإِنَّهُ يُسَلِّمُكَ عِنْدَ الشَّدَّةِ، وَالْفَاجِرُ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِأَهْلِيهِ أَوْ بِأَقْلٍ مِنْهَا. قِلْتُ: وَمَا أَقْلٌ مِنْهَا؟ قَالَ: الطَّمَعُ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥٥]

قال أبو طالب المكي: إِيَّاكَ أَنْ تَضْحَبَ مِنَ النَّاسِ خَمْسَةً: الْمُبْتَدِعُ، وَالْفَاسِقُ، وَالْجَاهِلُ، وَالْمَحْرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالكَثِيرُ الْغِيْبَةِ لِلنَّاسِ.

[قوت القلوب ج ٢ ص ٤٥١]

وقد كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَجَمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: انْظُرْ إِلَى وَجْهِ الْأَخْمَقِ حَظِيئَةً مَكْتُوبَةً.

[أيضاً]

وفي الحديث الشريف: خير صاحب عند الله تعالى من يرفق بأصحابه، وخير جار من يرفق بجيرانه. إياك ومُصاحبة جاهل، فإن مُصاحبة نصيرك جاهلاً أو غافلاً عن قولك الكريم. أغر في القرآن الكريم بالاجتناب عن مُصاحبة شخصين، وأمر بمُصاحبة شخص.

١ - إياكم ومُصاحبة الجاهل، فقد قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩).

٢ - إياكم ومُصاحبة الغافل. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَفْغَلْنَا قُلُوبَهُمْ عَنْ دُرَرِكَا﴾ (الكهف: ٢٨).

٣ - عليكم بمُصاحبة المنيب، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (البقرة: ١٥). فيلبي السالك ألا يُصاحب إلا شيخه أو إخوانه في الطريقة، إذ تصدق عليهم هذه الآية.

آداب الأخوة:

ينبغي للسالكين أن يرضخوا أمامهم آداب الأخوة كل وقت ويحفظوا حياتهم موافقة له وفيما يلي بعض الآداب:

١ - يُحاول أن يسبق إخوته في المحبة والمودة، قال الله تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَاصْفَحْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وذكر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقوله: ﴿رَحِمَهُمُ اللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال شاعر في وصف مؤمن كامل ما معناه:

إذا كان جفيع الأصدقاء فهو مثل الخريف
وإذا وقع خرب بين الحق والباطل فالمؤمن حديد

ومِن أوصاف المؤمنين: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال في مقام آخر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وقال عليه

الصلاة والسلام: «ارْخَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْخَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ».

[أخرجه الترمذي؛ جامع الأصول ج ٤ ص ٥١٥]

٢ - يُحَاوِلُ نَقْضًا وَحَاجَاتٍ أَخَوَتِهِ. وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ لَيْسَ لَهُ

صَدِيقٌ حَمِيمٌ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتُهُ: ﴿فَقَاتِلْ أَيْنَ شَنِيعِينَ وَلَا تَرْفِقْ فِيهِمْ﴾

[التنوير: ١٠٠، ١٠١].

ومعنى حميم أي هميم، أبدلت الحاء هاء لتقاربهما، مأخوذ من

الاهتمام أي مهتم بأنره، ففيه دليل أن الصديق لك هو المهمتك بك.

[أيضاً ص ٤١٤]

وَكَذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ فِيمَا ذَكَرَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرِهِ قَالُوا: كَانَ أَحَدُهُمْ

يُخَلِّفُ أَخَاهُ فِي عِيَالِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَا يَقْدُونَ إِلَّا وَجْهَهُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

وَمِنْ حَقِّ الْأَخَوَةِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ سِيرَةِ السَّلَفِ

قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى مَثَرِ أَخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ، فَيَقُولُ

لَأَخِيهِ: هَلْ عِنْدَكُمْ دَقِيقٌ؟ أَلَيْسَ؟ تَحْتَاجُونَ إِلَى كَذَا، فَإِنْ

قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا اشْتَرَى لَهُمْ مَصَالِحَهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْآخُ يَفْرُقُ بَيْنَ

عِيَالِهِ وَعِيَالِ أَخِيهِ، يُقَامِسُهُمُ الْمَوْتُونَ قَالَ: وَيَلْقَى أَخَاهُ فَلَا يَعْلِمُهُ

بشيءٍ من ذلك.

[أيضاً ص ٤٢١]

يُقَالُ: إِنَّ مَسْرُوقًا إِذَا كَانَ دِينًا ثَقِيلًا، وَكَانَ عَلَى أَخِيهِ خِيَشْمَةٌ دَيْنٌ،

قَالَ: فَذَعَبَ مَسْرُوقٌ فَقَضَى دَيْنَ خِيَشْمَةٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَذَهَبَ خِيَشْمَةُ

فَقَضَى دَيْنَ مَسْرُوقٍ سِرًّا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

[أيضاً ص ٤٢١]

نَظَرَ أَبُو الذَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى ثَوْبَيْنِ يُخْرَتَانِ فِي قَدَانِ، فَوَقَفَ

أَحَدُهُمَا يَخُكُ خِيَشْمَتَهُ فَوَقَفَ الْآخَرُ، فَبَكَى أَبُو الذَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ: هَكَذَا

الْأَخْوَانُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُعْمَلَانِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ.

[أيضاً ص ٤٤٠]

٣ - لا يخزي أخاه بأزْيَكَابٍ خطأ، بل يُخَاوِلُ لِإِصْلَاحِهِ بِطَرِيقِ مُنَاسِبٍ، رُوِينَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ شَابَاً عَلِمَ عَلَى مَجْلِسِهِ حَتَّى أَخْبَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَكَانَ يُقَدِّمُهُ عَلَى الْأَشْيَاحِ وَيَقْرِيهِ فَمَسَدُوهُ، وَأَنَّ الشَّابَّ وَقَعَ فِي كَبِيرَةٍ مِنَ الْكِبَايِرِ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَحَدَّثُوهُ وَقَالُوا لَهُ: لَوْ أَبْعَاثَهُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُشْرِكُ صَاحِبَتَنَا لشيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَرُوِينَا عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَعَنِ الصُّحَابَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قُبِلَ لَهُ فِيهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ وَإِلَّا فَهُوَ أَخِي، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ فِي عَشِيرَتِهِ: ﴿فَإِنَّ عَصَاكَ فَقُلْ لِي بِرِيٍّ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

وَلَمْ يَقُلْ: قُلْ لِي بِرِيٍّ مِنْكُمْ لِلْحَقِّهِ النَّسَبِ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

وَفِي حَدِيثٍ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ سَأَلَ عَنْ أَخٍ كَانَ أَخَاهُ، فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: ذَاكَ أَخُو الشَّيْطَانِ. قَالَ: مَهْ. قَالَ: إِنَّهُ قَارَفَ الْكِبَايِرَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخُمْرِ، فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ الْخُرُوجَ فَأَذْنِي، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَتَّمُ نَزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْقَرِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غانر: ١- ٢] ثُمَّ عَاشَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَذَلَهُ، فَلَمَّا فَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ: صَدَّقَ اللَّهُ وَنُصَحَ لِي عُمَرُ. قَالَ: فَتَابَ وَرَجَعَ.

[أيضاً ص ٤٢٢]

عَدَمُ الْأَمْتِيَالِ بِتُصْبِيحَةِ الْأَخِ عَلَامَةٌ فُسُوزَةِ الْقَلْبِ وَكَذِبِ الْحَالِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَاذِبِينَ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ الْتَّصْبِيحَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٤ - لَيْسَتْ غُيُوبٌ أَخِيهِ وَأَخْطَاةُهُ. جَاءَ فِي الْخَبَرِ: اسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ الَّذِي إِنْ رَأَى خَيْرًا سَتَرَهُ وَإِنْ رَأَى شَرًّا ظَهَرَهُ.

[أيضاً ص ٤٢٨]

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِ الْعَدَالَةِ قَوْلًا اسْتَحْسَنَهُ الْعُلَمَاءُ، وَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: مَا أَخَذَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُطِيعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَعْصِيَهُ، وَلَا أَخَذَ يَعْصِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى لَا يَطِيعَهُ، فَمَنْ كَانَتْ طَاعَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَعْصِيَةِ فَهُوَ الْعَدْلُ.

[أيضاً]

قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا زَانِمٌ أَخَاكُمْ نَائِمًا، فَكَشَفْتَ الرُّيْحَ عَنْهُ نَوْنَهُ قَالُوا: نَسْرُهُ وَنَعْطِيهِ فَقَالَ: بَلْ تَكْشِفُونَ غَوْرَتَهُ. قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: أَخَذَكُمْ يَسْمَعُ فِي أَخِيهِ بِالْكَلِمَةِ فَيَزِيدُ عَلَيْهَا وَيَبْشِعُهَا بِأَعْظَمَ مِنْهَا.

[أيضاً ص ٤٢٩]

قال **رحمته الله**: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ سَتَرَ اللَّهُ غُيُوبَهُ».

٥ - لَا تَقْشِيبَنَّ لَهُ سِرًّا. قَالَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يُزِيءُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي أَرَى هَذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُقَدِّمُكَ عَلَى الْأَشْيَاخِ وَيَقْرُنُكَ ذُوئِهِمْ، فَاخْفِظْ عَنِّي ثَلَاثًا: لَا تَقْشِيبَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تُخْتَابَنَّ هَذِهِ أَحَدًا، وَلَا يُعْجِزَنَّ عَلَيْكَ كِبَايَةٌ. وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: وَلَا تَقْشِيبَنَّ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يَطْلُعَنَّ مِنْكَ عَلَى خِيَانَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ وَقَدْ رَوَاهُ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ، قَالَ: كُلُّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ أَلْفٍ.

[أيضاً ص ٤٣٤]

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا سَمِعْتُ فِي حِفْظِ السِّرِّ مَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنْ

إخوان له، دَخَلُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغْتَرِّ، فَاسْتَشْدُوهُ شَيْئاً مِنْ شِعْرِهِ فِي جِفْظِ السَّرِّ، فَأُشْتُدُّهُمْ عَلَى الْبُذْيِيَّةِ:

وَمُسْتَوْدَعِي سِرِّاتِهَا كَشَمَهُ فَأَوْدَعْتُهُ ضَلْطَرِّي قَصَارَ لَهُ قَبْرًا
[أيضاً]

وَرَوَيْنَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَغْتَابُهُ وَلَا يَخْشِيهِ.

[أيضاً]

٦ - يُنْبِغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بِالْعَنِيْبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِلدَّعَاءِ فِي أَخِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لَهُ فِي نَفْسِهِ»، وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «دُعَاءُ الْأَخِ لِأَخِيهِ بِالْعَنِيْبِ لَا يُرَدُّ». وَبَقِيَّةُ قَوْلِ الْمَلِكِ: «وَلَكَ مِثْلُ هَذَا - كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنِّي لَأَدْعُو لِأَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَانِي فِي سَجُودِي أَسْمُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ».

[أيضاً ص ٢٢٠]

وَكَانَ شَيْخٌ يَقُولُ: نَحْرُسْنَا أَذْيَعِي أَكَابِرْنَا.

٧ - يُنْبِغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ بَعْدَ وَقَاتِهِ، لَا يُذْهَبُ لَعَلَّ دُعَاءَهُ يُسْتَجَابَ وَيَغْفَرُ لِلْمَيِّتِ لِحُسْنِ نِيَّتِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ مَثَلُ الْعَرِيقِ يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةَ مَنْ وَلَدٍ أَوْ وَالِدٍ أَوْ أَخٍ وَإِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلَى قُبُورِ الْأَمْوَاتِ مِنْ دُعَاءِ الْأَخْيَاءِ مِنَ الْأَنْوَارِ أَمْثَالِ الْجَبَالِ». وَيَقَالُ: الدُّعَاءُ لِلْأَمْوَاتِ بِمَنْزِلَةِ الْهَدَايَا لِلْأَخْيَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ كَانَ الْإِخْوَانُ يُوصُونَ إِخْوَانَهُمْ يُعَدُّهُمْ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: غَرِيبٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيِّبٌ.

[أيضاً ص ٢٢١]

وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا

أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

على السَّالِكِ، أَنْ يَوْسَعَ مَائِدَتَهُ لِأَخِيهِ وَيَعْتَمِلَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تَلَوْتُمْ لِكُرْبِ اللَّهِ نُجُومًا﴾ [الإنسان: ٩].

وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ مُعْتَمِدِ بْنِ وَامِيعَ، وَفَرَقْدِ السَّنَجَبِيِّ يَدْخُلُونَ مَتَرْلَهُ فَيَأْكُلُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ وَيَقُولُ: ذَكَرْتُمُونِي أَخْلَاقِي قَوْمَ مَضُورٍ. فَكَذَا كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ، فَيُقَدِّمُ إِلَيْنَا الطَّيِّبَاتِ وَلَا يَأْكُلُ مَعَنَا وَيَقُولُ: إِنَّمَا خَبَأْتَهُ لَكُمْ، فَقُلْنَا: نَطْعِمُنَا الشُّهُوَاتِ وَلَا تَأْكُلُهَا. فَقَالَ: لَا أَكُلُهَا لِأَنِّي قَدْ تَرَكْتُ أَكْلَهَا، وَأَقْدَمْتُهَا إِلَيْكُمْ لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَشْتَهُونَهَا. وَقَالَ: كُنَّا نُبَايِئُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ آدَهَمَ فِي الْمَصِصَةِ وَفِي قَرْيِ السَّوَاغِلِ، فَكَانَ يَكْسِرُ لَنَا الصَّنُوبِرَ وَالْبِنْدُقَ وَاللُّوزَ لِنَلَهُ أَجْمَعَ وَيَقُولُ: كُلُّوْا، فَقُلْنَا: لَوْ أَقْبَلْتَ عَلَى صَلَاتِكَ وَتَرَكْتَ هَذَا. فَيَقُولُ: هَذَا أَفْضَلُ.

[أيضاً ص ٤٤٤]

أَبَاحَتِ الشَّرِيعَةُ أَكْلَ الطَّعَامِ مِنْ بَيْتِ الصَّدِيقِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ لَحْمِ بَرِيرَةَ تُصَدَّقُ بِهَا عَلَيْهَا وَكَانَتْ غَائِبَةً لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ يُبَيِّزُهَا.

[أيضاً]

نَظَرَ هَاشِمُ الْأَوْقَصُ إِلَى الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ جَوْنٍ لِبِفَالٍ: مِنْ هَذِهِ بُسْرَةٌ وَمِنْ هَذِهِ تَيْنَةٌ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدَ، تَأْكُلُ مِنْ مَالِ الرَّجُلِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، فَقَالَ: يَا لُكْعُ، أَتَلُ عَلَى آيَةِ الْأَكْلِ ثُمَّ قَرَأَ الْحَسَنُ: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [التور: ٦١] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ سَدِيقِكُمْ﴾ [التور: ٦١].

[أيضاً]

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَفْجِؤُ الضَّيْفَ، فَلَمَّ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يُقَدِّمُهُ إِلَيْهِ فَيَذْهَبُ إِلَى مَتَرْلِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حُبْرًا وَقِلَرًا قَدْ كَانَ طَبَّخَهَا، فَيَحْمِلُهُ إِلَى

ضيفه فيلقاه أخوه بعد ذلك فَيُسْتَحْسِنُهُ منه ويأمره بفعل مثل هذا في كل ناكبة.

[أيضاً]

وَرَوَيْنَا أَنَّ عَمَالِكَ بْنَ دِينَارٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ دَخَلَا مَثْرُونَ الْخَشَنَ وَكَانَ غَائِبًا فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ سَلَةً فِيهَا طَعَامٌ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ، فَدَخَلَ الْحَسَنُ فَقَالَ: هَكَذَا كُنَّا لَا يَخْتَلِسِمُ بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ.

[أيضاً ص ٤٤٦]

كَانَ السَّلَفُ الضَّالِّحُونَ يَخْتَلِطُونَ بِأَخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ يَتَاكَلُونَ وَيَتَمَاشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، يَشْتَرُونَ الْخَوَاصِجَ بِأَنْفُسِهِمْ وَيَحْمِلُونَ هُمْ مَتَاعَهُمْ وَكَانَ هَذَا سِيَرَةَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ. كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ الْقُرْبَةَ عَلَى ظَهْرِهِ لِأَهْلِيهِ، وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَحْمِلُ التَّمْرَ وَالْمُلُخَ فِي ثَوْبِهِ وَيَقُولُ:

لَا يَتَّقِي مِنَ الْكَاوِلِ مِنْ كَمَالِهِ مَا جَازَ مِنْ نَفْعٍ إِلَى عِيَالِهِ

وَمِنْهُمْ أَبِي، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَحَذِيفَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَانُوا يَحْمِلُونَ حَزْمَ الْحَطَلِ وَجَرَبَ الدَّقِيقِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَظُهُورِهِمْ، وَسَبَدَ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَ يَشْتَرِي الشَّيْءَ فَيَحْمِلُهُ بِنَفْسِهِ. فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: أَعْطَيْتَنِي أَخْبَلَهُ عَنْكَ، فَيَقُولُ: «صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ».

[أيضاً ص ٤٤٨]

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِبُ الشَّاةَ وَيُسَاعِدُ أَهْلَهُ فِي إِعْدَادِ الْخَبْزِ، وَيَكْنُسُ الْبَيْتَ مَعَ أَنَّهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَحُبُّهُ. (بَتَبَيَّنَ مِنْ هَذَا التَّفْصِيلِ خَطَأَ سَالِكِينَ يَغْتَرِّقُونَ عَنِ الْأُمُورِ الْمُثْلِيَّةِ بِالِاشْتِغَالِ بِالذِّكْرِ وَالْأَوْزَادِ وَيَحْسِبُونَهُ زُهْداً وَتَقْوَى). قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ

أَصْنَعُ مِنْ طَعَامٍ وَأَجْمَعُ عَلَيْهِ إِخْوَانِي فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهَيِّقَ رَقَبَةً .

[أيضاً ص ٤٤٤]

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا لِي فَجَعَلْتُهَا فِي نَفْسِ أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي لِاسْتَقْلَلْتُهَا لَهُ ، وَقَالَ : إِنِّي لَأَلْقُمُ الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي اللَّفْظَةَ فَاجِدُ طَعْمَهَا فِي حَلْقِي .

[أيضاً ص ٤٣٣]

٨ - يَتَّبِعِي لِلْسَّائِلِكِ إِلَّا يُؤْذِي إِخَاهُ أَبَدًا . كَانَ بُكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرَبِّيُّ يَضَعُ مِيزَابَ سَقْفِهِ فِي سَاحَتِهِ حَتَّى لَا يَتَأَذَى أَحَدٌ . نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الشُّبَيْخِ حُسَيْنُ أَحْمَدَ الْمَدَنِيِّ ضَيْفًا ، فَقَدَّمَ الشُّبَيْخُ لَهُ الْفَوَاجِةَ ، فَرَفَعَ الضُّيْفُ مِنَ الْأَكْلِ فَقَالَ : أَنَا أَرْمِي الْقِشْرَةَ فِي الْخَارِجِ ، فَقَالَ : سَوْفَ تَرْمِي الْقِشْرَةَ فِي مَكَانٍ وَاجِدٍ ، وَسَيَرَى أَطْفَالُ الْجَارِ وَيَرْغَبُونَ فِي أَكْلِ الْفَاجِةِ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوهُ فِي بَيْتِهِمْ تَنَادَى قُلُوبُهُمْ ، فَسَأَلَ الضُّيْفُ : فَكَيْفَ تَرْمِي أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَجْعَلُ الْقِشْرَةَ قِطْعًا وَأَرْمِي قِطْعَةً فِي مَكَانٍ ، وَقِطْعَةً فِي مَكَانٍ آخَرَ بَعْدَ مَسَافَةٍ فَلَا يَظْهَرُ بِرُؤْيَيْهَا أَنَّ أَحَدًا أَكَلَ الْفَوَاجِةَ .

يَجِبُ التَّحَرُّزُ عَنْ إِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَجِبُ ذِكْرُهُمْ بِكَلِمَاتٍ طَيِّبَةٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي وَصِيَّتِهِ لِمُجَاهِدٍ : وَلَا تَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَغَيَّبَ عَنْكَ إِلَّا بِمَثَلٍ مَا تُحِبُّ أَنْ تُذْكَرَ بِهِ إِذَا غَبِثَ ، وَاعْفُوهُ بِمَا تُحِبُّ أَنْ تُعْفَى بِهِ . كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : مَا ذُكِرَ أَخِي عِنْدِي فِي غَيْبٍ إِلَّا تَمَثَّلْتُه جَالِسًا ، فَقُلْتُ فِيهِ مَا يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَ فِي حُضُورِهِ .

[أيضاً ص ٤٢٠]

٩ - وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدِثَ صُورَةُ نِزَاعٍ . وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ الْبَاهِلِيِّ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْشَارِي فَعَصِيبٌ شِمَ قَالَ : ذُرُّوا

المِرَاء لَقَدْ خَيْرُوا، ذَرُوا المِرَاء فَإِنْ نَفَعَهُ قَلِيلٌ وَهُوَ يَهْبِجُ العَدَاوَةَ بَيْنَ
الإِخْوَانِ.

[أيضاً ص ٤٢٩]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ بِالْيَمَنِ وَكَانَ
لِي جَارٌ يَهُودِيٌّ وَيُخْبِرُنِي عَنِ الثَّوَرَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا يَهُودِيٌّ مِنْ سَفَرٍ فَقُلْتُ:
إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ بَعَثَ فِيْنَا نَبِيًّا قَدَعَا إِلَى الإِسْلَامِ فَأَسْلَمْنَا، وَقَدْ
نَزَلَ عَلَيْنَا مُصَدِّقًا لِلثَّوَرَةِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: صَدَقْتَ، وَلَكِنِّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ
أَنْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ، إِنَّا نَجِدُ نَعْتَهُ وَنَعْتُ أَهْلِهِ أَنَّهُ لَا يَجِلُّ لِأَمْرٍ
يَعْلَمُ مِنْهُمْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عَتِيَةِ بَابِهِ وَفِي قَلْبِهِ مَسْخِيفَةٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.

[أيضاً ص ٤٣٠]

قَالَ السَّلَفُ الصَّالِحُونَ: مَا يَحْسُدُ الشَّيْطَانُ الْمُتَعَاوِينَ عَلَى بَرٍّ
حَسَنَهُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ
وَيَحْتِ قَبِيلَهُ عَلَى إِفْسَادِ مَا بَيْنَهُمَا. وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقُلْ
لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإِسْرَاءُ: ٥) يَعْنِي: يَقُولُونَ
الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةَ بَعْدَ نَزْعِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُخْبِرًا عَنْ يُونُسَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (يُونُسُ: ٤١٠).

[أيضاً ص ٤١٦]

١٠ - وَعَلَى السَّالِكِ أَنْ يَنْصَحَ لِأَخِيهِ وَإِذَا أَنْ يَفْضَحَهُ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
النُّصِيحَةِ وَالْفَضِيحَةِ فَمَا كَانَ فِي السَّرِّ فَهُوَ نَصِيحَةٌ، وَمَا كَانَ عَلَى
الْعَلَانِيَةِ فَهُوَ فَضِيحَةٌ، وَقَلَّمَا نَصَحَ فِيهِ النُّبَّةُ لَوَجَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَأَنَّ
فِيهِ شَاعَةً، وَكَذَلِكَ الْفَرَقُ بَيْنَ الْعِتَابِ وَالتَّوْبِيخِ، فَالْعِتَابُ مَا كَانَ فِي
خَلْوَةٍ، وَالتَّوْبِيخُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي جَمَاعَةٍ.

وَكَذَلِكَ يُذَارِي وَلَا يُذَاهِرُ، فَالْمُذَارَاةُ مَا أُرْذِتَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى
وَطَرِيقَ الْآخِرَةِ مِنْ دَفْعِ عَنِ دِينٍ وَفُضِّدَتْ بِهِ سَلَامَةُ أَخِيكَ مِنَ الْإِثْمِ

وَصَلَّاحٌ قَلْبُهُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالْمُدَاهَنَةُ مَا اجْتَلَبَتْ بِهِ مِنْ دُنْيَا وَأُودَتْ بِهِ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَكَذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْغِيْطَةِ وَالْحَسَدِ، إِنَّ الْغِيْطَةَ أَنْ تُحِبَّ لِنَفْسِكَ مَا رَأَيْتَ مِنْ أَحَبِّكَ، وَلَا تُحِبَّ زَوَالَهُ عَنْهُ، بَلْ تَقْبِيْشُهُ لَهُ وَإِنْشَاءَهُ عَلَيْهِ، وَالْحَسَدُ مَا أُرِدْتَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ لَكَ، وَأَحْبَبْتَ زَوَالَهُ عَنْهُ وَكَرِهْتَ تَقْبِيْشَهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا مَكْرُوهٌ فَإِنْ سَعَيْتَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ فَهُوَ الْبَغْيُ زِيَادَةُ عَلَى الْحَسَدِ، وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي.

أَخِيكَ بِدَلِيلٍ يَظْهَرُ لَكَ أَوْ شَاهِدٍ يَبْدُو مِنْهُ أَوْ عَلَامَةٍ تُشْهَدُهَا فِيهِ، فَتَنْقَرُسَ مِنْ ذَلِكَ فِيهِ وَلَا تَنْطِقُ بِهِ إِنْ كَانَ سُوءًا، وَلَا تُظْهِرُهُ وَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ وَلَا تَقْطَعُ بِهِ فِتْنَتَهُ، وَسُوءُ الظَّنِّ مَا ظَنَنْتَهُ مِنْ سُوءٍ رَأَيْتَ فِيهِ أَوْ لِأَجْلِ جَفَدٍ فِي نَفْسِكَ عَلَيْهِ أَوْ لِسُوءِ نِيَّةٍ تَكُونُ أَوْ خَبَتْ خَالٍ فِيكَ، تُغْرِفُهَا مِنْ نَفْسِكَ فَتَحْمِلَ خَالَ أَخِيكَ عَلَيْهَا وَتَقْبِيْشُهُ بِكَ، فَهَذَا هُوَ سُوءُ الظَّنِّ وَالْإِثْمُ، وَهُوَ غِيْبَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مُحْرَمٌ.

[أيضاً ص ٤٢٧، ٤٢٨]

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَذَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

[أيضاً ص ٤٢٩]

وَمِنْ عَلَامَةِ الثَّقَفِ حُسْنُ الْمَقَالِ عِنْدَ الثَّقَوِيِّ، وَجَمِيلُ الْبَشْرِ عِنْدَ الثَّقَاطِعِ، أَنَسَدْنَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ فِي مَعْنَاهُ:

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَقَفَضَى وَدَّهَ يُخْفِي الْقَبِيْحَ وَيُظْهِرُ الْإِحْسَانَا

وَتَرَى الشَّيْءَ إِذَا تَصَرَّمَ حَبْلُهُ يُخْفِي الْجَمِيلَ وَيُظْهِرُ الْبُهْتَانَا

فَرُصِفَ الْكَرِيمُ فِي هَذَا الْمَعْنَى التَّخَلُّقَ بِخُلُقِ الرُّبُوبِيَّةِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِهِ: يَا مَنْ أَظْهَرَ

الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريزة ولم يهتك الستر.

[أيضاً ص ٤١٧]

وإنشاء هذه الأوصاف في نفسه يقال له التعلق بأخلاق الله. وعلى السالك أن يختار من هذا الذخاء. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَتِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٤٠].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَطُفُّ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عُلِقَ نَعْلَاهُ بِبَيْدِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ ذَلِكَ»، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرْءِ الْأَوَّلِيِّ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِثْلُ مَقَاتِلِهِ أَيْضاً»، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِيِّ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أُدْخِلُ عَلَيْهِ ثَلَاثاً، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ؛ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يَرَهُ يَوْمٌ مِنَ اللَّيْلِ شيئاً غير أنه إذا تَغَارَّ ثَقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل، وكثير، حتى لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْراً، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ اللَّيَالِي، وَكَدَتْ أَنْ أُخْفِزَ عَمَلُهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

«يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَتْ أُنْتُ الثَّلَاثَ الْمَرَّاتِ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ فَأَنْظَرَ مَا عَمَلْتُكَ فَأَقْتَدِي بِكَ، فَلَمَّ أَرَاكَ عَمِلْتُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ، فَلَمَّا وَلِيتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتُ غَيْرَ أَنِّي لَا

أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَخِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ غُشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَغْفَلُهُ
اللَّهُ إِلَهُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ.

[رواه أحمد: الترمذي والترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٤٩]

لِلْإِدَامَةِ الْمُوَاحَاةِ خُلُقَانِ أَسَاسِيَانِ: تَوَاضُعٌ وَإِيْثَارٌ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»، قَالَ شَاعِرٌ مَا مَعْنَاهُ:

مَنْ تَوَاضَعَ وَتَخَضَّعَ كَمَا لِلْأَرْضِ غَطَّاهُ زَخْمَةُ اللَّهِ كَالسَّمَاءِ

قَالَ شَيْخٌ لِمُرِيدِيهِ: كَلِّبْ صَاحِبَ الْكَهْفِ فَوَعِدَ بِالْجَنَّةِ
وَذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. اخْسِئُوا أَصْحَابَكُمْ كَمَا أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَاخْسِئُوا
اللَّهُ سَكْمُ كَلْبِهِمْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِرِزْقِهِ أَصْحَابَكُمْ، كَانَ الْخَوَاجِةُ فَضَّلَ عَلَي
الْفَرَيْشِيِّ يَقُولُ لِمُرِيدِيهِ:

يَا مَغْسَرُ الْفَقَرِ الْظُورِ إِنِ الرَّأْسَ مُرْتَفِعٌ كُلَّمَا يَخْطِئُ الْإِنْسَانُ
يَضْرِبُ رَأْسَهُ بِالسَّمَاءِ وَالْقَدَمُ مُتَخَفِضٌ، وَكُلَّمَا أَتَمَّ الْإِنْسَانُ يَأْخُذُ النَّاسُ
الْأَقْدَامَ وَيَعَاوِلُونَ لِإِرْضَائِهِ فَلْيَأْكُمِ وَالتَّكْبُزِ. وَيَتَّبِعِي لِلْسَّالِكِ أَنْ يَتَوَاضَعَ
لِأَخِيهِ فِي الدِّينِ حَتَّى لَوْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَمَشَى لَا تَغْضَبُ.

كَانَ شَيْخٌ يَذْكُرُ فَضْلَ التَّوَاضُّعِ هَكَذَا: الْإِنْسَانُ يَضَعُ جَبِينَهُ عَلَى
الْأَرْضِ فِي السَّجْدَةِ فَاحِبَ اللَّهُ هَذَا الْعَجِزَ حَتَّى قَالَ: أَقْرَبُ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانُ فِي السَّجْدَةِ. عَلَامَةُ التَّوَاضُّعِ أَنْ يَحْسِبَ الْآخَرِينَ خَيْرًا وَأَحْسَنَ
مِنْهُ فَالسَّالِكُ يَخْتَرِمُ الْكِبَارَ لكَثْرَةِ حَسَنَاتِهِمْ مِنْهُ وَيَشْفِقُ عَلَى الصَّغَارِ لِقِلَّةِ
سَيِّئَاتِهِمْ مِنْهُ.

حكاية: كَانَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّالِكِينَ يَتَشَوَّرُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ لِلْحَضُورِ
إِلَى زَاوِيَةِ شَيْخِهِمْ، فَرَأَاهُمْ شَخْصٌ فَقَالَ: لَأَذْهَبُ وَأَطْلُبُ الدُّعَاءَ مِنْ
أَكْثَرِهِمْ وَلَايَةً، فَصَافَحَ الْأَوَّلَ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيٌّ فَادْفَعْ لِي فَقَالَ: أَنَا خَادِمٌ.
وَالْأُولَاءُ مَنْ يَأْتُونَ خَلْفِي فَطَلَبَ الدُّعَاءَ مِنَ الثَّانِي، فَأَجَابَ هَكَذَا: إِنِّي

كَخَادِمٍ وَالْأَوْلِيَاءَ مَنْ يَأْتُونَ بِنُعْدِي، وَهَكَذَا حَتَّى تَجَاءَ الْأَمِيرُ فُطِّلَبَ الدُّعَاءُ مِنْهُ وَقَالَ: أَنْتَ وَلِيٌّ فَأَذْغُ لِي فَقَالَ: أَنَا خَادِمٌ وَالْأَوْلِيَاءَ هُمُ الَّذِينَ تَمْضُوا قُدَّامِي.

اللَّهُ أَكْبَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْسِبُ أَصْحَابَهُ أَفْضَلَ وَأَعْلَى مِنْهُ. الْإِثَارُ أَنْ يَفْضَلَ أَخَاهُ مَعَ حَاجَتِهِ وَهُوَ وَصِفُ امْتَارَ بِهِ الصُّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ١٩].

وَقِصَّةُ الصُّحَابَةِ مَعْرُوفَةٌ أَنَّ ضَيْفًا دَخَلَ بَيْتَهُ، فَوَضَعَ الْمَائِدَةَ وَأَطْفَأَ الشَّرَاجَ وَلَمْ يَأْكُلْ حَتَّى يَشْبَعَ الضَّيْفُ.

اجْتَمَعَ فِي الرِّقِّ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْإِنْعِلَاقِي ثَلَاثُونَ سَالِكًا وَكَانَ الطَّعَامُ يَكْفِي لِخَمْسَةٍ. وَضَعَ الْخَادِمُ الطَّعَامَ عَلَى الشُّفْرَةِ وَأَطْفَأَ الشَّرَاجَ، فَرَأَى الْخَادِمُ بَعْضَ الطَّعَامِ بَاقِيًا. كُلُّ وَاحِدٍ أَكَلَ قَلِيلًا حَتَّى يَأْكُلَ أَخُوهُ، وَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ مَنْقُولَةٌ مِنَ الصُّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، قَدْ دَارَ رَأْسُ شَاةٍ فِي سَبْعَةِ بَيُوتٍ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ.

تَسَحَّرَ وَأَفْطَرَ عَلَيَّ وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِالْمَاءِ، وَقُدِّمَ طَعَامُهُمَا لِلْسَّائِلِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالطَّعَامِ عَلَى حَبْوٍ وَيَكْفِي وَبَيِّنًا وَبَيِّنًا﴾ [الإنسان: ١٨].

طَلَبَ عَازِ جَرِيحٍ مِنْ حَذِيقَةِ الْمَاءِ فِي عَزْرَةِ الْيَزْمُوكِ فَنَوَجَّعَ هِشَامُ ابْنُ الْعَاصِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَأَخْلَقَ قَمْعَهُ وَأَشَارَ إِلَى الثَّانِي أَنْ اسْتَفِهِ أَوَّلًا وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الثَّانِي سَمِعَ صَوْتًا مِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ، فَارْسَلَهُ الثَّانِي إِلَى الثَّالِثِ، فَلَمَّا وَصَلَ الثَّالِثُ إِلَى الثَّانِي وَجَدَهُ قَدْ تَوَفَّى، فَجَعَلَ إِلَى الْأَوَّلِ فَوَجَدَهُ شَهِيدًا أَيْضًا. أَمْسَى هَؤُلَاءِ الْمُتَجَاهِدُونَ بَابًا جَدِيدًا لِلْإِثَارِ فِي الثَّارِبِخِ الْإِنْسَانِي حَيْثُ لَمْ يَسْرِبُوا الْمَاءَ عِنْدَ الثَّرْعِ، وَأَرْسَلُوا إِلَى الْآخِرِ وَمَاتُوا عَطَاشًا.

تَجَسَّسَ الْمُتَحَرِّقُ بِرَأْسِهِ فَيَقْدِمُ : السُّلُوكُ لِأَبِي الْحَسَنِ الثَّوْرِيِّ . رَدِّ ١٤١ أ .
 وَرَقَامَاءَ ، فَلَمَّا جَاءَ وَقَّتَ الْقَتْلَ تَقَدَّمَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الثَّوْرِيُّ إِلَى الْجَلَادِ
 لِيُقْتَلَ ، فُسْئِلَ لِمَ تَقَدَّمَ ؟ فَقَالَ : حَتَّى يَجِدَ أَخِي ثَوَانِي مِنَ الْحَيَاةِ ، سُبْحَانَ
 اللَّهِ ! إِنَّ هَؤُلَاءِ سَقَوْا نَبَاتَ الْمَوَاحِشِ بِالْإِثَارِ حَتَّى أَصْبَحَتْ شَجَرَةً أَصْلُهَا
 ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ . عَلَّمَ الْإِسْلَامُ الْإِثَارَ لِلْمُصَاحِبِ بِالْجَنْبِ فَضْلاً
 عَنِ الْأَخُوَّةِ فِي الطَّرِيقَةِ وَالْأَعْزَةِ وَالْأَقَارِبِ .

إِنَّ الْأَخُوَّةَ فِي اللَّهِ وَالْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ وَحُسْنَ الْمُصَاحَبَةِ مِنْ ذَاتِ
 السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، وَفُقِدَتْ الْيَوْمَ وَدُعِبَتْ أَثَارُهَا . مَنْ يَعْمَلُ بِهَا يُحْيِيهَا
 وَمَنْ يُحْيِيهَا يَنَالُ أَجْرَ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ . الْمَثَلُ الَّذِي وَجَدَ أَخاً مُخْلِصاً
 عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى وَيَقُولَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

ملحوظة : مُعْظَمُ الْقِصَصِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَسْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَأْخُودٌ
 مِنْ كِتَابِ قُرْبِ الْقُلُوبِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّي .

الباب الثالث عشر

أسئلة وأجوبة

س ١: كيف يقال الشيخ من المریدین المخبئة بعد الثقل والعقاب؟

ج: القليب يشترط الجلد بالمشروط، ولكن بعد حصول الشفاء يدعى له الناس.

س ٢: يعتبر اليوم ابن غير مؤهل للشيخ الكامل شيخاً كاملاً، هل هذا صحيح؟

ج: كما لا يرضى شخص بجعل ابن الدكتور دكتوراً ما لم يتعلم الطب بنظام، كذلك لا يكون ابن الشيخ شيخاً ما لم يجد النسبة بنظام. نعم لو وجد النسبة، فولد الشيخ يكون ثوراً على نور، يستحسن تجديد النعمة على يديه.

س ٣: بعض الناس يقولون: إن كان الشيخ غير كامل فلا يخرج عندما كان اليقين مُحكماً. هل هذا صحيح؟

ج: كما أن مشجونا لا يخلص مشجوناً آخر، وشخصاً نائماً لا يستطيع أن يوقظ نائماً آخر، أو شخص أعمى لا يهدي أعمى آخر، كذلك شخص غافل لا يستطيع أن يجعل الغافل ذاكراً، فكيف يصير المرید كاملاً عندما لم يكن الشيخ كاملاً.

س ٤: إذا كان القرآن والحديث مؤجودين عندنا فلا نحتاج إلى شيء نحتاج إلى الشيخ؟ ألا يستطيع الإنسان أن يصلح نفسه؟

ج : الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ شَاهَدُوا نُزُولَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَشَاهَدُوا صَاحِبَ الْقُرْآنِ ﷺ، وَسَمِعُوا كَلَامَهُ ﷺ بِأَذَانِهِمْ، وَلَكِنْ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُرَكِّوا أَنْفُسَهُمْ، بَلْ رَكَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَعْلَمُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ أَنَّهُ لَا يَدُّ مِنْ مُرْكَ، فَكَيْفَ تَصْلُحُ الْيَوْمَ نَفْسُنَا فِي هَذَا الْعَضْرِ الدَّاهِبِ؟ كَمَا أَنَّ الشَّجَرَ لَا يَشْعُرُ بِثَقْلِ ثَمَرِهِ، كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ لَا يَرَى عُيُوبَهُ ذَمِيمَةً. فَلَا بُدَّ لِلْإِسْلَاحِ أَنْ يَرْجِعَ الْإِنْسَانُ إِلَى شَيْخٍ يُعَالِجُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَاطِنِيَّةِ - مِثَالُ التَّرَكُّبَةِ بِدُونِ شَيْخٍ كَمِثَالِ شَخْصٍ يَقُولُ: أَنَا مَرِيضٌ وَكُتِبَ الطَّبِّ مُوجُودَةٌ أَقْرَأَهَا وَأَذَاوِي نَفْسِي، هَلْ يُقَالُ لَهُ: إِنَّهُ عَاقِلٌ؟

س ٥ : بَعْضُ السَّالِكِينَ يُضَيِّقُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ دَائِرَةَ الْمُبَاحَاتِ وَيَخْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنْ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ مَاذَا يَقُولُ فِيهِ؟

ج : لَيْسَتْ الْحِكْمَةُ فِي تَكْثِيرِ الْمُبَاحَاتِ أَلْ يَسْتَحْلِمُ كُلُّ شَخْصٍ كُلَّ مُبَاحٍ، بَلْ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَنْ يَخْتِاجُ إِلَى أَيِّ مُبَاحٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ؟ فَيَقْصُرُ الْأَشْيَاءَ مُبَاحٍ لِلضَّرُورَةِ، وَلِذَا يَجْتَنِبُ بَعْضُ الْمَشَايخِ مِنَ التَّيْبُولِ وَشُرْبِ الشَّاي فَضلاً مِنَ التَّكْثِيرِ.

س ٦ : قَدْ يُعْرَضُ لِلْسَّالِكِينَ كَثِيفَاتٌ عَجِيبَةٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ مِنْهَا شَيْءٌ، مَا سَبَبُ ذَلِكَ؟

ج : مِثْلُ السَّالِكِ مِثْلُ شَجَرَةٍ تَخْرُجُ تِرَاعِيمُهَا وَتُظْهِرُ أَوْزَاقَ جَدِيدَةٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي خُرُوجُ الْأَوْزَاقِ الْجَدِيدَةِ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ قَدْ انْتَهَى نُمُوُّهَا، بَلِ الشَّجَرَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَفُوزُ سَاقِهَا وَفُرُوعُهَا، هَكَذَا أَحْوَالُ السَّالِكِ.

س ٧ : كَيْفَ يَعْرِفُهُ السَّالِكُ، مَاذَا مَسْرَبُهُ؟

ج : يَظْهَرُ عَلَى السَّالِكِ ظُهُوراً بَيِّناً عَكْسُ صِفَاتِ نَبِيِّ هُوَ تَحْتَ قَدَمِ

ذَلِكَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ كَانَ مُوسَوِي الْمَشْرَبِ يَكُونُ كَثِيرَ
السَّعْيِ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمِي الْمَشْرَبِ فَمَيِّزُهُ الثَّوَكُلُ
عَلَى اللَّهِ وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ، وَيَغْلِبُ الزَّهْدُ فِي حَيَاةِ عَيْسَوِي الْمَشْرَبِ
وَيَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ سَالِيَةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِمُحَمَّدِي الْمَشْرَبِ حُبٌّ شَدِيدٌ
لِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

س ٨: لَوْ بَقِيَ قَيْضُ الْأَوْلِيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى مُتَابَعَةِ شَيْخِ
آخَرٍ؟

ج: يَبْقَى الْقَيْضُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ لَا بِمُقَدَّارٍ يَجْعَلُ النَّافِعُ كَامِلًا.

س ٩: لَوْ غَضِبَ الشَّيْخُ عَلَى مُرِيدٍ وَبَقِيَ حُسْنُ اعْتِقَادِ الْمُرِيدِ فِي حَقِّ
شَيْخِهِ هَلْ تَبْقَى الْبَيْعَةُ أَمْ لَا؟

ج: لَوْ غَضِبَ الشَّيْخُ وَلَا يَزَالُ اعْتِقَادُ الْمُرِيدِ حَسَنًا بَقِيَ بَيْعَتُهُ، فَقَدْ
غَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى كُفْرِ بْنِ مَالِكٍ وَلَكِنْ بَقِيَ اعْتِقَادُهُ
سَالِمًا فَأَمْلَحَ.

س ١٠: لَوْ فَسَدَ اعْتِقَادُ الْمُرِيدِ فِي حَقِّ شَيْخِهِ وَالشَّيْخُ لَا يُقِيلُ الْبَيْعَةَ
أَتَبْقَى بَيْعَتُهُ أَمْ لَا؟

ج: تَنْتَهِي الْبَيْعَةُ، فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِي إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَاءَ مِنَ الْعَدُوِّ مَحْمُومًا - وَفِي
رَوَايَةٍ: فَأَصَابَ الْأَغْرَابِيَّ وَعَكٌ بِالْمَدِينَةِ - فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي،
فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقْلِنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَغْرَابِيُّ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تُنْفِي خَبَرَهَا، وَتُلْصِقُ
طَبِيبَهَا».

[أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالْمَوْطَأُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَلَمْ يَذْكُرِ
النَّسَائِيُّ وَعَكَةً؛ جَامِعُ الْأَصُولِ ج ٩ ص ٣١٩]

س ١١: كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تُكُونَ عَلاَقَةُ الْمُرِيدِ بِالشَّيْخِ؟

ج: يَنْبَغِي أَنْ تُكُونَ كَمَا كَانَتْ لِسَيِّدِنَا الصَّدِّيقِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، ففِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَانِي ثَلَاثٌ... فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (صَدَّقْتَ بِأَرْسُولِ اللَّهِ، وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثٌ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْفَاقُ مَالِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَأَنْ تُكُونَ ابْنَتِي تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

[المنهايات لابن حجر ص ٢٧، ٢٨]

فَقَدِّبُوا. كَانَتْ ذَاتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِيَ الْمَرْكَزُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ. فَيَنْبَغِي أَنْ يُكُونَ لِلسَّالِكِ مَعَ شَيْخِهِ عَلاَقَةُ الْحُبِّ مِثْلَهَا.

س ١٢: هَلْ تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي السُّلُوكِ بِالدُّكْرِ أَوْ بِشَيْءٍ آخَرَ أَيْضاً؟

ج: تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ فِي الْبَدَايَةِ بِالدُّكْرِ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَنٌ لَا يَبْقَى فِيهِ الدُّكْرُ مَفِيداً، وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ نَفْسِي وَإِتِّبَاتٍ، بَلْ يَزِيدُ الْفِكْرُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ تَنْفَعُ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَكَثْرَةُ التَّوَافِلِ وَالتَّبْلِغُ وَالتَّدْرِيسُ وَالتَّصْنِيفُ، ثُمَّ تَأْتِي مَرَحَلَةُ الْقُرْبِ بِالْفَرَاغِ، سَوَاءٌ أَهَانَتْ مَعِينَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَمْ مِنَ الْعِبَادِ، كَأَنْ يَأْمُرَ الشَّيْخُ بِالْخِدْمَةِ فِي الزَّوَاوِي، فَهَذِهِ الْخِدْمَةُ أَكْثَرُ فَائِدَةً مِنَ الدُّكْرِ وَالْفِكْرِ وَيُسَمَّى بِالْقُرْبِ بِالْفَرَاغِ.

س ١٣: مَا الْمُرَادُ بِخَوَاصِّ الدُّرُوسِ؟

ج: يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ دُرْسٍ إِزَالَةُ زَيْلَةٍ، يَلَاحِظُ الشَّيْخُ هَلْ زَالَتْ الرُّذَائِلُ أَمْ لَا؟ عِنْدَمَا زَالَتْ زَدَائِلُ لَعِيفَةٍ يُعْطَى الشَّيْخُ دَرْساً جَدِيداً.

س ١٤: مَا الْمُرَادُ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافِلِ؟

ج: يَتَقَدَّمُ السَّالِكُ بَعْدَ حُصُولِ الْفَتَاءِ الْكَامِلِ بِالْقُرْبِ بِالتَّوَافِلِ، فَيَعْبُدُ اللَّهَ بِأَيِّ عِبَادَةٍ يَرِيدُ، ثُمَّ يُشْغِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ دِينِي يَشَاءُ،

وهذا يُسمى بالقرب بالفرائض، فالبعض يفتوح إليه أمر التبليغ،
والى البعض أمر التدريس أو التعريف والتأليف، ويعاتب صاحب
القرب بالفرائض لو اشتغل بالتواقل، كما عوتب داود عليه السلام
ببعث رجلين إليه في الخلوة.

س ١٥: هل يمكن ذكر النفي والإثبات بحسب النفس مرة واحدة أكثر من
واحد وعشرين أم لا؟

ج: على السالك أن يبلغ عدد هذا الذكر بعد مُراعاة شرائطه إلى واحد
وعشرين، ثم لو زاد على هذا لاستفاد. ففي المكتوبات المعصومية
أن شخصاً كتب إليه أنه يذكّر بالنفي والإثبات في نفس واحد مائة
مرة فشجعه الشيخ محمد معصوم رحمه الله تعالى.

س ١٦: هل يحصل براءة القرآن الفوائد والثمرات التي تحصل بأذكار
الصوفيّة؟

ج: معظم فائدة السالك في البداية يحصل بالذكر حتى يجد قناء القلب
وقناء النفس، ثم يكون ارتفاع بالثلاوة والتواقل وباشتغال دينية
أخرى.

س ١٧: الذين يكثر ذروبهم ولم يتوفر لهم الوقت ماذا يفعلون؟

ج: لو تجاوز هؤلاء لطايفهم فتوجهين قاصدين لا تخلو عن الفائدة.

س ١٨: ما معنى سلب النسبة؟

ج: النسبة اسم علاقوة بين الله وبين العبد لا يستطيع أحد أن يسلبه.
نعم يمكن سلب الكيفيات والواردات.

س ١٩: بعض الناس يتهللون بالنسبتيهم كل وقت يقولون: لا إله إلا
الله، هل هذا جائز؟

ج: جائز مائة في المائة، بل هو مستحسن. سئل الشيخ عزيزان علي

الرايتني رحمه الله تعالى عن هذا السؤال، فأجاب: إِنَّ الشَّرْعَ أَمَرَ بِثَلَاثِينَ الْمُحْتَضِرَ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ وَأَنَا أَحْسِبُ نَفْسِي مُحْتَضِرًا كُلَّ رُقْبَةٍ فَأَلْقَى نَفْسِي بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ.

س ٢٠: الَّذِينَ يَضَعُونَ الْمُضْخَفَ الشَّرِيفَ فِي جُيُوبِهِمْ وَيَضْطَرُونَ لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَرْخَاضِ، فَمَا حُكْمُهُمْ؟

ج: يُتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ حُكْمُ الْجَيْبِ حُكْمَ الْغِلَافِ وَالْأَحْسَنُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَطْوِيَ الْمُضْخَفَ فِي غِلَافِ الْبِلَاسْتِيكِ ثُمَّ يُوضَعَ فِي الْجَيْبِ.

س ٢١: الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ مُتَنَظِّرًا لِلصَّلَاةِ، لِمَاذَا؟

ج: إِذَا أَصْبَحَتْ الصَّلَاةُ غَدَاةً لِلرُّوحِ فَيَحْرَنَ الْقَلْبُ لِلصَّلَاةِ كَمَا تَحْرَنُ الْمَعِدَةُ لِلطَّعَامِ.

س ٢٢: الْمَجْدُوبُونَ مَنْ هُمْ؟

ج: يَعْضُ عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْنُونَ لِلْأُمُورِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَبَعْضُهُمْ مُنْتَخَصُونَ لِلْأُمُورِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ. وَهَؤُلَاءِ كَالْمَجَانِينِ ظَاهِرًا وَلَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِرِجَالِ الشَّرِيعِ مَعْرِفَةُ رِجَالِ التَّكْوِينِ، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالْخَضِرِ، وَقَدْ تَجَمَّعَ وَظِيَّفْنَا التَّكْوِينِ وَالشَّرِيعِ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَمِنْ رِجَالِ التَّكْوِينِ قُطْبُ الْمَدَارِ، وَمِنْ رِجَالِ الشَّرِيعِ قُطْبُ الْإِرْشَادِ. وَيَكُونُ قُطْبُ الْمَدَارِ تَحْتَ قُطْبِ الْإِرْشَادِ غَالِبًا.

رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَابَلَ الْخَضِرَ وَقَالَ: (أَتَيْتُكَ لَتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلًا). قَالَ: (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى إِنْ عَلِمَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عِلْمُكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ).

وهؤلاء الرجال رجال الأمور التكوينية يُقال لهم المتجاذِب.

س ٢٢: ما المراد بالواردات الكونية والواردات العلمية؟

ج: قد تلقى في قلب السالك نكات علمية، وقد تلقى نكات تتعلّق بالأمور المادية؛ مثل أنه سيكون كذا وسوف لا يكون كذا، ويُقال لها الواردات الكونية، ويُقال للمعارف العلمية الواردات العلمية، وكلاهما مضمود ولكن المعارف العلمية أفضل من الكونية، فالعلمية لا تنأى لكل واجد.
ع: يُلقون الرحيق في كأس الطلب.

س ٢٤: ما هو المشرب؟

ج: كل سالك لا بد أن يكون تحت قدم نبي، ولكن ليس كل سالك يعرف أنه تحت قدم أي نبي؟

حكاية: أرسل شيخ مربذه إلى حضرة شيخ آخر ليُعرف مشربه، فلما وصل إليه المربذ، قال ذلك الشيخ: كيف حال يهوديكم؟ فعُصِب المربذ. فلما رجع وسأله شيخه عما جرى، أجاب المربذ متلعثمًا، فقال الشيخ: الحمد لله، أنا مؤسوي المشرب.

س ٢٥: من يُقال له القيوم؟

ج: العالم مظهر تجليات صفات الله تعالى، فينبغي أن يكون هناك مظهر لتجليات الذات سبحانه وتعالى، ويُقال له القيوم، فقيام العالم ليس بالسائل المادية بل بلوثر الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ» وفي رواية: «حتى لَا يَقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ».

✽خرجه مسلم وأخرج الترمذي الثانية: جامع الأصول ج ١٠ ص ٣٩٤

المشايخ يكثرُونَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُثْقُونَ هَذَا الْعَمَلَ فَيَجْعَلُ شَخْصٌ مِنْهُمْ قِيُومًا.

س ٢٦ : مَا الْمُرَادُ بِإِدِّ الْغَيْبِ؟

جـ : يَجِدُ بَعْضُ الْمَشَايِخِ رِزْقَهُمْ تَحْتَ السَّجَادَةِ أَوْ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ خَفِيٍّ يُقَالُ لَهُ يَدُ الْغَيْبِ، وَمِنْ يَدِ الْغَيْبِ أَنْ يَخْتِمَ أَحَدٌ هَدِيَّةً وَهُوَ لَا يَرُجُو.

س ٢٧ : مَا هُوَ أَصْلُ حَتَمَاتِ الْمَشَايِخِ؟

جـ : قِرَاءَةُ آيَةٍ أَوْ عَمَلٌ عِبَادَةٌ لَهَا مُنَاسِبَةٌ كَامِلَةٌ بِحَيَاةِ الشَّيْخِ وَسِيرَتِهِ لِإِضْطَالِ تَوَابِهَا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ يُقَالُ لَهَا الْخَتَمُ، وَبَعْضُ الْمَشَايِخِ هُمْ يُعَيِّنُونَ خَتَمَهُمْ وَيُعَيِّنُ لِلْبَعْضِ بَعْدَ وَقَائِهِ مُرِيدُوهُ.

س ٢٨ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الرُّوْيَا وَالْوَاقِعَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ؟

جـ : كُلُّ مَا يُرَى فِي النَّوْمِ يُقَالُ لَهُ الرُّوْيَا وَإِنْ شَهِدَ بَعْدَ مَا نَامَ تَجَالِيساً لِلْمُرَاقَبَةِ يُسَمَّى وَاقِعَةً، وَإِنْ رَأَى شَيْئاً فِي الْمُرَاقَبَةِ مُسْتَقِظاً يُسَمَّى مُشَاهَدَةً.

س ٢٩ : مَا الْمُرَادُ مِنَ الْقُبْضِ وَالْبَسْطِ؟

جـ : يُشْعَرُ السَّالِكُ بَعْضُ الْأَحْيَانِ بِإِشْرَاحٍ عَجِيبٍ وَكَيْفِيَّاتٍ غَرِيبَةٍ، وَيُسَمَّى هَذَا بِالْبَسْطِ، وَقَدْ تَخْتَفِي هَذِهِ الْكَيْفِيَّاتُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، وَيُقَالُ لَهُ الْقُبْضُ. وَكِلَاهُمَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَيْفَ نَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ الْبَسْطَ فَقَطْ لِضَعْفِنَا. كَمَا أَنَّ الزَّارِعَ يَسْقِي الشَّجَرَ ثُمَّ يَتْرُكُهُ مَدَّةً لِيَجْذِبَ الْمَاءَ وَيَجِفَّ، يَضُرُّ السَّقْفِي كُلَّ يَوْمٍ وَالشَّجَرُ يُضْبِحُ خَضِيراً نَاضِراً بِالسَّقْفِي عَزَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. هَذِهِ حَقِيقَةُ الْقُبْضِ وَالْبَسْطِ لَا بَدَّ مِنْهُمَا لِتَرْبِيَةِ السَّالِكِ.

س ٣٠ : مَا مَعْنَى الْقَنَاءِ فِي الرُّسُولِ؟

جـ : الْكَيْفِيَّةُ الَّتِي يَخْضُلُ فِيهَا أَتْبَاعُ السُّنَّةِ طَلَباً تُسَمَّى الْقَنَاءُ فِي الرُّسُولِ.

س ٣١ : مَا هُوَ «يَادِ دَاشْت»؟

ج : الولد الصغير يتحفظ حروف الهجاء ويرددها سريعاً، والكبير لا يرددها سريعاً مثله، ولكن يكتب عند الضرورة العبارة الصحيحة، أو يقول: نريد الذهاب إلى المسجد وننظر في الطريق إلى هنا وهناك ونسلم على الأصدقاء، ولكن لا ننسى الذهاب إلى المسجد يقال له: «يا دأشت» ومعناه التذكر. كذلك السالك يستعمل بأعمال الدنيا، ولكن لا يذهل عن ذكر الله تعالى.

س ٢٢ : ما هو الفرق الأناسي بين السلسلة النقشبندية والسلسلة الجشنية؟

ج : في كل سلسلة أولياء كاملون والفرق في طريق الوصول فقط. استشار شخص الشيخ الحاج أمداد الله المهاجر المكي، هل يتابع في السلسلة النقشبندية أو في السلسلة الجشنية؟ فقال، مثاله: أرض فيها شجيرات فلزرعها طريقتان: الأولى أن تنقي سنة أو نصف سنة ثم تزرع، والثاني أن ما ينظف منها يزرع، وهكذا تتم التنقية والزرع معاً. فقال الرجل: الطريق الثاني أحب إلي. الموت لا يدرى وقته، فقال الشيخ: فعلبك بالبيعة في السلسلة النقشبندية.

س ٢٣ : ما هو السبب لكثرة انتشار السلاسل الصوفية في البلاد الحنفية كالباكستان والهند وبنغلاديش وولايات وسط آسيا وتركيا وسوريا والأردن؟

ج : خلاصة الدين في فقه الأئمة الأربعة، وتتلخص هذه الأربعة في فقهين: الحنفي والشافعي، وقال المجتهد رحمه الله: إنه يغلب في الفقه الحنفي كمالات النبوة، ويغلب في الفقه الشافعي كمالات الولاية. فاتباع السنة النبوية في البلاد الحنفية كثير.

س ٢٤ : يتكرر في الصلاة الوسوس والخفرات؟

جـ : كُلَّ وَسْوَسةٍ خَطَرَةٌ، وليس كُلَّ خَطَرَةٍ وَسْوَسةٌ، بَلِ الْوَسْوَسةُ خَطَرَةٌ تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ غَايَتِهِ، تَأْتِي فِي صَلَاتِنَا خَطَرَاتٌ دُنْيَوِيَّةٌ وَالدُّنْيَا أَثْقَلُ وَيَأْتِي لِلْكَافِرِ خَطَرَاتٌ دِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، فَكَانَ عَمَرُ رَضِييَ اللَّهِ عَنْهُ يُجَاهِزُ جُيُوشَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْخَطَرَاتِ مَحْمُودَةٌ لَا تَمْنَعُ حُضُورَ الْقَلْبِ.

س ٣٥ : يَكُونُ لِبَغْضِ الْمَشَايِخِ اسْتِغْرَاقٌ فِي الصَّلَاةِ لَا يَعْلَمُ لَهُمْ بِمَا خَوْلَهُمْ مَاذَا يَكُونُ؟ لِمَاذَا تَكُونُ صَلَاتُنَا بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ؟

جـ : حُضُورٌ مِثْلُ هَذَا الْاسْتِغْرَاقِ فِي الصَّلَاةِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَالْمَرَادُ بِحُضُورِ الْقَلْبِ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ. اخْتَصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ وَسَلَّم لَأَجْلِ بُكَاءِ صَبِيٍّ.

س ٣٦ : قِيلَ : يُعَاتَبُ الْمُشْتَهِي بِالْوَسْوَسةِ؟

جـ : يُعَاتَبُ عَلَى وَسْوَسةٍ تَفْضُلُ الْمُشْتَهِي، وَأَمَّا الْوَسْوَسةُ الَّتِي تَأْتِي وَتَذْهَبُ فَلَا مَوَاحِظَةَ عَلَيْهَا.

س ٣٧ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الظَّنِّ وَالْإِلَهَامِ؟

جـ : الْإِنْسَانُ عِنْدَمَا يُثَبِّثُ عَلَى رَأْيٍ بَنِيَّةٍ وَإِرَادَةٍ يُسَمَّى ظَنًّا وَعِنْدَمَا وَرَدَ فِي قَلْبِهِ خَطَرَةٌ بِنَفْسِهَا يُسَمَّى إِلَهَامًا.

س ٣٨ : مَا مَعْنَى عَالَمِ الْأَمْرِ وَعَالَمِ الْخَلْقِ؟

جـ : أَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَالَمَ (مُجَادِينَ) بَعْضُ الْعَالَمِ أَوْجَدَهُ بِكَلِمَةٍ «كُنْ» وَهُوَ عَالَمُ الْأَمْرِ، وَمَا أَوْجَدَهُ تَدْرِيجًا هُوَ عَالَمُ الْخَلْقِ.

س ٣٩ : هَلْ يَتَجَوَّزُ السَّمَاعُ (سَمَاعُ الْغِنَاءِ)؟

جـ : لَا يَتَجَوَّزُ مَعَ الْمَرَامِيِّ وَالْمُوسِيقِيِّ، جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْغِنَاءِ حَتَّى الْحَفْدُ وَمَذْحِ الرُّسُولِ ﷺ، وَيَتَجَوَّزُ الْغِنَاءُ بِدُونِ الْمَرَامِيرِ بَعْدَ تَحَقُّقِ عِدَّةِ شُرُوطٍ مِنْهَا:

١ - أَنْ لَا يَكُونَ مُشْتَمَلًا عَلَى مَوْضُوعَاتٍ فَاسِقَةٍ .

٢ - أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْمَجْلِسِ اخْتِلَافٌ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ غَيْرِ الْمَحَارِمِ .

٣ - أَنْ يَكُونَ لِلسَّامِعِينَ رَغْبَةٌ إِلَيْهِ كَرَغْبَةِ الْجَائِعِ إِلَى الطَّعَامِ .

س ٤٠ : مَا هِيَ عَلَامَةُ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ؟

ج : السُّنَّةُ عَمَلٌ عَالِيٌّ وَالْبِدْعَةُ عَمَلٌ مَحَلِّيٌّ أَيِ السُّنَّةُ عَمَلٌ يُوْجَدُ سَوِيًّا

فِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي كُلِّ بَلَدٍ بِكَيْفِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ صَوْمِ عَاشُورَاءَ ، فَإِنَّهُ

سُنَّةٌ يُوْجَدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ بَلَدٍ ، بَيْنَمَا الْخُفْيَالُ عَاشِيرٌ مُحَرَّمٌ

بِدْعَةٌ . وَلِذَا فَإِنَّ لَانِعَمَادِهِ فِي إِيْرَانٍ طَرِيقَةً ، وَفِي الْبَاكِسْتَانِ طَرِيقَةً

أُخْرَى ، وَفِي الْعِرَاقِ طَرِيقَةً أُخْرَى ، وَفِي الْهِنْدِ أُخْرَى .

س ٤١ : لَا يَسْتَحْسِنُ التَّصَوُّفُ طَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأُمَمِ لِمَاذَا؟

ج : بَعْضُ النَّاسِ يَشْتَقِرُونَ مِنْهُ وَيَكْرَهُونَهُ بِسَمَاعِ قِصَصِ الشُّيُوخِ

الْمُسْتَعْوِبِينَ . وَلَا يَفْكُرُونَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَطَ فِي هَذَا الْعُضْرِ الزُّدِيِّ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ بِالْجَبْدِ ، وَالتَّنْفِيحِ وَظَلِيفَتَنَا . بَدْخُلِ فِي صُفُوفِ الْعُلَمَاءِ

بَعْضُ أَسْرَارِ النُّفُوسِ عِبَادِ الدُّنْيَا وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنْ لَا يَعْلَمَ الْعُلَمَاءُ

الدِّينِيَّ . حَالَةٌ هَؤُلَاءِ الْبَاقِدِينَ مِثْلَ حَالَةِ هِنْدُ النَّبِيِّ يُقَالُ لَهَا آكِلَةُ

الْأَكْبَابِ . كَانَتْ شَدِيدَةً الْعُدَاوَةَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَقَالَتْ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَتْ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَحِبُّ أَحَدًا الْآنَ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُ .

وَهَكَذَا يَكُونُ حَالُ الْبَاقِدِينَ عَلَى التَّصَوُّفِ إِنْ انْكَشَفَ لَهُمْ حَالُهُ .

س ٤٢ : كَيْفَ يَحْصُلُ التَّقَدُّمُ فِي التَّصَوُّفِ؟

ج : بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ : ١ - بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ ، ٢ - بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ ، ٣ - بِالْتَّقْوَى ، ٤

- بِزَابِلَةِ الشُّيْخِ .

س ٤٣ : خَرَجَ مِنْ لِسَانِ بَعْضِ الْخَنَسَايِخِ مِثْلَ كَلِمَاتِ (أَنَا الْحَقُّ)

(وَسُبْحَانِي مَا أَعْلَمُ شَأْنِي) لِمَاذَا؟

ج : صَدَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ فِي خَالَةِ الشَّكْرِ، وَيَكُونُ الْإِنْسَانُ فِيهِ مُعْذُوراً مَرْثُوعاً عَنْهُ الْقَلَمُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الشَّجَرِ بِحَضْرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَوْتُ: «إِنِّي أَنَا اللَّهُ» فَمَا الْعَجَبُ لَوْ صَدَرَ مِنْ لِسَانِ إِنْسَانٍ (أَنَا الْحَقُّ) نَعَمْ لَوْ خَرَجَ مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مِنْ ذِي صَخْرٍ يَسْتَجِيقُ الْعِقَابَ وَضُرِبَ التَّعَالِي.

س ٤٤ : مَا هُوَ سَبَبُ مُعْظَمِ الذُّنُوبِ؟

ج : سَبَبُ مُعْظَمِ الذُّنُوبِ حُبُّ الْجَاوِ وَزِيَادَةُ الشَّهْوَةِ.

س ٤٥ : قَالَ الْإِمَامُ الرَّبَّانِيُّ مَجْدُهُ الْأَلْفُ الثَّانِي: سَتَجِدُ حَقِيقَةَ الْكُفْبَةِ وَالْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. مَا مَعْنَاهُ؟

ج : الْكُفْبَةُ الْمُسْتَرْفَةُ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَلِهَذَا أَضْبَحَتْ مُسْجُوداً إِلَيْهَا، وَسَيَكُونُ آخِراً قَلْبُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَرْكَزاً لِلتَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى الدَّوَامِ. سَتَجِدُ لِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيٍّ وَاحِداً، وَهُوَ يَغْفُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسَتَجِدُ لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَالْكُفْبَةُ وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ كِلَاهُمَا مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ الذَّاتِيَّةِ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْكُفْبَةَ مَرْكَزُ التَّجَلِّيَّاتِ عَلَى الدَّوَامِ، وَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ قَدْ يَكُونُ لَهَا مَرْكَزاً وَقَدْ لَا يَكُونُ.

س ٤٦ : رَوَى عَنْ بَعْضِ الْمَشَائِخِ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ فَيَقْرَأُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَكَانَ يَضَعُ الْقَدَمَ فِي الرِّكَابِ الثَّانِي فَيَقْرَأُ: «وَالنَّاسِ» كَيْفَ يُمَكِّنُ ذَلِكَ؟ وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الْمَشَائِخِ خَرَجَ مِنْ بَلَدِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَتَزَوَّجَ هُنَاكَ وَوُلِدَ لَهُ أَوْلَادٌ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَنْصُ إِلَّا سَاعَاتٍ، هَلْ هَذَا مُمَكِّنٌ؟

ج : الزَّمَنُ لَهُ طُولٌ وَلَهُ عَرْضٌ وَإِنْ كَانَ الْمَعْرُوفُ أَنَّ لِلزَّمَانِ طُولاً فَقَطْ، وَيُسَكِّنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْخَوَاصِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ فِي عَرْضِ الزَّمَانِ كَقِبْضَةِ الْمِعْرَاجِ.

س ٤٧ : ما هو مبدأ التعيين؟

ج : يكون لكل شئ مبدأ تعيين من أسماء الله تعالى وصفاته ويكون للشئ وصوفاً إلى مبدأ تعيينه. ولو قارَ شَخْصُ السَّيْرِ فوقه فهو نظري وليس بقدمي. (لا يكون له مقام) كما يكون لشخص بيت في لاهور هذا مقام أصلي. فأينما دار أو سار فالمقام الأصلي في لاهور.

س ٤٨ : ما هو التعيين الأول؟

ج : قال بعض المشايخ : علم الله تعالى يخلق العالم هو التعيين الأول، وقال البعض : إرادة الخلق هو التعيين الأول. وقال الإمام الرباني مجدد الألف الثاني : لما كان أحب أن أعرف هو التعيين الأول، فهذا الحب هو مبدأ التعيين للنبي ﷺ وفوقه مقام الآتيتين.

س ٤٩ : الصوفية يكتفون بتدوير السُّبُحَاتِ جُلُوساً على السَّجْدَةِ ولا يُسْهِوْنَ في الجهاد لماذا؟

ج : جاءت كلمة الجهاد في القرآن الكريم لعدة معاني :

١ - الجهاد بالمالي، أي بذل المال في سبيل الله تعالى، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ [النورة : ٤١] .

٢ - الجهاد بالنفس أي تطبيق أحكام الشريعة على النفس قال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصمد : ١١] قال عليه الصلاة والسلام في هذه المناسبة : «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» .

٣ - الجهاد بالقرآن، أي عرض الإسلام على الكفار لإغلاء كلمة الله تعالى ودليله قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٢] .

٤ - الجهاد بالسيف. أي قتال الكفار حيث قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [النورة : ٧٢] .

الصوفية يَسْتَعْلِمُونَ غَالِباً فِي الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى لِلجِهَادِ وَلَا تُحْصَى
أَعْمَلَتُهُمْ عَلَى أَحَدٍ.

وأما الجِهَادُ بالسَّيْفِ ؛ فعندما يَكُونُ فَرَضٌ عَيْنٍ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَالْصُّوفِيَّةُ يَخْرُجُونَ فِي الْمَغْرَقَةِ وَاضِعِينَ أَكْفَانَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ،
وَيَكُونُونَ بَنِيَانًا مَرْصُوصاً قِصْدَ الْكُفَّارِ . وفيما يلي بعض الأمثلة :

١ - فِي الْقُرُونِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ لَمَّا قُضِيَ الثَّارُ عَلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
وَالدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْوَحِيدَةُ لَجَلَالِ الدِّينِ خُوارِزْمِ الشَّاهِ ، وَضُرِبَ
الْمَثَلُ الْمَعْرُوفُ : إِذَا قِيلَ لَكَ أَنَّ الثَّارَ انْهَزَمُوا فَلَا تُصَدِّقْ . وَفِي مِثْلِ
هَذِهِ الْأَوْضَاعِ السَّيِّئَةِ حَوْلَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الدَّرِينْدِيِّ وَأَمَنَالِهِ رَجَمَهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى قُلُوبَ أَبْنَاءِ مُلُوكِ الثَّارِ ، فَاسْلَمَ أَبْنَاءُ هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ بَعْدَ ثَلَاثِينَ
سَنَةً وَجَعَلَ لِيَوَاءِ الْإِسْلَامِ يَتَحَفَّقُونَ مِنْ جَدِيدٍ . قَالَ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ إِقْبَالُ
مَا مَعْنَاهُ :

فَدَنَبِينَ مِنْ قِصَّةِ ثَارٍ إِلَى الْيَوْمِ

أَنْ قَدْ وَجَدَ الْخُرَّاسَ لِلْكَفْبَةِ مِنْ بَيْتِ الْأَصْنَامِ

٢ - لَمَّا تَارَتْ عَاصِفَةُ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ فِي الْهَيْدِ فِي عَهْدِ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ ، رَفَعَ
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْأَلْفِ الثَّانِي لِيَوَاءِ إِحْيَاءِ الدِّينِ ، وَأَلْقَى التَّوَجُّهَاتِ عَلَى
قُلُوبِ رُؤَسَاءِ الْجُرُودِ الْكِبَارِ أَمْثَالَ شَيْخِ فَرِيدِ وَخَانَ خَانَانَ . جَاءَ زَمَنٌ
انْقَلَعَتِ الْبِدْعَاتُ السَّيِّئَةُ وَانْتَهَتْ ، وَكَانَ الْأَرْضُ أُخْبِثَتْ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْمُنْتَدِي أَوْرَنَكْزَيْبِ مِنْ ثَمَرَاتِ جُهَوْدِهِ .

٣ - هَاجَمَ الرُّوسُ دَاغِسْتَانَ فَتَقَدَّمَ مَشَايِخُ الطَّرِيقَةِ أَمْثَالَ الْغَازِي مُحَمَّدِ
الشَّهِيدِ وَالشَّيْخِ حَمْزَةَ وَالشَّيْخِ شَامِلٍ ، وَقَاتَلُوا الشُّبُوعِيِّينَ ٤٦ سَنَةً
بِدَايَةِ مِنْ ١٨١٣ م إِلَى ١٨٥٩ م .

٤ - أَقَامَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّرِيفُ الْبَنُوسِي مَرِيدِيهِ فِي حَزْبِ طَرَابُلُسِ ضِدَّ

الإيطاليين وحازتهم خمس عشرة سنة محاربة شديدة، والزواوية السنوسية بالصحراء العظمى من أفريقيا مشهورة إلى الآن.

٥ - قاتل الأمير عبد القادر في الجزائر ضد الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلادي خمس عشرة سنة من ١٨٣٢ م إلى ١٨٤٧ م وكان من شيوخ الطريقة.

٦ - قد احتلت مقاماً عظيماً في التاريخ أسماء الحافظ ضامن الشهيد رحمه الله تعالى في معركة شاملي، والسيد أحمد الشهيد، والشاه إسماعيل الشهيدان ببالاكوت رجمهم الله تعالى ليحصلوا التحرير من الإنكليز. وهؤلاء من مشايخ الصوفية.

٧ - كان السيد جمال الدين الأفغاني من أفغانستان، وشيخ الهند مولانا محمود حسن من الهند المعروف بأسير مالتا، والشيخ حسن البناء من سلسلة الشاذلية، كل هؤلاء مشايخ الطريقة قد جاهدوا بالسيف. وتاريخ الإسلام ناقص بدون ذكر هذه الضحايا العظيمة.

٨ - قد أثار شيخ النسب السليمانية القشغندية حضرة مرزا جان جانان الشهيد رحمه الله تعالى شوق الجهاد في مريديه حتى قالت امرأة تخاطب ابنه:

قالت أم محمد علي له ضح بنفسيك يا بني للخلافة

أثبتوني من آثار شوق الجهاد في الشيخ محمد علي جوهر، وفي الشيخ شوكت علي، وكتب علي قبر شيخ قتل بيد ظالم أبيات معناها: ويجدوا في لوح قبري مكتوباً في الغيب: أن ليس لهذا المقتول ذنب ميوى لا ذنب.

هاجر الشيخ محمد علي جوهر لتحرير المسلمين من يته إلى لندن حتى يبلغ صوت المسلمين إلى برلمان الإنكليز، وتحمل مشاق الحبس، ولما هدد بالإعدام وقف أمام العدو وجاهد أفضل الجهاد وفقاً لحديث:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةً حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ*».

وَمَخَاطَبَ الْكُفَرِ وَقَالَ: لَا تَحْسَبُوا إِلَّا أَنْ لِي فَنَاءً، وَلَكِنْ الْحَقِيقَةُ أَنَّ لِي أَسْبَابَ الْبَقَاءِ مِنَ الْغَيْبِ، الرِّسَالَةُ الَّتِي وَصَلْتُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا مُسْرُورٌ أَنَّ لِي بِتِلْكَ الرِّسَالَةِ رِسَالَةَ الْقَضَاءِ مَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَا حَكِيمُ هُوَ الدَّوَاءُ الْإِكْسِيرُ لِي لَا سِوَاهُ.

الدُّرُوحِيدُ: هُوَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ فِي الْمَحْضَرِّ: هَذَا الْعَبْدُ عُضْبَانُ عَلَى الْكَوْنَيْنِ لَا بِنِعْمٍ مَرْضَاتِي.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

فهرس المحتويات

٥ مقدمة
٥ الباب الأول: علّم التصوّف
٥ الدليل الأول
٥ القسم الأول
٦ القسم الثاني
٦ القسم الثالث
٩ الدليل الثاني
١١ الدليل الثالث
١١ قُضَاوِي الْقَوْل
١٢ مَكَانَةُ التَّصَوُّفِ عِنْدَ أَحْيَارِ الْأُمَّةِ
١٥ الباب الثاني: التصوّف مَا هُوَ؟
١٧ مَا حَصَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ
١٩ الباب الثالث: تحقيق كلمة الصوفي
٢١ ذِكْرُ أَسْئَلَةٍ مَشْهُورَةٍ خَوَّلَ لَفْظُ الصُّوفِيِّ مَعَ أَجْوِبَتِهَا
٢٤ الصُّوفِيُّ مَنْ هُوَ؟
٢٥ خُلَاصَةُ الْكَلَامِ
٢٦ الباب الرابع:
٣٥ مَلَخَصُ الْكَلَامِ
٣٧ الباب الخامس: ضرورة المُرَشِيدِ
٣٧ أدلة من القرآن الكريم

- ٤١ أدلة من أحاديث النبي ﷺ
- ٤٣ الدلائل العقلية
- ٤٥ أدلة من أحوال الصالحين
- ٥٠ علامات الشيخ الكامل
- ٥٣ الباب السادس: في آداب الشيخ
- ٥٥ وما أحسن ما قيل
- ٧٦ ذكرُ أمور هامة لتعبير الرواية
- ٨٥ الباب السابع: إنشاء الروايات
- ٨٦ أدلة من القرآن المجيد
- ٩٢ الباب الثامن: في المعتقدات معتقدات المريدين
- ٩٤ إيضاح شناعة الغلو في تعظيم أولياء الله تعالى بمثال
- ١٠٩ الباب التاسع: دروس التصوف
- ١٠٩ زينة وجمال الشريعة المحمدية
- ١٠٩ ذكر بعض الأنثىة
- ١١١ جنت إلى المقصود
- ١١٣ نصوص من كلام السلف الصالحين
- ١١٥ دلائل الأحزاب والوظائف
- ١١٨ أدلة من القرآن المجيد
- ١١٩ أدلة من الأحاديث
- ١٢٠ ٢ - الفكر (المراقبة)
- ١٢٢ دلائل من القرآن المجيد
- ١٢٤ دلائل من الأحاديث
- ١٢٩ ٣ - الصلاة على النبي ﷺ
- ١٣٠ أدلة من القرآن الكريم

- ١٣٠ دلائل من الأحاديث النبوية
عدة أسئلة تُسأل عموماً عن الصلاة
- ١٣٢ على النبي ﷺ وأجوبتها
- ١٣٣ ٤ - الاستغفار
- ١٣٤ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٤ دلائل من الحديث النبوي الشريف
- ١٣٨ ٥ - تلاوة القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من القرآن الكريم
- ١٣٨ أدلة من الحديث الشريف
- ١٣٩ ٦ - زائدة بالسنيح
- ١٣٩ أدلة من الأحاديث
- ١٤١ شواهد شعرية
- ١٤٣ الباب العاشر: أعمال اليوم والليلة
- ١٥٠ الباب الحادي عشر: في المعارف والحقائق
- ١٥٠ الدنيا
- ١٥١ عبادات
- ١٥٢ التوبة
- ١٥٣ الشيع والمريد
- ١٥٥ النحوى
- ١٥٥ الذكر والمراقبة
- ١٥٦ الدعاء
- ١٥٦ العلم والعمل
- ١٥٧ للعلماء الكرام
- ١٥٩ تحسين الصور

- المنثورات ١٦٣
- الباب الثاني عشر: الأخلاق الحميدة ١٨٠
- مكارم الأخلاق ١٨١
- أخلاق الصالحين ١٨١
- فضائل حسن الخلق ١٨٢
- أمثلة نادرة للنصح ١٨٨
- فضائل الأخوة الإسلامية ١٩٠
- شروط أساسية للأخوة ١٩٣
- الحبيب كيف يكون؟ ١٩٥
- آداب الأخوة ١٩٨
- الباب الثالث عشر: أسئلة وأجوبة ٢١٢